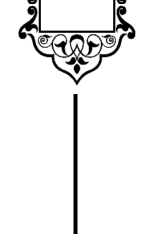

حوار مع الدكتور ميخائيل رمزي
هل أعلن المسيح عن ألوهيته أم نبوته؟
دلالة نص
" أنا والآب واحد "
على ألوهية المسيح
الكتاب الثاني
الدكتور
منقذ بن محمود السقار
١٤٤١ هـ / ٢٠٢٠ م

حوار مع الدكتور ميخائيل رمزي

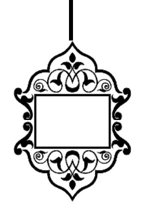
هل أعلن المسيح عن ألوهيته أم نبوته؟ (٢)



دلالة نص «أنا والآب واحد» على ألوهية المسيح

الدكتور

منقذ بن محمود السَّقَّار



١٤٤١هـ/٢٠٢٠م


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على جميع الأنبياء والمرسلين ، عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

فلقد كان الحوار سلم العقلاء للوصول إلى الحقيقة، وليس أسمى من قدح زناد العقول في دراسة المرء لمعتقده بعيداً عن أسوار التقليد التي تعمي العقول، وتحول دونها والوصول إلى الحقيقة ﴿**بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُون**﴾ (الزخرف: ٢٢).

حواري مع الصديق جرجس ، والذي نشرته في ثلاثة كتب حفز آخرين على فتح هذه الصفحة، كان منهم الصديق الدكتور ميخائيل رمزي، وهو طبيب مصري قبطي، له دراسات في اللاهوت، فقد راسلني في ١٤ سبتمبر ٢٠١٨م طالباً الحوار في واحد من ثلاث موضوعات، تاركاً لي حرية الاختيار بينها، فاتفقنا على الحوار في موضوع: (هل أعلن المسيح عن لاهوته أم نبوته؟)، وشرعنا في الحوار عم طريق الإيميل، وخلال ما يقرب من سنتين من الحوار انتهينا أو قاربنا الانتهاء من دراسة نقطتين أساسيتين (الاستدلال بنص : «**أنا الأول والآخر**» ، ونص: «**أنا والآب واحد**» على كونهما إعلانين من المسيح عن ألوهيته) ، إضافة إلى بعض الموضوعات الجانبية.

وقد انقطع الحوار بيننا في ٨ يوليو ٢٠١٩م، وذلك لزحمة المشاغل التي لا تدع مزيد وقت للطرفين، وتوقف الدكتور ميخائيل عن الكتابة لأنه مقبل على اختبارات التخصص، وهو ما يستدعي منه التفرغ ، وهو عذر مقبول، فنحن في زمن الواجبات أكثر فيه من الأوقات.

وبعد شهور من هذا التوقف الإجباري رجعت إلى مجريات الحوار، فوجدتها حافلة بمادة علمية مفيدة لاطلاع الجمهور، فقمت بمراجعتها مصححاً الأخطاء الإملائية والنحوية، وفي أحيان قليلة الأسلوبية، ليصل النص إلى يد القارئ في أجمل صورة ممكنة.

وقد وقفت في الحوار على منزلقات ونتوءات لا يكاد يخلو منها حوار يبحث مسألة عميقة في الوجدان ، فرأيت أن أجنب القارئ رؤية تلك التجاوزات التي وقعت من

الطرفين، وبخاصة أنهما ما زالا - ورغم تلك الهنات - صديقين، يكنُّ كل منهما للآخر احترامه، ورأيت أن حذف تلك النتوءات لا علاقة له بمادته العلمية، التي أنقلها كاملة، بلا رتوش ولا تزويق.

وقد أطلعت الصديق الدكتور ميخائيل على المادة كاملة في مسودتها الأولى، والنهائية، ورجوته أن ينبهني إذا ما وجد فيها خللاً أو سقطاً أو زيادة، ولم أنشر هذا النص إلا بعد اطلاعه عليه واستقبال ملاحظاته التفصيلية.

وحين يرى قارئنا في هذه الصفحات قصوراً معرفياً أو أسلوبياً فإنه – ولابد - سيلتمس العذر للطرفين، فلم يكن حوارنا مشروع كتاب مرسوم الخطوات، وإنما كان نقاشاً جاداً وتبادلاً للرؤى بين طرفين يؤمن كل منهما بأحقية دينه بالحقيقة، ويسعى لإثباته من خلال الحجة والبينة.

وقد ارتأيت تقسيم الحوار إلى كتابين:

الأول: ويختص بنقاشنا حول دلالة نص : «**أنا الأول والآخر**»، وقد سبق نشره، فآمل التكرم بالرجوع إليه.

الثاني: وهو الذي بين أيدينا، ويختص بدلالة نص : «أنا والآب واحد».

وإذ أضع بين يدي القارئ الكريم الكتاب الثاني فإني أشير إلى أن العناوين الجانبية مضافة من قبلي ، ليسهل على القارئ تتبع الموضوع الواحد المتناثر هنا وهناك، كما قد وضعت بين قوسين ( ) اقتباسات كل من المتحاورين من كلام الآخر، وأما ما يجده القارئ بين معكوفتين [ ] فهو إضافات لاحقة ، أريد منها الشرح أو التنبيه، وليست من أصل الحوار.

وإذ أضع بين يدي القارئ الكريم هذه الصفحات، فإني أشكر الصديق الدكتور ميخائيل رمزي على حواره الماتع، سائلاً الله العلي القدير أن يوفق الجميع لما يحبه ويرضاه، والحمد لله رب العالمين.

منقذ السقار

الرسالة الأولى للدكتور ميخائيل

تحياتي لكم صديقي الدكتور منقذ.

سأعتبر نفسي أقدم أول دليل من جديد، وسأبدأ بقول المسيح : «**أنا والآب واحد**» (يوحنا ١٠ : ٣٠).

وحدة الآب والابن في الجوهر والطبيعة

المسيح يخبر عن نفسه أنه مساوٍ للآب في (الجوهر)، وهذا ما فهمه اليهود جيداً ، وحاولوا رجمه، لأنهم اعتقدوا أنه يجدف، فهذا إعلان واضح من المسيح عن ألوهيته .

أشكرك ، أنتظر ردك على ما طرحته من أول دليل .

وأرجو أن نلتزم بالموضوع الأساسي، وأن ترد فقط على ما قدمته من دليل «**أنا والآب واحد**» ، دون الحاجة للمقدمات الأخرى .

شكراً.

الرسالة الأولى للدكتور منقذ

الصديق الدكتور ميخائيل، تحية طيبة، وبعد.

وحدة الآب والابن في الجوهر والطبيعة

قد قال المسيح :«**أنا والآب واحد**» (يوحنا ١٠ : ٣٠)، وهذا بحسب رأيكم: (إعلان واضح من المسيح عن ألوهيته)، ومعناه بحسب رأيكم: (المسيح يخبر عن نفسه أنه مساوٍ للآب في الجوهر)، ودليلكم على صحة هذا الفهم أن (هذا ما فهمه اليهود جيداً، وحاولوا رجمه ، لأنهم اعتقدوا أنه يجدف) .

الوحدة الجواهرية (وحدة الذوات) بين الله الآب والمسيح

قبل أن نبدأ في نقد فهمكم للنص ؛ أود أن ألفت نظركم إلى أنه لا علاقة بين النص وبين فهمكم له، فالنص يقول: المسيح «والآب واحد»، وأنتم فهمتموه أو استنتجتم منه أن المسيح يقصد: (أنه مساوٍ للآب في الجوهر)، ولعلك تقصد أنهما واحد في الجوهر، لأنه ليس في النص أي حديث عن المساواة الجوهرية بين الآب والمسيح، فبإمكانك أن تقول: النص يتحدث عن اتحاد جوهري [جواهري] [1] بين الآب والمسيح، لكن ليس بإمكانك أن تقول: النص يتحدث عن تساويهما، فهذا ما لم أجده في النص.

مثلاً، لو أحضرنا قطرة من ماء الأسيد، وألقيناها في البحر، فسوف تتحد هذه القطرة مع ماء البحر، وسيكون الاتحاد كاملاً، ولكن لا يعني أنهما متساويان في الجوهر [الجواهر].

---

(١) سينشأ لبس بين المتحاورين حول معنى (الوحدة الجوهرية) عند كل منهما، ويرافقنا هذا اللبس إلى آخر الحوار، ومرده أن الدكتور منقذ تحدث عن (الوحدة الجوهرية)، وهو يقصد المعنى الفلسفي لـ(الجوهر)، فالوحدة الجوهرية عنده هي الوحدة الجواهرية أي التي تكون بين الجواهر؛ لا الأعراض، أي وحدة الذوات بين المسيح والآب، ويسميها أيضاً: (الوحدة الحقيقية)، بينما الدكتور ميخائيل يتحدث عن (الوحدة الجوهرية) بمعناها الشائع في الثقافة المسيحية ، وهو الوحدة في الطبيعة والخصائص الإلهية بين أقنومي الآب والابن، فأرجو التنبه له.
ومنعاً لوقوع القارئ في ذات اللبس، فقد أضفنا [الجواهري، الجواهرية] بعد كل استخدام للدكتور منقذ لكلمة (الجوهر، الجوهرية) بمعناها الفلسفي، وهذه الإضافة ليست في أصل الحوار.

وبخصوص نص: «**أنا والآب واحد**» سينقسم حديثي إلى قسمين:

الأول: معنى الوحدة بين الآب والمسيح.

الثاني: فهم اليهود للنص وموقف المسيح من فهمهم.

الوحدة الجواهرية (وحدة الذوات) بين الله الآب والمسيح

ونبدأ بالأول: معنى الوحدة بين الآب والمسيح.

أولاً: الوحدة في الكتاب المقدس وفي كلام العقلاء تدورحول معنيين:

أ. الوحدة الجوهرية [الجواهرية] بين المواد المتجانسة، حيث يتحد الماء بالسكر، أو الدم بالماء، ويصبحان مادة واحدة أو جوهراً واحداً، فهذه الصورة أسميها الوحدة الحقيقية، وهي ما يؤمن به جنابكم ، حين يرى أن الآب اتحد مع المسيح جوهرياً [جواهرياً]، وهكذا فالمتحِد والمتحَد معه كلاهما إله، فقد صار جوهرهما واحداً.

الوحدة المجازية، وحدة الهدف والقصد

ب. الوحدة المجازية، وهي اتحاد الهدف والغاية ، من غير أن يكون الاتحاد في الجوهر [الجواهر] والأشخاص، فمثلاً: أنا وأنت نحب العدل، فكلانا متحد في محبته، لكن جواهرنا مختلفة، فاتحادنا مجازي، وليس بحقيقي.

وكذلك، النبي إبراهيم يحب الخير، والله يحب الخير، فكلاً منهما متحد في محبة الخير، لكن جوهرهما ليس متحداً، فإبراهيم هو إبراهيم، والله هو الله.

وهذا النوع من الوحدة المجازية تكرر ذكره كثيراً في الكتاب المقدس ، وسأكتفي بمثالين اثنين له:

١. قول بولس: « **أنا غرسْتُ وأَبُلُّوس سقى . . . والغارس والسَّاقي هما واحدٌ . . فإنَّنا نحن عاملان مع الله** » (١ كورنثوس ٣ : ٦-٩) ، فبولس وأبلوس شخصان مختلفان في جوهرهما [جواهرهما]، ومع ذلك فإن «**الغارس والسَّاقي هما واحدٌ**»، ووحدتهما

ليس اتحاداً جوهرياً [جواهرياً] جسدياً، بل اتحاد مجازي، أي هدفهما مشترك وواحد «**فإننا نحن عاملان مع الله**».

٢. قول لابان ليعقوب ابن أخته : «**إنما أنت عظمي ولحمي**» (التكوين ٢٩: ١٤)، فليس يراد منه أن لابان ويعقوب لهما جسد واحد، وجوهر واحد، وأنهما يشتركان في العظام واللحم، بل يراد منه أنك يا لابان ابن أختي، فأنا وأنت نتشارك مجازياً نفس اللحم والعظم، بسبب قرابتنا، والمقصد من هذا التشبيه: أني أحبك وأسعى في مصالحك، كأننا شخص واحد مشترك في العظام واللحم، فالوحدة وحدة المحبة؛ لا الجوهر [الجواهر].

والسؤال المهم: أي الوحدتين تتعلق بوحدة المسيح مع الآب؟

وفي الجواب أقول : وحدة الذات بين الآب والمسيح ممتنعة حسب رأي العلماء المسيحيين الذين اعتبروا أن القول باتحاد الآب مع يسوع بدعة أو هرطقة تسمى بدعة «المودالية أو الشكلية أو السابليانية »، وهذه الهرطقة تدعي اتحاد الآب بالمسيح، وتستدل هذه الهرطقة بحرفية الفقرة التي استدل بها جنابكم، لأن النصارى بعموم طوائفهم الرئيسة الثلاث لا يؤمنون باتحاد الآب مع يسوع، بل باتحاد الابن مع يسوع:

١. يقول الدكتور واين جردوم أستاذ علم اللاهوت في ترينتي : « الآية السابقة [يوحنا ١٠ : ٣٠] جاءت في سياق يؤكد فيه يسوع أنه سينجز كل ما أوكله إليه الآب ، ويخلص كل الذين أعطاهم إياه الآب ، وتعني أن يسوع والآب واحد في القصد » (كيف يفكر الإنجيليون في أساسيات الإيمان المسيحي ، واين جردوم ، ص ٢٠٢) ، نعم هما واحد في القصد والهدف ، لا الذات والجوهر [الجواهر].. فهذا عالم لاهوت يوافقني، بل أنا من وافقه على فهم النص بمعنى: وحدة الهدف؛ لا وحدة الذات.

٢. نقل هذا المعنى أيضاً المفسر وليم باركلي عن بعض المفسرين المسيحيين الذين لم يسمِهم: « إن الكلمة مرتبطة بما قبلها ، ويسوع هنا يتحدث عن رغبة الهداية ورعاية الله لها وقدرته الإعجازية حول ذلك ، وكأنه يقول لهم : «**أنا والآب واحد**» في القيام بكل هذه الأعمال » (تفسير العهد الجديد (يوحنا) ، وليم باركلي ٢/ ١٥١)، فهؤلاء المفسرون لا يرون في النص دلالة على الاتحاد الحقيقي الجوهري [الجواهري]، بل يفسرونه على الاتحاد المجازي، وهو رغبتهم جميعاً في الهداية والرعاية.

٣. سأعود بك إلى القرن الأول الميلادي وإلى رجل معاصر ليوحنا ناقل هذا الإعلان، لنفهم كيف كان يوحنا وأقرانه يفهمون كلمة (الوحدة)، بل كيف كان المسيح يستخدمها، يقول البابا إكليمندس الروماني (ت ١٠١م) : «عندما سأل شخصٌ الربَ نفسه: متى يأتي؟ أجاب: عندما يصير الاثنان واحداً، والخارج كما الداخل، والذكر مع الأنثى ليس ذكراً ولا أنثى» (٢ أكليمندس ٢/١٢)، فقوله: «يصير الاثنان واحداً » لا يراد منه وحدة حقيقية بين التلاميذ، فهذا محال، وإنما هي الوحدة المجازية.

لذا يعلق أكليمندس على هذا النص بقوله: «هوذا الآن صار الاثنان واحداً، وذلك إذ ينطق الواحد مع الآخر بالحق، فتصير وحدة في جسدين بصدق» (٢ أكليمندس ٣/١٢)، فقول التلاميذ جميعاً بالحق يجعلهم واحداً.. هذا معنى (الوحدة) بحسب كلام المسيح وبموجب فهم معاصري يوحنا.

وهكذا فاتحاد المسيح بالآب اتحاد مجازي غير حقيقي، وهو مثل اتحادي مع المسيح ومع الله في كراهية الخطيئة وأهلها، وفي محبة المؤمنين، وفي محبة هدايتهم، وهذا لا يجعلني إلهاً، ولا يجعل المسيح إلهاً، فالوحدة بيننا مجازية.

ولدي أدلة ، وسنرجئها إلى وقت لاحق.

مفهوم اليهود لنص : (أنا والآب واحد) وموقفهم من المسيح

ثانياً: فهم اليهود للنص وموقف المسيح من هذا الفهم.

استدل جنابكم على صحة فهمكم لمعنى النص أن اليهود اعتبروه تجديفاً وإعلاناً للألوهية: (هذا ما فهمه اليهود جيداً، وحاولوا رجمه، لأنهم اعتقدوا أنه يجدف)، وأوافقكم أن اليهود فهموا ذلك، أو ادعوه لأنهم كانوا يبحثون عن سبب يختلقونه لإدانة المسيح، والحكمِ باستحقاقه للقتل، فتعمدوا استنتاج المعنى الخاطئ « **فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلهاً**»، ليكون فهمهم الخاطئ لكلام المسيح سبباً في قتله، والحكم عليه أنه مجدف مدع للألوهية.

موقف المسيح من ادعاء اليهود

لكن ما هو موقف المسيح عليه السلام من هذا الاتهام؟ هل قال لهم: نعم أنا أدعي الألوهية، وأعلنها أمامكم؟ هل قال لهم: إن فهمكم صحيح؟

وأجيب: لا ، فإن المسيح أكذبهم في قولهم، وصحح لهم فهمهم، وقال لهم مزيلاً الإشكال الذي أوقعهم فيه سوء التفسير لكلامه: « **أجابهم يسوع:** «**أليس مكتوباً في ناموسكم: أنا قلت إنكم آلهة؟ إنْ قال آلهة لأولئك الذين صارت إليهم كلمة الله.. فالذي قدسه الآب وأرسله إلى العالم، أتقولون له: إنك تجدف، لأني قلت: إني ابن الله؟** »».

هل تراه كان المسيح يوافقهم على فهمهم؟ أم كان يرد عليهم؟ هذا سؤال مهم أنتظر جوابه.

سأنقل لك لاحقاً ما يقوله الشراح في شرحهم للفقرة، لكني هنا سأشرحه من قولي: المسيح أجابهم: ليس لكم حق أن تفهموا كلامي على أنه تجديف وادعاء للألوهية ، لأن قولي لا يتجاوز ما وصف الله به اليهود في الناموس (التوراة)، حين قال في المزمور ٨٢ عن جميع بني إسرائيل: «**إنكم آلهة**»، ولا يقصد بذلك ألوهية حقيقية لكل إسرائيلي، بل ألوهية صورية مجازية، وكذلك لو قلتُ (أي المسيح): «**أنا والآب واحد**» فهو أيضاً نوع من المجاز كما هو معتاد في كتبكم، فأنا أولى منكم بوصف الألوهية، لأني أنا « **الذي قدسه الآب وأرسله إلى العالم** »، أي : أنا المطهر، وأنا رسول الله.

وهنا نجد إعلاناً آخر عن إرسالية المسيح النبي الرسول ، إرسالية بنفس المعنى الذي يعرفه اليهود في كل أنبيائهم ورسلهم، لذلك حين سمعوا منه هذا خنسوا، وهزموا أمام حجة المسيح الذي احتج عليهم بنص كتابهم في سفر المزامير: «**إنكم آلهة ، وبنو العلي كلكم**» (المزمور ٨٢: ٦).

وهكذا - دكتور ميخائيل - فإني أجد المسيح قد غلبهم بالحجة ، وأثبت براءته من التجديف، وردَّ عليهم رداً مفحماً.

إن النص الذي بين أيدينا يتداوله معنيان متخالفان: معنىً فهمه اليهود (أنه جدف، وقال بألوهية نفسه)، ومعنىً مغاير أراده المسيح (أنه لم يجدف ، بل قصد المجاز فحسب)، فأنا ههنا أرجح فهم النص من خلال كلام المسيح والوقوف على توضيحه وشرحه، بينما يستدل جنابكم بشرح اليهود وفهمهم الخاطئ الذي رفضه المسيح... وهنا تكون المفارقة.

أجدد الترحيب بالحوار معكم، فهو ممتع ، ولكم شكري وتقديري.

الرسالة الثانية للدكتور ميخائيل

الدكتور منقذ ، سلام ونعمة رب المجد يسوع المسيح .

أشكرك على الرد، وسعيد جداً بحوارك .

كعادة حضرتك بدأت رسالتك بمقدمة طويلة جداً ، أعتقد أنه من الصعب عليك أن تتخلى عن مقدماتك رغم أننا من المفترض أن ناقشناها بعيداً عن الموضوع الأساسي، والآن رجعنا إلى صلب الموضوع .

نرجع إلى موضوعنا الأساسي، وهو إعلان المسيح عن ذاته في الإنجيل .

الوحدة الجواهرية (وحدة الذوات) بين الله الآب والمسيح

تفضلت حضرتك بتعريف معنى الوحدة ، وسميت الأولى: «الوحدة الجوهرية»، والثانية: «المجازية» ، ثم عرّفت كليهما .

ولا أُخفي على حضرتك أنني تعجبت جداً من تعريفك لمعنى الوحدة ، فكلا الاختيارين خاطئان من حيث التعريف ، ولا علاقة لأي منهما بما قصدته أنا أو بعقيدتنا المسيحية.

فحضرتك عرّفت الوحدة الجوهرية كالتالي : (الوحدة الجوهرية بين المواد المتجانسة حيث يتحد الماء بالسكر، أو الدم بالماء، ويصبحان مادة واحدة أو جوهراً واحداً ، فهذه الصورة أسميها الوحدة الحقيقية ، وهي ما تؤمن به جنابكم ، حيث يرى أن الآب اتحد مع المسيح جوهرياً ، وهكذا فالمتِحد والمتَحد معه كلاهما إله ، فقد صار جوهرهما واحداً) .

وأنا أسأل حضرتك ، هل هذا إيماني يا عزيزي الشيخ ؟

من أين أتيت بأن هذا إيماني؟

عموماً ، هذا ليس إيماني ولا هي عقيدتنا المسيحية ، بل ما قلتَه هو هرطقة وبدعة لا علاقة لها بإيماننا المسيحي السليم .

فالقول بأن الآب والمسيح واحد في الجوهر، والتي تعني الوحدة الجوهرية ، لا تعني أن الآب اتحد مع المسيح جوهرياً[1].

فقولك: (صار جوهرهما واحداً) يدل على أنهما كانا جوهرين منفصلين (ليسا جوهراً واحداً) في البداية، ثم اتحدا بعد ذلك، وصارا جوهراً واحداً .

وبالتأكيد هذه هرطقة، ولا تمت بأي صلة لإيماني الشخصي ولا بالعقيدة المسيحية.

أما الوحدة المجازية فلا علاقة لها بإعلان المسيح، وسآتي إليها لاحقاً .

وحدة الآب والابن في الجوهر والطبيعة

دعني أولاً أشرح معنى الوحدة الجوهرية بين الآب والمسيح ، والتي أخطأ حضرتك في فهمها، وبالتالي في شرحها ، فالوحدة المقصودة هنا في إعلان المسيح تتخطى مجرد القصد والغرض ، فالكثير من الأنبياء كانوا صالحين، ولم يتجاسر أحد أن يصرح بمثل تصريحات المسيح .

الوحدة بين الآب والمسيح هي وحدة جوهرية في الجوهر والطبيعة ، وهي وحدة أزلية بدون انفصال ، وليس كما تفضلت حضرتك بذكر اتحاد قد حدث بين جوهرين ليصيرا جوهراً واحداً ، فالمسيح هو عقل الله الناطق (اللوجوس) كلمة الله العاقلة ، والكلمة يولد من العقل، ويحمل نفس الطبيعة والجوهر ، وبالتالي هو جوهر واحد وطبيعة واحدة مطلقة وكاملة وأزلية بدون انفصال، بل هما وحدة جوهرية واحدة، وليس اتحاد جوهرين.

لذا أرجو أن نكون أكثر دقة في استخدام المصطلحات اللاهوتية ، لأن ما تفضلت حضرتك بذكره مختلف تماماً عما قلته أنا الآن.

---

(١) نذكر باللبس الذي أشرنا إليه، ويتلخص أن الدكتور منقذ كان يتحدث عن وحدة الجواهر والذوات بين جوهر الله وجوهر المسيح، بينما يتحدث الدكتور ميخائيل عن وحدة الجوهر أي : الطبيعة والخصائص بين الآب والابن.

المساواة بين الآب والابن

رفض حضرتك واستنكرت قولي بأن المسيح مساوٍ للآب في الجوهر، وتفضلت بقولك: (ولعلك تقصد أنهما واحد في الجوهر، لأنه ليس في النص أي حديث عن المساواة الجوهرية بين الآب والمسيح) .

لا أعرف شخصياً كيف كتبت هذا مستنكراً قولي، وفي نفس الوقت تقول: إني يمكنني القول بأن المسيح والآب واحد في الجوهر .

عزيزي الشيخ ، المسيح والآب واحد في الجوهر معناها بكل بساطة: أن المسيح مساوٍ للآب في الجوهر ، الموضوع بسيط جداً ، لا يحتاج لهذا الاستنكار .

وحدة الجوهر تعني المساواة في الجوهر .

وأنا دقيق جداً في كل ما يتعلق بالمصطلحات اللاهوتية ، فلا مشكلة فيما قلت على الإطلاق، ويمكنك الرجوع لأقوال الآباء ، أو يمكنني أن أرسلها لك في رسالتي القادمة إن أردت وطلبت مني هذا .

الوحدة المجازية، وحدة الهدف والقصد

تفضلت حضرتك بذكر أن (الوحدة المجازية تكررت كثيراً في الكتاب المقدس) وذكرت ثلاثة أمثلة .

أولاً : قول الرسول بولس: « **أنا غرست وأبلوس سقى** ....»، وأنا حقيقةً لا أعرف ما وجه الشبه بين هذا القول وبين قول المسيح!!، فهل كلمة (واحد) يجب أن تعني نفس المعنى في كل الكتاب ؟!

بالتأكيد لا ، المسيح عندما استخدم هذا التعبير (واحد)، لا يكفي أن نقول عنها وحدة جوهرية لمجرد ذكر كلمة (واحد) ، بل يجب أن نعود للسياق والتركيب اللغوي للعبارة .

فليس ذكر الكلمة هو الدليل .

والعجيب أن حضرتك عندما اقتبست قول بولس الرسول ، أجبت على نفسك بنفسك ، فحضرتك تفضلت بالقول أنها وحدة الهدف المشترك حسب قول السياق: «**فإننا نحن عاملان مع الله**»، إذاً السياق واضح جداً ، فالسياق هو من يحدد معنى الوحدة، وليس أنا أو حضرتك .

السياق واضح، ولم يتركه بولس الرسول غامضاً ليفسره أي شخص على هواه ، فلا أعلم ما علاقة هذا بذاك .

أما إذا رجعنا إلى قول المسيح: «**أنا والآب واحد**» فسنجد أن المسيح لم يقل: أنها وحدة هدف أو قصد، بل تركها وحدة مطلقة في كل شيء ، وسنأتي للسياق والمعنى اللغوي لاحقاً.

ثانياً : اقتباسك لقول يعقوب: «**إنما أنت عظمي ولحمي**» ينطبق عليه نفس القول ، فهنا واضح جداً أن الوحدة تختلف عن الوحدة التي قصدها المسيح ، وليس شرطاً أن يكون معنى (الوحدة) واحداً في الكتاب كله ، فهذا يتحدد بالسياق والتركيب اللغوي .

ثالثاً : قول القديس إكليمندس الروماني ، ينطبق أيضاً عليه نفس الفكرة، فليس كل وحدة هي وحدة جوهرية ، وليس كل وحدة هي وحدة مجازية .

وإذا قرأتَ أقوال الآباء في القرن الأول الميلادي عن الوحدة الجوهرية بين الآب والابن (المسيح) فستجد عشرات الأقوال التي تؤكد الوحدة الجوهرية ، فلا تعتقد أن الآباء لم يبشروا بها في القرن الأول ، ولكن ما ذكرتَه حضرتك ليس له أي علاقة بوحدة الآب والابن .

إذاً أمثلتك لا علاقة لها بقول المسيح، بل كل قول له سياقه الخاص ، وتكرار الوحدة المجازية في الكتاب لا ينفي الوحدة الجوهرية للمسيح والآب .

وحدة الآب والابن في الجوهر والطبيعة

حضرتك تسأل: (أي الوحدتين تتعلق بوحدة المسيح مع الآب ؟).

وأنا أجبت مسبقاً أن كلا الوحدتين خاطئتان ، ولا علاقة لهما بالمفهوم السليم عن وحدة المسيح والآب.

وبالتأكيد أنا أتفق مع العلماء المسيحيين الذين رفضوا اتحاد الآب مع يسوع (الإنسان)، ودعني أسألك ما علاقة هذا بما نتحدث عنه ؟

ما علاقة اتحاد الآب في يسوع ، بالوحدة الجوهرية بين أقنوم الآب والابن ؟

ما علاقة الهرطقة المودالية التي رفضها العلماء بما أقوله من وحدة الجوهر بين الآب والابن؟

لا علاقة بالتأكيد ، فمفهوم الوحدة خاطئ مسبقاً عند حضرتك، وبالتالي كل ما بنيته على هذا المفهوم سيكون خاطئاً .

ثم القول الأعجب لحضرتك، وهو أن العلماء المسيحيين امتنعوا عن الوحدة الذاتية بين الآب والمسيح!!، وبالتأكيد قولك لا علاقة له بموضوعنا ، ما علاقة الوحدة الذاتية (كون الآب هو نفسه الابن) بالوحدة الجوهرية ؟

عموماً، أنا أعتقد أن حضرتك خلطت بين كون الآب والابن هما شخص واحد (كما تقول الهرطقة المودالية) وكون الآب والابن واحداً في الجوهر ، فالفرق كبير جداً ، المسيحيون لا يقولون: إن الآب هو الابن، لأن الآب شخص، والابن شخص ، أو بمصطلح أدق: الآب أقنوم، والابن أقنوم آخر، وبالتالي هذا ما رفضه العلماء المسيحيين من هرطقة المودالية.

لكن العلماء لم يرفضوا إطلاقاً الوحدة الجوهرية بين الآب والابن ، وأنا أنتظر الدليل ، إذا كنت تقصد أن الوحدة الجوهرية أيضاً ممتنعة بسبب امتناع وحدة الذات.

وعلى كل حال سأقتبس لك أقوال العلماء، وسترى بنفسك أن الكل متفق على الوحدة الجوهرية بين الآب والمسيح، وليس كما تفضلت حضرتك بقوله .

الوحدة المجازية، وحدة الهدف والقصد

تستدل حضرتك بقول الدكتور واين جردوم ، حيث يقول: إن المسيح والآب واحد في القصد والغرض، وهذا ما أراد المسيح قوله .

وأنا أوافق على هذا . نعم ، فالمسيح والآب واحد في القصد والغرض والمشيئة، ولكن هذه الوحدة هي نتاج الوحدة الجوهرية، وسأوضح هذا من قول العلماء ، فهذا لا ينفي أن المسيح واحد في الجوهر مع الآب .

فقول حضرتك أن واين جردوم يوافقك في الرأي: أن لا توجد وحدة جوهرية بين الآب والمسيح (الابن) قول غير صحيح، وأطالب حضرتك بالدليل ، بأن تجد لي عبارة واحدة يقول فيها واين جردوم أن المسيح والآب ليسا واحداً جوهرياً ، أو ليسا من طبيعة واحدة ، وأنتظر الدليل .

فهو لم ينكرها، بل قال: إن وحدة الغرض والهدف هي المقصد من العبارة ، وإذا اعتقدت حضرتك أنه لا يوافقني في الرأي ، عليك أن تنتظر اقتباسات العلماء ، فإجماع العلماء والمفسرين كافٍ لكي لا ننظر إلى أي تفسير آخر، فلا يوجد مسيحي واحد يتبع التعاليم المسيحية السليمة ، ينكر أن المسيح والآب واحد في الجوهر والطبيعة ، هذا أمر منتهٍ.

منهجية الحوار والنقل عن وليم باركلي

استشهد حضرتك أيضاً بتفسير وليم باركلي ، ثم علقت عليه بقولك: (فهؤلاء المفسرون لا يرون في النص دلالة على الاتحاد الحقيقي الجوهرين، بل يفسرونه على الاتحاد المجازي).

ورغم كثرة التفاسير المسيحية التي تقدر بالمئات والتي تفسر القول بأنه وحدة جوهرية (وليس اتحاد جوهرين كما قلت) ، فإن حضرتك انتقيت من كل هذه التفاسير، تفسير وليم باركلي وواين جردوم ، وبالتأكيد هذا لأنك اعتقدت أنه يوافق تفسيرك ، وبالتأكيد هذه انتقائية شديدة في اختيارك لتفاسيرنا المسيحية .

فكل تفسير ستقدمه وتعتقد أنه يقول أن الوحدة مجازية ؛ سأقدم لك مقابلة مائة تفسير يقول بالوحدة الجوهرية ، لذا قولك بأن المفسرين يقولون بالوحدة المجازية قول خاطئ ، فالإجماع على الوحدة الجوهرية .

ورغم أن هذا الرد كاف بما سأقدمه لاحقاً من أقوال العلماء ، إلا أنني سأفحص معك تفسير وليم باركلي الذي اقتبست منه ، وسأوضح لك ما قاله وليم باركلي، وحضرتك قرأته في تفسيره، وتركت ما ليس في صالحك الاستشهاد به .

وليم باركلي يقول : (البعض قال: إن تلك الكلمة مرتبطة بما سبقها من حديث ، هنا يتحدث يسوع عن الرغبة والاختيار والرعاية والقدرة المعجزية والقطيع الآمن ، وكأنه يقول لهم: «أنا والآب واحد في القيام بكل هذه الأعمال»، أي أن الوحدة هنا وحدة عمل واتجاه وقدرة).

رغم أن التفسير لا يقول صراحةً أن الآب والمسيح واحد في الطبيعة ، إلا أن ما قاله وليم كافٍ لإثبات ألوهية المسيح ، فوليم باركلي يقول: إن الوحدة هي وحدة القدرة أيضاً، وهذا ما تجاهله حضرتك .

هل حضرتك توافقه في الرأي أن المسيح له نفس القدرة التي للآب (الله) ؟
هذا ما يقوله باركلي الذي اقتبستَ حضرتك منه !، ولكنك لم تقتبس تفسير وليم لقول البعض الذين اقتبس منهم ، فالقول بأن المسيح والآب واحد في القيام بكل الأعمال يفسره باركلي على أنه وحدة القدرة ، وهذا حقيقي، فالمسيح والآب واحد في كل شيء، وحتى الطبيعة والجوهر ، والمسيح مساوٍ للآب في القدرة كذلك .
وأيضاً باركلي لم يقل: إن المسيح والآب ليسا جوهراً واحداً، بل قال: إن مقصد المسيح من القول هو التعبير عن وحدة القدرة ، وهذا مبني على الوحدة الجوهرية ، وهذا أمر مهم جداً سأشرحه في آخر كلامي .

لن أستطيع التغاضي عن تفسير باركلي دون الاقتباس من كلامه ، فباركلي يقول في نفس الكتاب بعد بضع صفحات من اقتباسك ، بالتحديد في ص ١٥٥ : (لقد كان إعلان يسوع بأنه والآب واحد ليس أقل من تصريح بأنه مساوٍ لله).

إذاً باركلي الذي اقتبستَ منه يقول بكل وضوح: إن هذا إعلان عن ألوهية المسيح .

ولكن حضرتك انتقيت من كل تفاسيرنا هذا التفسير ، وحتى هذا التفسير لم تقتبس منه بصوره صحيحة ، بل انتقيت بضع كلمات، وتركت الباقي .

وحدة الآب والابن في الجوهر والطبيعة

الآن دعني أقتبس من أقوال العلماء المتفق عليها، ويجب أن تنتبه إلى أن كل التفاسير والمراجع التي سأذكرها ، هي تفاسير نقدية، وليست روحية، بمعنى أنها تعتمد على التركيب اللغوي والسياق في المقام الأول، ولن أقتبس أقوال الآباء الروحية مثل أبونا تادرس يعقوب ملطي أو غيره ، لأني لا أعتقد أنها ستكون حجة عندك ، لأنك لا تهتم بتفاسيرنا (الصحيحة)، وتفسر الكتاب بنفسك، وهذا بالتأكيد خطأ كبير .

يقول العالم Alford Henry : «كلمة واحد باليونانية ذُكرت ἕν محايدة وليست εἷς، وبالتالي النص لا يعني وحدة شخصية، بل يعني أن الوحدة في الجوهر في المقام الأول، ولكن أيضاً في العمل والسلطة والإرادة».

(المرجع : Exegetical commentary ،Greek testament critical).

يقول العالم Heinrich Meyer : «الوحدة في الجوهر بين الآب والابن قد تحددت باللفظ ἕν ἐσμεν، وهذا ما فهمه اليهود، ولذلك حاولوا رجمه».

(المرجع: Heinrich Meyer's critical and Exegetical commentary on the New testament).

يقول العالم Henery Mahan: «أنا والآب واحد ليس فقط في الهدف والرغبة، بل في الطبيعة والجوهر والقوة».

(المرجع: .Henry Mahan's commentary on selected books of the new testament).

يقول العالم Marvin R. Vincent : «واحد ἕν ذُكرت محايدة ، وليست εἷς والتي ستعني شخص واحد، وبالتالى الوحدة هنا وحدة الجوهر، وليس مجرد الإرادة أو القوة» (المرجع : Vincent's word studies).

يقول العالم A.T.Robertson : «واحد محايدة، وليست مذكرة، وبالتالي لا تعني شخص واحد، بل تعني وحدة الجوهر والطبيعة».

(المرجع : . Robertson's word pictures in the new testament).

تقول نسخة NET Bible : « كلمة "واحد" محايدة، وليست مذكرة ، وبالتالي التأكيد ليس على أن المسيح والآب شخص واحد ، بل شيء واحد . تطابق الشخصين ليس ما تم تأكيده ، بل الوحدة الجوهرية».

(المرجع : Biblical studies press، The NET Bible Notes (Jn 10 : 30)).

يقول العلماء Jamieson، Fausset & Brown : «النص اليوناني يقول: "أيجو كاي أو باتير اين اسمين" إن لغتنا لا تعترف بدقة النص الأصلي في هذا القول العظيم ... "نحن (شخصان) وواحد (كشيء)" ، وربما (مصلحة واحدة) تعرب عن تقريباً ، وليس تماماً فلسفة المثل ، فيبدو تناقض بين قوله: "من يده" ، ثم "من يد أبيه"، فهذا يبين أنه على الرغم من أن وحدانية الجوهر ليست الشيء الدقيق الذي تم تأكيده هنا، فإن تلك الحقيقة هي أساس ما تم تأكيده».

(المرجع : . Commentary critical and Explanatory on the whole bible – unabridged).

إذاً واضح جداً أن إجماع العلماء على أن الوحدة بين الآب والمسيح هي وحدة جوهرية، وليست فقط قصد وهدف ، وهذا اقتباس صغير من مئات التفاسير والمراجع ، فإذا أردت المزيد ، فسأعطيك بكل سرور .

وقبل أن آتي للسياق ، أريد أن أعلق على آخر اقتباس ليكون معناه واضحاً: « على الرغم من أن وحدانية الجوهر ليست الشيء الدقيق الذي تم تأكيده هنا ، فإن تلك الحقيقة هي أساس ما تم تأكيده»، بمعنى أن قول المسيح أو سياق المثل الذي صرح به يقتضي أن نفهم أن المسيح أراد أن يصرح بوحدانية القدرة عندما قال: « **لا يخطفها أحد من يدي**»، ثم بعد ذلك « **من يد أبي**»، فهنا المسيح أراد أن يشرح أنه والآب واحد في القدرة، بل أيضاً يد الآب هي يده ، لذلك أعلن المسيح أنه والآب واحد في الجوهر .

وهذا هو أساس ما تم تأكيده ، فالوحدة مع الآب في القدرة واليد الواحدة والإرادة والهدف هي نتاج الجوهر الواحد والطبيعة الواحدة التي أعلنها المسيح، وهذا ما قاله وليم باركلي وأيضاً واين جردوم ، ولذلك طالبتُك بقول واين أن الآب والمسيح ليسا جوهراً واحداً .

فحضرتك أخطأت في فهم ما أراد العلماء أن يقولوه، وأرجو أن تنتبه إلى أن كل المراجع السابقة ناقشت فكر الهرطقة المودالية أيضاً (كون الآب والابن شخص واحد) ، وردت عليه، وصححت المفهوم بناءً على التركيب اللغوي لكلمة "واحد".

وبالتأكيد بسبب أن لغتنا لا تعترف بدقة النص الأصلي كما قال العلماء ، ستجد أن التراجم ترجمته بطريقه حرفية كما جاء في النص الأصلي ، والقلة ترجموه بطريقة تفسيرية ، مثل ترجمة JMNT ، فتقول :

(I and the father are " (continuously exist being) one Or " I and my Father : we are one thing).

وترجمتها كالتالي : أنا والآب وجود واحد باستمرار ، أو أنا والآب شيء واحد.

فالترجمة واضحة جداً ، إنها تقول: إن المسيح والآب جوهر ووجود واحد بدون انفصال (باستمرار).

موقف المسيح من ادعاء اليهود

نأتي الآن إلى سياق الكلام ، فحضرتك تقول: إن اليهود فهموا كلام المسيح بطريقة خاطئة، وتُكمل وتقول : المسيح كذَّبهم في قولهم، وصحح لهم فهمهم .

بالتأكيد هذا الكلام غير صحيح ، بل إن المسيح قد أعلن عن طبيعته بعد ذلك بعبارات أقوى مما استخدمها، وسنرى السياق .

تسألني: (هل تراه كان المسيح في هذا التعقيب يوافقهم على فهمهم ؟ أم كان يرد عليهم؟).

بالتأكيد المسيح وافقهم على رأيهم أنه يساوي نفسه بالله ، ولكن المسيح اختلف معهم في شيء واحد، وهو تهمة التجديف ، فالمسيح ليس مجدفاً – حاشا له أن يفعل –

بل هو بالفعل يصرح بطبيعته بكل صدق كما هي ، ولذلك فقد ردَّ المسيح على قولهم بالتجديف ، وليس على قولهم: أنه يساوي نفسه بالله.

وهذا أمر لابد أن تنتبه له .

حضرتك حاولت تفسير السياق بنفسك، ولذلك أخطأت في فهم بعض العبارات، وأعتقد أن هذا الخطأ ناتج عن اعتقادك أن المسيح كان يرد على قول اليهود أنه يساوي نفسه بالله ، بل كما ذكرتُ من قبل، هو كان يرد على تهمة التجديف .

عموماً أشكرك على قولك: (فأنا أولى بوصف الألوهية لأني أنا الذي قدسه الآب وأرسله إلى العالم)، فهذا بالتحديد ما قصده المسيح ، رغم خطئك في فهم العبارة بصورة صحيحة .

دعني أشرح لك السياق باختصار: المسيح أجرى مفارقة (وليست مقارنة والفرق كبير)، بينه وبين هؤلاء القضاة ، ففي المفارقة بدأ المسيح من الأدنى إلى الأعلى، فهو يقول لهم : إن كان الناموس سبق، ولقب القضاة لأنهم وكلاء الله ، ويحكمون بأحكام الله وباسمه بلقب (آلهة) ، ثم ينتقل مباشرة إلى الأعلى فيقول : فالذي قدسه الآب وأرسله إلى العالم تقولون له: إنك جدفت لأني قلت: إني ابن الله ؟

سأعطيك مثال لتقريب الفكرة : إذا لقب الملك حكامه أمام الناس بلقب: "أبناء الملك" ، فهل تستكثرون أن يلقب ابنه الوحيد أمام الناس بلقب "ابن الملك "؟!

دعني أشرح لك ما قصدته من المثال، هذه هي المقاربة للمفارقة ، بمعنى أنه يقارب أمرين ليفارق بينهما ، فالمقاربة أن الكل تحت لقب "أبناء الملك"، ولكن المفارقة هي أن الحكام أُطلق عليهم لقب (أبناء الملك) مجازاً وتشريفاً لهم ، بينما ابن الملك هو ليس مجرد لقب تشريفي، بل هو طبيعي وجوهري، لأنه ابن الملك حقيقةً.

دعنا نطبق المثل على كلام المسيح ، فالمسيح يميز نفسه عن القضاة ، فيقول لهم : إن جاز للناموس المقدس أن يلقب القضاة – وهم بشر – بهذا اللقب الرفيع (آلهة) ،

مع أن أحكامهم يمكن أن تُخطئ ، فكم بالحري يحق لي وأنا ابن الله وكلمته بالطبيعة والجوهر ، يحق لي بالأكثر أن ألقب بـ (ابن الله).

فالمسيح بهذا المثل لا يعادل نفسه بهؤلاء القضاة الذين لقبوا بالآلهة، وإنما يقيم مفارقة عادلة بينه وبينهم، فإذا أعطاهم الله لقب (آلهة) لمجرد أنهم يحكمون باسمه ، فالأَولى يكون المسيح هو ابن الله ، لأنه كلمة الله ذاته ، ولذلك فهي مفارقة ليس بين (إنسان وإنسان) ، وإنما بين حالتين متفاوتتين أي (كلمة الله الأزلي ذاته والقضاة البشر).

مفهوم اليهود لنص : (أنا والآب واحد) وموقفهم من المسيح

إن كل ما قاله المسيح هو «**أنا والآب واحد**»، وهذا ما فهمه اليهود : إنه يعادل نفسه بالله ، فالمسيح هنا لم يقل بالحرف: "أنا ابن الله"، ومع ذلك عندما رد المسيح عليهم قال: «**أتقولون لي: أنك جدفت لأني قلت: إني ابن الله ؟**»، رغم أن المسيح لم يقلها بالحرف ، بل قال: «**أنا والآب واحد**»، وهذا يعني أن ما فهمه اليهود من مساواة المسيح مع الله يحمل نفس معنى (ابن الله).

فاليهود لم يقولوا له: أنت تجدف لأنك قلت: إنك ابن الله ، بل قالوا له : إنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلهاً ، إذاً المسيح يوضح أن عبارة (ابن الله) تساوي ما قاله اليهود ، وهو أنه يساوي نفسه بالله .

إذاً عبارة "ابن الله" تساوي: "الله" نفسه ، فهي بنوة ذاتية، وليست مجرد انتسابية، والمسيح لم يصحح لهم مفهومهم بأنه يساوي نفسه بالله ، بل بالعكس هو أكده، وتعجب منهم لماذا يسمونه تجديفاً ، فهو يقول الحقيقة ، هو المُرسل ، المنتظَر ، كلمة الله (اللوجوس).

هل أعلن المسيح عن نبوته ورسالته؟ (إرسالية الروح والمسيح)

أما بالنسبة لقول المسيح: « **الذي قدسه الآب وأرسله إلى العالم**»، وتعليق حضرتك: أنه رسول ونبي فقط ، فبالتأكيد هذا تفسير خاطئ تماماً، وأنا قد شرحت من قبل معنى الإرسالية ، فالإرسالية نوعان : داخلية (ذاتية) وخارجية .

عندما يرسل الله النبي أو عندما أُرسل أنا شخصاً لمكان محدد ، تسمى : (إرسالية خارجية) ، لأني أرسل شخصاً آخر غيري إلى مكان ما، فالشخص الذي سأرسله ليس هو ميخائيل، وبالتالي لا يحمل طبيعة وجوهر ميخائيل، لذلك تسمى : (إرسالية خارجية).

أما عندما أرسل كلماتي لحضرتك عبر الإيميل ، فالكلمات ولدت من عقلي، وتحمل نفس طبيعة وجوهر عقلي ، فعندما أرسلها لك ، أنا أرسل كلمتي من طبيعة عقلي، وليس شيئاً غريباً عني، وبالتالي تسمى إرسالية داخلية (ذاتية).

فإرسالية المسيح ذاتية (داخلية) ، لأنه هو كلمة الله (نطق الله العاقل) ، وبالتالي هو من نفس طبيعة وجوهر الله (الآب) ، وعندما يرسل الآب كلمته ، هي بذلك إرسالية ذاتية أو داخلية .

وفي عقيدتنا المسيحية ، المسيح مرسل ، بكل بساطة ، لا نخفيها على أحد ، ولكنها لا تعني أنه رسول أو نبي فقط بالمفهوم الذي تحاول شرحه حضرتك ، وبالتالي لا تناقض بين الإرسالية الداخلية وبين كون المسيح إلهاً كاملاً من طبيعة وجوهر الآب .

فالوحي المقدس في العهد القديم يقول على لسان داود النبي: «**ترسل روحك فتُخلق ، وتجدد وجه الأرض**» (مزمور ١٠٤ : ٣٠)، إذاً تعبير الإرسالية هو معروف من العهد القديم ، الله يرسل روحه ليخلق ، فهل لأن روح الله مرسلة ، تعني أنها مختلفة في الطبيعة والجوهر عن الله ؟

بالتأكيد لا ، فروح الله تحمل نفس الطبيعة والجوهر، وهي تخضع لنفس التعبير الكتابي بأن الله يرسلها ، فهي مرسلة .

إذاً لا تناقض بين الإرسالية والوحدة الجوهرية .

مفهوم اليهود لنص : (أنا والآب واحد) وموقفهم من المسيح

حضرتك تقول: (لذلك حين سمعوا منه هذا خنسوا وهزموا أمام حجة المسيح الذي احتج عليهم بنص كتابهم)، وأنا لا أوافقك في بعض كلماتك ، نعم المسيح قد غلبهم

بالحجة، وأنه لا يجدف ، بل هو بالفعل من طبيعة وجوهر الله، وبالتالي هو يقول الحقيقة، ولا يجدف ولا يكذب – حاشا له –.

لكن أختلف معك أن اليهود تراجعوا ، فهذا غير صحيح ، بل دعني أقول لك أنهم حاولوا رجمة مرة ثانية بعد كلامه هذا !

لا تتعجب عزيزي الشيخ ، فالسياق لم ينته حيث أنهيته حضرتك ، بل يجب أن نكمل باقي سياق الحدث .

فإذا كان كلام حضرتك صحيحاً بأن المسيح صحح لهم ما فهموه بالخطأ أنه يساوي نفسه بالله ، كان من المفترض أن نرى اعتذاراً من اليهود للمسيح على سوء الفهم ، أو على الأقل نرى تراجعاً من اليهود ليتركوا المسيح في حاله .

لكن هذا لم يحدث ، بل حينما صحح المسيح لهم مفهومهم (حسب تعبيرك) ، رجعوا يحاولون رجمه ، وهذا ما لم تنتبه له ، لأنك أنهيت السياق عند كلام المسيح، ولم تقرأ باقي السياق .

معنى «أعمال الله»

دعني أشرح باقي السياق الذي تركته: المسيح أكمل رده ، بأن أعماله هي أعمال أبيه السماوي ، بل وضعها حجة لكي يؤمنوا به ، فهو هنا يجمع القول مع الفعل .

فقال المسيح : « **إن كنت لست أعمل أعمال أبي ، فلا تؤمنوا بي، ولكن إن كنت أعمل، فإن لم تؤمنوا بي فآمنوا بالأعمال** ...»، فهل يستطيع مجرد نبي أن يصرح أنه يعمل أعمال أبيه ؟ من هذا الذي يجرؤ أن يقول أنه يمكنه عمل أعمال الله ؟

موقف المسيح من ادعاء اليهود

ثم تأتي هنا النقطة الأهم في السياق كله ، فالمسيح لم يتراجع عندما حاولوا رجمه لقوله: «**أنا والآب واحد**»، بل عاد المسيح بكلام أقوى وأوضح، فقد أكمل: «**فإن لم تؤمنوا بي فآمنوا بالأعمال، لكي تعرفوا وتؤمنوا أن الآب فيَّ، وأنا فيه ، فطلبوا أيضاً أن يمسكوه**»، فللمرة الثانية يفهم اليهود تعبير المسيح وطبيعته اللاهوتية جيداً ، فهم لم

ينسحبوا أو يتراجعوا كما اعتقد حضرتك ، بل حاولوا رجمه مرة أخرى ، والمسيح خرج من بين أيديهم دون أي تعليق أو تراجع أو تصحيح .

فالمسيح لم يكتفِ بقوله: أن يده هي يد الآب ، وقدرته هي قدرة الآب، فهما واحد في القدرة ، وأنهما واحد في الطبيعة والجوهر ، بل أيضاً قال: إنه يعمل أعمال الله ، والآب فيه، وهو في الآب ، دليل على الوحدة الكاملة المطلقة .

أعتقد أن تصريحات المسيح واضحة ، لا تحتاج إلى هذا الكم من العناء لمحاولة إنكار لاهوته .

حضرتك تقول: (إن النص الذي بين أيدينا يتداوله معنيان متخالفان ، معنى فهمه اليهود (أنه جدف وقال بألوهية نفسه) ، ومعنى مغاير أراده المسيح (أنه لم يجدف بل قصد المجاز فحسب)).

وبالتأكيد الاختيارن خاطئان أيضاً ، فالنص يوضح أنه أعلن عن ألوهيته بشكل واضح، ولكن هذا ليس تجديفاً ، فالمسيح يعلن عن طبيعته بكل صدق ولا يجدف .

لذا الاختياران ليسا دقيقين على الإطلاق، فالتجديف يصح في حالة واحدة ، إذا أعلن المسيح عن ألوهيته وهو يكذب – حاشا له – ، فبذلك يسمى تجديفاً .

ولكن هذا لم يحدث ، لأن المسيح هو الله الظاهر في الطبيعة البشرية ، فهو أعلن بصدق عن ذاته ، ولم يجدف ، لذلك أرفض الاختيارين .

لك مني كل المحبة والتقدير دكتور منقذ ، وأنتظر ردك على ما طرحته .

الرسالة الثانية للدكتور منقذ

الصديق الدكتور ميخائيل، تحية طيبة ، وبعد.

الوحدة الجواهرية (وحدة الذوات) بين الله الآب والمسيح

صديقي الدكتور ميخائيل ، جنابك اعتبر ما قلته عن تقسيمي للوحدة إلى جوهرية ومجازية (خاطئان من حيث التعريف ، ولا علاقة لأي منهما بما قصدته أنا أو بعقيدتنا المسيحية)، وهنا أسأل جنابك: ألا تؤمن أن وحدة المسيح بالآب وحدة جوهر[جواهر]؟ وألا تؤمن أن وحدة بولس وأبلس وحدة قصد وهدف؟ هذا ما قلته فأين الخطأ في تقسيمي؟

أعتقد أن تقسيمي كان صحيحاً، وإذا كان صحيحاً تبين علاقته بموضوعنا، فالوحدة المجازية هي وحدة المسيح مع الآب، لذلك أوردت لك حديثي عن هذا النوع من الوحدة.

ومضى جنابكم للقول: (فالوحدة بين الآب والمسيح هي وحدة جوهرية في الجوهر والطبيعة، وهي وحدة أزلية بدون انفصال ، وليس كما تفضلت حضرتك بذكر أن هناك اتحاداً قد حدث بين جوهرين ليصيرا جوهراً واحداً ، فالمسيح هو عقل الله الناطق (اللوجوس) كلمة الله العاقلة ، والكلمة يولد من العقل ويحمل نفس الطبيعة والجوهر ، وبالتالي هو جوهر واحد وطبيعة واحدة مطلقة وكاملة وأزلية بدون انفصال، بل هما وحدة جوهرية واحدة، وليس اتحاد جوهرين).

جناب الدكتور، ما تحدثتَ عنه يختلف عما أتحدث عنه، أنت تتحدث عن العلماء الذين (لم يرفضوا إطلاقاً الوحدة الجوهرية بين الآب والابن .. إذا كنت تقصد أن الوحدة الجوهرية أيضاً ممتنعة بسبب امتناع وحدة الذات)، وأنا لا أتحدث عن هذا، ولم أزعمه حتى تطالبني بالدليل عليه، أنا أتحدث عن الوحدة الجوهرية [الجواهرية] بين يسوع والآب، وهذا ما يقودنا إلى بدعة أو هرطقة المودالية الذين يرون أن الآب هو

الابن، فاتحاد الابن في يسوع هو اتحاد للآب أيضاً، لذا كانوا يستدلون بهذا النص على صحة مذهبهم، وهنا وقع الإشكال.

ودعني أوضح لك صورة اختلافنا بتفاصيلها، فإن من أهم ما ينبغي على المتحاورين معرفته إدراك نقطة الخلاف التي يختلفون عليها.

١. نحن مختلفان في تحديد قائل هذه العبارة: «**أنا والآب واحد**»، فجنابكم يرى أن قائلها هو المسيح المكون من ناسوت ولاهوت، من جسد أرضي حل فيه اللاهوت أو أقنوم الكلمة، بينما أراها عبارة قالها يسوع الإنسان.

وبسبب هذا التنافر تساءل جنابكم مراراً: (ما علاقة هذا بما نتحدث عنه)، فأنت محق في أنه لا علاقة لكثير مما ذكرتُه لك إذا كنا نتحدث عن الاتحاد الجوهري بين الآب والابن، أو بعبارة أخرى بين الآب والمسيح المكون من الابن المتجسد أو الكلمة المتجسدة، فأنت تعتبر قائل عبارة: «**أنا والآب واحد**» هو الكلمة المتجسدة، وهذا ما أتيتُ لمناقشتك فيه، ولو كنت أؤمنُ أن قائل عبارة : (أنا والآب واحد) إله متجسد؛ لما كان لهذا الحوار معنى.

وسيفهم جنابك سبب طرحي لهذه الأسئلة، وستعتبرني محقاً إذا علمتَ أني أرى أن قائل عبارة : «**أنا والآب واحد**» هو إنسان اسمه يسوع، رآه بنو إسرائيل يعلِّم في الهيكل، وأرادوا رجمه ، فهذا عندي إنسان فحسب ، وأنتم تدعون ألوهيته، وأنا أخالفكم فيها، لذلك تثور وفق فهمي مجموعة من الأسئلة التي تراها بعيدة عن الموضوع، وأراها في صلبه.

ولن يمكننا التفاهم مع بعضنا إلا إذا أجبنا عن سؤالين:

الأول: من هو قائل عبارة: «**أنا والآب واحد**»؟ من هو هذا المتحد بالآب؟ هل هو يسوع الإنسان؟ أم هو كلمة الله المتجسدة في يسوع؟

الثاني: ما نوع الوحدة التي يقصدها هذا الذي يقول: «**أنا والآب واحد**»؟ هل هي وحدة جوهرية [جواهرية]؟ أم وحدة مجازية (وحدة قصد وهدف)؟

وقد شرعنا في الإجابة عن السؤال الثاني قبل أن يظهر لي أننا مختلفان في إجابة السؤال الأول، لذا كان لابد من أسمع جوابكم حوله.

وحدة الآب والابن في الجوهر والطبيعة

٢. المسيحيون يؤمنون – فيما عدا بعض الآباء الأوائل ومن تابعهم– بأزلية الابن (الكلمة)، وأنه والآب جوهر واحد قبل الدهور، وهذا ما كان يتحدث عنه جنابكم: (فالمسيح هو عقل الله الناطق (اللوجوس) كلمة الله العاقلة ، والكلمة يولد من العقل ويحمل نفس الطبيعة والجوهر)، وهو ما لا ينبغي أن نتطرق إليه ، لأنه متعلق بمبحث الثالوث، والعلاقة بين الأقانيم.

الوحدة الجواهرية (وحدة الذوات) بين اللّه الآب والمسيح

٣.المسيحيون يؤمنون أن أقنوم الكلمة (الابن) الذي هو جوهر واحد مع الآب قبل الدهور، قد اتخذ جسداً أرضياً من أمه مريم، وأن الكلمة صارت جسداً، واتحدت الكلمة بهذا الجسد منذ لحظة وجوده في أحشاء مريم، وهذا ما كنت أناقشه، فقبل أن يوجد الجسد لم يكن هناك اتحاد بين الكلمة والعدم الذي سيوجد في أحشاء مريم لاحقاً، هذا ما كنت أقوله.. فموضوعنا العلاقة بين المسيح الإنسان وبين الألوهية، وليس بين أقانيم اللاهوت.

دعني أطبق مثالاً لسوء الفهم أو اختلافه بيننا، فأنت تنكر علي قولي: (أن الآب اتحد مع المسيح جوهرياً ، وهكذا فالمتِحد والمتَحد معه كلاهما إله ، فقد صار جوهرهما واحداً.. هذا ليس إيماني ولا عقيدتنا المسيحية ، بل ما قلته هو هرطقة وبدعة لا علاقة لها بإيماننا المسيحي السليم .. الوحدة الجوهرية ، لا تعني أن الآب اتحد مع المسيح جوهرياً).

ونقطة الإشكال عندك أن قولي: (صار جوهرهما واحداً) يدل على (أنهما كانا جوهرين منفصلين (ليسا جوهراً واحداً) في البداية، ثم اتحدا بعد ذلك، وصارا جوهراً واحداً . وبالتأكيد هذه هرطقة، ولا تمت بأي صلة لإيماني الشخصي ولا للعقيدة المسيحية).

إذا فهمت مرادي لن تستنكر استخدامي لكلمة «صار» ، وهي تعني عندي : صار الإنسان المولود من مريم إلهاً منذ أول وجوده في أحشائها، حين اتحد أقنوم الكلمة بناسوت المسيح الذي لم يكن إلهاً قبل وجوده، وهنا أصر على كلمة (صار) ، فهي لفظة إنجيلية وأرثوذكسية، حيث يقول يوحنا: « **والكلمة صار جسداً، وحلّ بيننا** » (يوحنا ١: ١٤) ، وهذا لم يحدث قبل الدهور، بل في لحظة ما قبل ٢٠١٨سنة .

وقد رأيت في كلام الآباء ما فهمت منه هذا: فكيرلس عمود الدين كتب لنسطوريوس: «إننا نعترف بأنّ الكلمة صار واحداً مع الجسد، إذ اتحد به اتحاداً شخصياً ... نعترف بمسيح واحد، هو الكلمة المولود من الآب، وهو الذي اتخذ جسداً»، وحديثي لم يتجاوز هذا، فالابن الكلمة اتخذ جسداً في لحظة ما ، فصار هذا الجسد إلهاً، لأن الابن والآب جوهرهما واحد منذ الأزل وفق اعتقادكم.

وفي القانون الذي صدر عام ٤٣٣م للتوفيق بين الكنائس قالوا عن المسيح: « وإنه هو نفسه، في الأزمنة الأخيرة ولد لأجلنا .. لأنّ الإله الكلمة قد صار جسداً، قد صار إنساناً، واتحد منذ لحظة الحبل به، بالهيكل الذي أخذه منها»، فمنذ «لحظة الحبل» صار إلهاً، وحدث هذا «في الأزمنة الأخيرة».

إذاً المشكلة بيننا ، أنك تتحدث عن المسيح المكون من الابن والجسد معاً وعلاقته بالآب، بينما ينصبُّ حديثي على الاتحاد بين الجسد والابن المولود من الآب.

منهجية الحوار

ذكر جنابكم أن الشراح المسيحيين يؤمنون بأن المسيح إله، وأنهم يؤمنون أنه والآب واحد في الجوهر، وهذا الكلام صحيح إذا تحفظنا على الجماعات المسيحية التوحيدية أو لم نعتبرها مسيحية، كشهود يهوه، وتستطيع أن تورد له عشرات ومئات النقولات من كتب الطوائف الأرثوذكسية، وهذا ما تفضلت به: (إذا قرأتَ أقوال الآباء في القرن الأول الميلادي عن الوحدة الجوهرية بين الآب والابن (المسيح) فستجد عشرات الأقوال التي تؤكد الوحدة الجوهرية ، فلا تعتقد أن الآباء لم يبشروا بها في القرن الأول .. وعلى كل حال سأقتبس لك أقوال العلماء، وسترى بنفسك أن الكل متفق على الوحدة

الجوهرية بين الآب والمسيح، وليس كما تفضلت حضرتك بقوله... ورغم كثرة التفاسير المسيحية التي تقدر بالمئات والتي تفسر القول بأنه وحدة جوهرية (وليس اتحاد جوهرين كما قلت .. سأقدم لك مقابله مائة تفسير يقول بالوحدة الجوهرية ، لذا قولك بأن المفسرين يقولون بالوحدة المجازية ، قول خاطئ ، فالإجماع على الوحدة الجوهرية).

وبالتأكيد، أنت لا تقصد بالإجماع كل المسيحيين، بل الطوائف الأرثوذكسية، وأما التوحيديون وشهود يهوه فهم يزعمون أنهم مسيحيون، ويؤمنون بهذه النصوص، ولا يرون فيها دليلاً على ألوهية المسيح، فهم مخالفون في فهمهم لما يفهمه العشرات والمئات الذين ستستأنس بأقوالهم.

وهنا أذكِّر بقاعدة منهجية مهمة، نتناولها عادة في حواراتنا داخل المجتمع المسلم: «أقوال الرجال يستأنس بها، ويستدل لها ، ولا يستدل بها »... وأراها صحيحة هنا، فأقوال واين جردوم ووليم باركلي وغيرهم ليست أدلة بذاتها، ولا نصوصاً مقدسة، بل هي فهْمُ رجال عبَّروا عنه في أقوالهم، ويستأنس بها طلاب العلم والحقيقة في حواراتهم.

وهنا أقول: أنا هنا لمحاورتك ومحاورة هؤلاء المئات من خلالك في ادعائهم أن النص يفيد الوحدة الجوهرية ، فلا تجعل أقوالهم حجة علي ، وقد اطلعتُ على تفاسيرهم، وقرأتُ ما فيها من ادعاء الوحدة الجوهرية ، ولو لم يؤمنوا بها لما كانوا مسيحيين (أرثوذكس).

وحين نقلتُ ما قاله اللاهوتي واين جردوم، فأنا لم أقل أنه لا يؤمن بوحدة المسيح الجوهرية مع الله، بل نقلتُ منه تفسيره للنص، مع علمي أن يؤمن بالوحدة الجوهرية كسائر المسيحيين، لقد قال في تفسير النص الذي تحتج به: «وتعني أن يسوع والآب واحد في القصد»، وهذا بيت القصيد عندي، فنحن نناقش النص ، ونحاول الوصول لفهمه، ولا نناقش عقيدة واين جردوم، لتحضر لي ما يدل على إيمانه بلاهوت المسيح، وأنه من نفس طبيعة وجوهر الله.

لذا أوافقكم جداً على قولكم: (فلا يوجد مسيحي واحد يتبع التعاليم المسيحية السليمة ، ينكر أن المسيح والآب واحد في الجوهر والطبيعة ، هذا أمر منتهٍ ..)، وهذا صحيح، وأنا هنا لمناقشتهم من خلالك، فأنا لا أنفي أن جردوم وغيره يؤمن بكل معتقداتكم، بل أجزم بأنه مسيحي مثلك، يؤمن بما تؤمن به.

الوحدة المجازية، وحدة الهدف والقصد

لكني هنا استأنس بشرحه لنص : «**أنا والآب واحد**» ، وقوله صحيح ، وقد وافقتني على صحته، حين قلت: (أنا أوافق على هذا . نعم ، فالمسيح والآب واحد في القصد والغرض والمشيئة .. قال: إن وحدة الغرض والهدف هي المقصد من العبارة)، وهكذا نحن متفقان على أن مفهوم جردوم للنص على أنه وحدة هدف .. هذا موضع اتفاق.

وهنا يضيف جنابكم: (هذه الوحدة [وحدة الهدف] هي نتاج الوحدة الجوهرية، وسأوضح هذا من قول العلماء ، فهذا لا ينفي أن المسيح واحد في الجوهر مع الآب)، وهذا أيضاً صحيح، فالنص يقول بأن المسيح والآب واحد في القصد، وهذا لا يمنع أن يكون هناك نص آخر يقول بأنهما واحد في الجوهر، وأن نتيجة وحدة الجوهر أن تتحد المقاصد والأهداف.

ولكن قد تتحد هذه المقاصد والأهداف من غير أن تتحد الجواهر، لذا أنا أبحث عن النص الذي يجعل وحدة الهدف هنا بسبب وحدة الجوهر، أي أبحث عن دليلك على أن وحدة المسيح الإنسان باللاهوت وحدة جوهرية [جواهرية]، وحين نصل إلى ذاك الدليل سنناقشه بتفصيل.

نحن هنا نناقش نص: «**أنا والآب واحد**» ، وهو يتحدث عن وحدة هدف وقصد، وهي نوع وحدة لا تقتضي وحدة الجوهر [الجواهر]، فأنا وأنت متحدان في كراهية الخطيئة ومحبة الخير، ولسنا متحدين في الجوهر [الجواهر]، وبعبارة أخرى : اتحاد الجوهر [الجواهر] يقتضي وحدة القصد والغرض، واتحاد الهدف والقصد لا يستلزم وحدة الجوهر [الجواهر]، ولا ينفيه.

وهنا يقول جنابكم: (فقول حضرتك: واين جردوم يوافقك في الرأي أنه لا توجد وحدة جوهرية بين الآب والمسيح (الابن) قول غير صحيح . وأطالب حضرتك بالدليل، بأن تجد لي عبارة واحدة يقول فيها واين جردوم أن المسيح والآب ليسا واحداً جوهرياً أو ليسا من طبيعة واحدة ، وأنتظر الدليل . فهو لم ينكرها)، وأنا لم أقل أي شيء مما نسبته إلي.

أخبرني أين قرأت في كلامي ونقلي عن واين جردوم (واين جردوم يوافقك في الرأي أن لا توجد وحدة جوهرية بين الآب والمسيح)، لم أقل هذا، بل أقول عكسه عن جردوم وعن كل لاهوتي مسيحي.

إن ما نقلتُه عن جردوم كان فقط فهمه للنص الذي توافقنا فيه، وليس معتقده في المسيح، وها أنذا أنقل لك بعضاً مما كتبتُه: («وتعني أن يسوع والآب واحد في القصد » .. فهذا عالم لاهوت يوافقني، بل أنا من وافقه على فهم النص بمعنى وحدة الهدف؛ لا وحدة الذات)، فالحكاية كلها أن جردوم شرح النص بأنه «واحد في القصد»، وأنا وافقته عليه: « فهِمَ النص بمعنى وحدة الهدف؛ لا وحدة الذات»، هذا فهمي وفهمه للنص، وهذا لا يمنع من أنه يقول بألوهية المسيح اعتماداً على دليل آخر يراه.

وها أنذا أصرح بين يديك بنقطة منهجية مهمة، أرجو أن تتذكرها طوال حوارنا: من سأنقل عنهم في الغالب الأعم هم مسيحيون مؤمنون بلاهوت المسيح، ونقلي عنهم لا يعني أنهم ينكرون لاهوت المسيح أو التجسد أو التثليث أو الاتحاد الجوهري ... فكل هذا لا أدعيه حين أنقل عنهم، فإنما أنقل رأيهم في مسألة ما للاستئناس به، وقولُهم وقولُ غيرهم ليس حجة لي ولا لك، لأن أقوال الرجال ليست أدلة بذاتها، وفُهومهم للنصوص لا توازي النص، ولا تساويه، وإنما ننقل أقوالهم للاستئناس فحسب.

منهجية الحوار والنقل عن وليم باركلي

وبخصوص ما نقلتُه عن وليم باركلي ينطبق عليه ما ينطبق على جردوم، فهو كما تفضلتَ يؤمن بالوحدة الجوهرية، وأنا لم أقل أبداً أنه ينكرها، بل كل ما قلته: أن ثمة

مفسرين يخبرنا باركلي أنهم يقولون: «ويسوع هنا يتحدث عن رغبة الهداية ورعاية الله لها وقدرته الإعجازية حول ذلك».

لقد أشعرني جنابكم بأني قد ارتكبت خطأ كبيراً ، لأني اكتفيت بنقل بعض ما قاله وليم باركلي ، فكتبتَ : (وحضرتك قرأتَه في تفسيره، وتركت ما ليس في صالحك الاستشهاد به .... ولكن حضرتك انتقيت من كل تفاسيرنا ، هذا التفسير ، وحتى هذا التفسير لم تقتبس منه بصورة صحيحة ، بل انتقيت بضع كلمات، وتركتَ الباقي)، فجنابكم يرى أنني تركت جزءاً من الحقيقة، لأني استشهدت بما نقله باركلي عن بعض المفسرين، وتركت رأيه، وهذه وفق مفهومك جناية أو جنحة علمية.

وهذا ليس بصحيح، فما من واحد من هؤلاء الذين أنقل عنهم إلا وهو يؤمن بألوهية المسيح، ويستدل لها بشتى النصوص التي لا أسلم بها، وأنا أقتبس من كلامهم ما استأنس به في حواري، بلا بتر للنص، وفي المقابل فإن جنابكم يستشهد بما يراه دليلاً له، فأين المشكلة في ذلك؟

هل كذبتُ على المفسرين حين زعمت أنهم فسروا النص: «إن الكلمة مرتبطة بما قبلها، ويسوع هنا يتحدث عن رغبة الهداية ورعاية الله لها وقدرته الإعجازية حول ذلك ، وكأنه يقول لهم : «**أنا والآب واحد**» في القيام بكل هذه الأعمال»؟

هذا ما نقله عنهم باركلي، ونقلتُه عنه بلا بتر ولا تغيير.

حسناً، أنت تركت ما يقول جماعة شهود يهوه في النص، وما يقوله غيرهم من الموحدين الذين يؤمنون بهذه النصوص، ولا يوافقون على المعاني الأرثوذكسية لها، بل تجاهلت رأياً ثانياً نقله باركلي عن العلماء في هذا النص، حين فسره بعض العلماء على أنه «رباط المحبة الذي يربطه مع الآب» (تفسير يوحنا، وليم باركلي، ص ١٥٢)، وهو ما سنتعرض له بعد قليل.

وهكذا فقد وقع جنابكم فيما أنكرتَه علي، وأستطيع القول: وتركت ما ليس في صالحك الاستشهاد به ... ولكن حضرتك انتقيت من كل تفاسيرنا، هذا التفسير).

صديقي الدكتور ميخائيل، كل منا يأخذ من كتب هؤلاء ويترك، فلا أنا مؤمن بهم، ولا أنت كذلك.

جنابكم لا يعجبه أني تركت كلام وليم باركلي حين نقلتُ عن كتابه، ويرى أني (لم تقتبس منه بصورة صحيحة ، بل انتقيت بضع كلمات، وتركت الباقي)، وهذا اتهام مهم وخطير، فكأنك تتهمني ببتر النص ، وأخذ بعضه ، والتغافل عن باقيه، ولو وقع هذا لكان عيباً منهجياً قادحاً.

ولكنه لم يقع مني، فأنا لم أتطرق للرأي الشخصي لوليم باركلي في النص، إنما نقلت عنه ما نسبه إلى المفسرين، ولو نقلتُ كلامه شخصياً لكان لك الحق أن تسألني عن بقية كلامه، وأن تتهمني بأني أخفيتُه، لكني لم أنقل رأيه أصلاً، فكيف أبتره، لقد نقلتُ عنه إشارته إلى رأي المفسرين فحسب.

وأعود ثانية إلى قولك: (لن أستطيع التغاضي عن تفسير باركلي دون الاقتباس من كلامه، حتى لا تعتقد أنك تقرأ من مراجعنا بصورة صحيحة . باركلي يقول في نفس الكتاب بعد بضع صفحات من اقتباسك ، بالتحديد في ص ١٥٥ : (لقد كان إعلان يسوع بأنه والآب واحد ليس أقل من تصريح بأنه مساوٍ لله) إذاً باركلي الذي اقتبست منه يقول بكل وضوح: إن هذا إعلان عن ألوهية المسيح).

عزيزي الدكتور ميخائيل، أود تنبيهك إلى أن نقلك هنا عن باركلي غير دقيق، مع يقيني أن باركلي يؤمن بمساواة المسيح لله، لأن باركلي هنا لم يكن يعرض رأيه، بل رأي اليهود، فاليهود هم من رأى في إعلان يسوع أنه والآب واحد تصريحاً يقتضي مساواته بالله، فأرجو أن تقرأ ما قبله وما بعده، لترى ذلك، فقد سبقه بسطرين «في نظر اليهود»، وتبعه مباشرة قوله: «وكان العقاب على التجديف كما يقضي بذلك الناموس الموسوي .. أما يسوع فقد واجه ثورتهم» (انظر ص ١٥٥) .

وأود أن تطلعني على رأيكم في قول قاله باركلي في تفسيره، وأسقطه المترجمون إلى العربية، لسبب لا أود ذكره، ووضعوا بدلاً منه فقرة من عندهم تزعم أنه يميل إلى رأي متى هنري في القول بالوحدة الحقيقية، بينما كان وليم باركلي يقول:

«When Jesus said: "I and the Father are one،" he was not moving in the world of philosophy and metaphysics and abstractions; he was moving in the world of personal relationships. No one can really understand what a phrase like "a unity of essence" means; but any one can understand what a unity of heart means. Jesus' unity with God came from the twin facts of perfect love and perfect obedience. He was one with God because he loved and obeyed him perfectly; and he came to this world to make us what he is»

(انظر تفسيره بالإنجليزية ٢/ ٧٦).

وترجمته: «عندما قال يسوع: **"أنا والآب واحد"** ، لم يكن يتحرك في عالم الفلسفة والميتافيزيقيا والتجريدية ؛ كان ينتقل إلى عالم العلاقات الشخصية، لا يمكن لأحد أن يفهم حقـًا معنى عبارة مثل "وحدة الجوهر" ؛ ولكن يمكن لأي شخص أن يفهم ما تعنيه وحدة القلب، جاءت وحدة يسوع مع الله من الحقائق المزدوجة المتمثلة في الحب التام والطاعة الكاملة. لقد كان واحداً مع الله لأنه أحبه وأطاعه تماماً».

بالعموم، باركلي من القائلين بألوهية المسيح بلا ريب، وهو موافق لك وللمفسرين في ذلك، لكن ما علاقة هذا باقتباسي من كتابه، فأنا لم أنقل رأيه من كتابه لترد علي بأنه قال وقال، كل ما صنعتُه أني اقتبستُ منه ما نقله عن المفسرين، فلم أقل لك: «وليم باركلي يقول بوحدة القصد».

بل قلتُ : « نقل هذا المعنى أيضاً المفسر وليم باركلي عن بعض المفسرين المسيحيين الذين لم يسمهم .. فهؤلاء المفسرون لا يرون في النص دلالة على الاتحاد الحقيقي الجوهري ، بل يفسرونه على الاتحاد المجازي، وهو رغبتهم جميعاً في الهداية والرعاية»، وهو الذي نقل عن « البعض أنه قال: إن تلك الكلمة مرتبطة بما سبقها من حديث ، هنا يتحدث يسوع عن الرغبة والاختيار والرعاية والقدرة المعجزية والقطيع الآمن ، وكأنه يقول لهم: أنا والآب واحد في القيام بكل هذه الأعمال، أي أن الوحدة هنا وحدة عمل واتجاه وقدرة»، فهذا كله نقلٌ من باركلي عن غيره من العلماء والمفسرين الذين لا يرون أن هذا النص يتحدث عن الوحدة الجوهرية، ولا يعبر فيه بالضرورة عن رأي باركلي الذي سأعود إليه بعد قليل.

الوحدة المجازية، وحدة الهدف والقصد

وهذا المعنى المجازي للوحدة بين الآب والمسيح أشار إليه الأب متى المسكين حين قال: «كثير من المفسرين غير المستقيمي الفكر أرادوا أن يضعفوا من فهمِ هذه الآية على أنها لا تختص بلاهوت المسيح ومساواته لله الآب» (تفسير يوحنا ١/ ٦٤١)، أعلمُ أن الأب متى المسكين يقول بالوحدة الجوهرية ، فأنا أعرف ذلك، ولا أنقل هنا رأيه نهائياً، فما أنقله ينحصر في أن مفسرين مسيحيين كانوا يفهمون هذه العبارة على معنى الوحدة المجازية لا الحقيقية، ولذلك يتهمهم المسكين بأنهم غير مستقيمين.

وها أنذا أعيد لك ما تفضلتَ به : (لذا قولك بأن المفسرين يقولون بالوحدة المجازية، قول خاطئ)، فهذا لم أقله، فأنا أدرك أن كل المسيحيين الأرثوذكس يقولون بالوحدة الجوهرية ، وإنما قلتُ: « فهؤلاء المفسرون لا يرون في النص دلالة على الاتحاد الحقيقي الجوهري [الجواهري]، بل يفسرونه على الاتحاد المجازي»، فهذا رأيهم في دلالة هذا النص، ولا يعني أنهم منكرون للوحدة الحقيقية، فأنا هنا أناقش معنى النص، وليس أقوال هؤلاء المفسرين في المسيح ومعتقداتهم.

وهذا الفهم للنص نجده أيضاً عند جون كالفن الذي يقول: «لقد استخدم القدماء استخداماً خاطئاً لهذا المقطع لإثبات أن المسيح هو نفس الجوهر مع الآب (homoousis)، المسيح لا يجادل حول وحدة الجوهر ، بل حول الاتفاق الذي لديه مع الآب».

المساواة في القوة والقدرة بين الآب والمسيح

بالعموم، باركلي لم يقل هنا بوحدة الطبيعة والجوهر، وهذا ما يعترف به جنابكم ، لكنه تحدث عن « وحدة عمل واتجاه وقدرة »، وهذا ما يراه جنابكم مساوياً لوحدة الجوهر ، لأن وحدة القدرة بحسب رأيكم (كافٍ لإثبات ألوهية المسيح).

وهذا خطأ منك عزيزي، فوحدة القدرة أو القوة وفق تعبير ترتليان لا تقتضي وحدة الجوهر.

وهنا يحين جواب سؤالكم: (هل حضرتك توافقه في الرأي أن المسيح له نفس القدرة التي للآب (الله)؟

وأجيب: لا ، فالمسيح لا يملك قدرة الله أو الآب المطلقة، ولو فرضنا أنه يملكها أو أنه يملك بعضاً منها، فإما أنها قوة ذاتية له، فهذا يعني أنه الله، وإما أنها قوة مكتسبة فحينذاك لا تعني هذه القوة المكتسبة من غيره أنه الله، بل تعني أن الله أعطاه وأقدره على ما لا يقدر عليه بذاته.

وأما الله فهو كلي القدرة، فلا يوجد من يعطيه تلك القوى ، لأنها صفاته وخصائصه الذاتية.

والصحيح في قوة المسيح أنها كسبية، لا ذاتية.

فأما دليلي على أنه لا يملك قدرة الله ، فهو قوله عن نفسه: «**أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئاً**» (يوحنا ٥: ٣٠)، فليس له في ذاته نفس القدرة الإلهية، ليس له من القدرة إلا ما دُفع إليه «**التفت إلى تلاميذه وقال: كل شيء قد دُفع إليّ من أبي**» (**لوقا ١٠ : ٢٢**)، **وقال**: «**دُفع إليّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض**» (**متى ٢٨ : ١٨**)، ولو دُفع إليَّ أو إليك ما دُفع إليه لم نصبح آلهة، لأنه سلطان مكتسب وممنوح، ونحن بأشخاصنا لا نقدر أن نفعل شيئاً.

ويبدو لي أننا مضطرون هنا لمناقشة رأي وليم باركلي - الذي لم أتعرض لرأيه أبداً - في المسيح المساوي في القدرة للآب .. وهو ليس موضوع نقاشنا، فنحن نتناقش في مسألة الوحدة الجوهرية [الجواهرية] ، وليس موضوع وحدة القدرة، فقد تكون قدرة المسيح لا محدودة كالله، ولا يكون إلهاً وفق كتابكم، وسأضرب لك ثلاثة أمثلة:

١. بلعام بن باعور، وصفته التوراة بأنه « **ويعرف معرفة العلي، الذي يرى رؤيا القدير ساقطاً، وهو مكشوف العينين** » (العدد ٢٤: ١٦)، فهذا الرجل له رؤيا القدير ومعرفة العلي، وليس بإله، لأن هذا مكتسب له، وليس من عنده.

٢. آدم حين أكل من الشجرة صار هو وزوجته « **كالله عارفين الخير والشر .. وقال الرب الإله: هوذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفاً الخير والشر**» (التكوين ٣: ٥، ٢٢).

٣. وكذلك فإن الشيطان حاز صفات إلهية، فقد أمسك الإله يسوع، وأخذ يسوقه من محل إلى آخر، وهو يحاول إغراءه وإضلاله، ثم أخذه إلى جبل عال جداً بحيث يستطيع من فوقه أن يرى كل قارات العالم « **أراه جميع ممالك المسكونة في لحظة من الزمان ، وقال له إبليس: لك أعطي هذا السلطان كله ومجدهنّ، لأنه إليَّ قد دُفع، وأنا أعطيه لمن أريد**» (لوقا ٤: ٥-٦)، فهذا سلطان إلهي لإبليس على جميع الممالك، ولا يصيره إلهاً، لأنه ليس سلطاناً ذاتياً، بل «**إليَّ قد دُفِع**».

وهكذا تبين لك أني لم أكن – كما زعمتَ - غير فاهم لكلام باركلي الذي لم أنقله، بل فهمتُه ، لأني أفرق بين وحدة الجوهر ووحدة القدرة، بينما يرى جنابكم أن هذا هو هذا أو من مقتضياته ولوازمه التي لا ينفك عنها.

الوحدة المجازية، وحدة الهدف والقصد

وأراد جنابكم التأكيد على أن الوحدة جوهرية، فاستشهد بأقوال ثلة من العلماء (Henry Alford، Heinrich Meyer، Henery Mahan، Marvin R. Vincent، A.T.Robertson، Jamieson، Fausset، Brown) ثم نسخة (NET Bible)، وكل هؤلاء كما تفضلت يحللون النص من الناحية اللغوية، ويقولون: النص اليوناني استخدم (ἕν) المحايدة، ولم يستخدم (εἷς) المذكرة، والمعنى أن النص: (يعني أن الوحدة في الجوهر في المقام الأول).

حسناً ، نستطيع بناء على اللغة أن نقول : عندما يستخدم النص (ἕν) المحايدة، فهو يقصد وحدة الجوهر وما تستتبعه من وحدة القوة والإرادة والقصد ، وحين يستخدم (εἷς) فإنما يقصد وحدة القصد والقوة فحسب.

إذا كانت اللغة تقول ذلك في نص «**أنا والآب واحد**» (ἐγὼ καὶ ὁ πατὴρ ἕν ἐσμεν)، فهي ولا ريب تقوله في نص آخر ذكره يوحنا، وهو يتحدث عن التلاميذ المتحدين :

«**ليكون الجميع واحداً كما أنك أنت أيها الآب فيّ، وأنا فيك، ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا، ليؤمن العالم أنك أرسلتني**» (يوحنا ١٧: ٢١).

(ἵνα πάντες ἓν ὦσιν، καθὼς σύ، πάτερ، ἐν ἐμοὶ κἀγὼ ἐν σοί، ἵνα καὶ αὐτοὶ ἐνἡμῖν ὦσιν، ἵνα ὁ κόσμος πιστεύῃ ὅτι σύ με ἀπέστειλας.)

فتأمل قوله: (ἵνα πάντεςἓν ὦσιν ، **ليكون الجميع واحداً**) وقوله: (ἵνα καὶ αὐτοὶ ἐν ἡμῖν ὦσιν **ليكونوا هم أيضاً واحداً**)، فههنا الوحدة عن تلاميذ المسيح، وفيها يستخدم النص (ἕν) المحايدة، ولم يستخدم (εἷς) المذكرة، فهل تقول اللغة هنا أيضاً (يقصد وحدة الجوهر [الجواهر])، فيصبح التلاميذ الاثنا عشر جوهراً واحداً؟

ومرة أخرى تستخدم (ἕν) المحايدة في نص آخر يتحدث عن التلاميذ فيقول: «**احفظهم فى اسمك الذين أعطيتني، ليكونوا واحداً كما نحن** » (يوحنا ١٧: ١١) (ἵνα ὦσιν ἓν καθὼς ἡμεῖς.)، فهل تجعل اللغة تلاميذ المسيح متحدين في الجوهر؟

وفي نص ثالث يتكرر المشهد: « **وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني، ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد**» (يوحنا ١٧: ٢٢).

(κἀγὼ τὴν δόξαν ἣν δέδωκάς μοι δέδωκα αὐτοῖς، ἵνα ὦσιν ἓνκαθὼς ἡμεῖς ἕν).

وفي نص رابع نقرأ عن التلاميذ المتحدين: «**أنا فيهم، وأنت فيّ ، ليكونوا مكملين إلى واحد**» (يوحنا ١٧: ٢٣).

(ἵνα ὦσιν τετελειωμένοι εἰς ἕν،ἐγὼ ἐν αὐτοῖς καὶ σὺ ἐν ἐμοί)

فهل أستطيع من خلال هذه النصوص أن أردد ما تفضلت بقوله عن نص «**أنا والآب واحد**»، حين قلت: (إذاً واضح جداً أن إجماع العلماء على أن الوحدة بين الآب والمسيح هي وحدة جوهرية، وليست فقط قصد وهدف) أم أن اللغة هنا تحابي المسيح على التلاميذ فتصبح (ἕν) في حقه دالة على وحدة الجوهر، وفي حق التلاميذ دالة على وحدة الهدف أو ما أسميتُه بالوحدة المجازية؟

وهذه النصوص الأربعة التي نقلتها لك دفعت العلماء والمفسرين إلى القول بأن «الوحدة التي نادى بها يسوع مع أبيه هي رباط المحبة الذي يربطه مع الآب .. أي أن

هذه الوحدة؛ وحدة شراكة وصلة ومحبة، وليست وحدة طبيعة وذات وجوهر» (تفسير يوحنا، وليم باركلي، ص ١٥٢).

وأنا مضطر هنا للتنبيه على أن باركلي لا يعبر عن رأيه هنا ، بل ينقل ذلك الرأي عن «اتجاه آخر لبعض المفسرين» (انظر ص ١٥١)، وهذا الرأي في فهم النص تجاهله حضرتُك، ولم تنقله لي.

بقي أن أنبهك إلى ما تفيده كلمة «**كما**» من المماثلة، فمعناها (مثلما)، وتفيد المشابهة بين طرفين، وهي تقول: «**ليكونوا واحد كما أننا نحن واحد**»، ومعناه تماثل نوعي الوحدة بين الطرفين، فالتلاميذ متحدون مثلما المسيح والآب متحدون، فإن كانت وحدة الآب والمسيح جوهرية [جواهرية] فالتلاميذ وحدتهم جوهرية [جواهرية] بدليل «كما»، وإن كانت وحدة الآب والمسيح مجازية بمعنى وحدة الغرض والقصد فحسب، فإن وحدة التلاميذ هي أيضا وحدة قصد وغرض.

وهذا هو الصحيح، فإنهم متحدون في محبتهم للخير والإيمان.

وهذا الفهم يتطابق مع ما يقوله وليم باركلي: «وماذا كانت طلبته لأجل الكنيسة، لقد طلب من الآب أن تكون واحدة فيه، كما أنه هو والآب واحد، وما هو نوع الوحدة التي من أجلها يطلب يسوع ؟ إنها ليست وحدة تنظيم، وليست وحدة نظام كنسي معين، إنها وحدة صلة وعلاقة ذاتية » (تفسير يوحنا، باركلي، ص ٤٣٤)، فالحديث عن وحدة الهدف والغرض فحسب، وهنا يعبر باركلي عن رأيه، وليس عن رأي غيره، وتستطيع أن تحاسبني فيما لو اقتطعت بعض كلامه الذي لا يحلو لي.

وما ذكرتُه لكم قبلُ عن الوحدة المجازية، وحدة الغرض والهدف لم يكن مقبولاً عند جنابكم بالجملة حين قلتم: (كلا الوحدتين خاطئتان ، ولا علاقة لهما بالمفهوم السليم عن وحدة المسيح والآب)، لكنه مقبول عندكم تفصيلاً ، فقد قبِل جنابكم وجود الوحدة المجازية، وأصر على أنها تختلف عن وحدة المسيح.

فبخصوص قول بولس: «**الغارس والساقي هما واحد**»، وافقني جنابكم على أن الوحدة هنا وحدة الهدف المشترك، بدلالة السياق، لكن خالفني في تشابه هذه الوحدة مع وحدة المسيح.

لكن ما هو دليلك على هذا التخالف؟

تقول: (المسيح عندما استخدم هذا التعبير (واحد ٤٧) ، لا يكفي أن نقول عنها وحدة جوهرية لمجرد ذكر كلمة (واحد ٤٧)، بل يجب أن نعود للسياق والتركيب اللغوي للعبارة ... إذاً السياق واضح جداً ، فالسياق هو من يحدد معنى الوحدة ، وليس أنا أو حضرتك ... السياق واضح، ولم يتركه بولس الرسول غامضاً ليفسره أي شخص على هواه) إذاً قوله: «**نحن عاملان مع الله**» هو الذي سمح لنا بصرف الوحدة إلى المجاز (الغرض والهدف).

وهنا - بحسب رأيك - يختلف نص : «**أنا والآب واحد**» لأن (المسيح لم يقل أنها وحدة هدف أو قصد، بل تركها وحدة مطلقة)، وهكذا لا تصبح الوحدة مجازية إذا لم يوجد في السياق ما يدل عليه.

حسنا دعنا نطبق قانونك: (الوحدة حقيقية إلا إذا دل السياق على أنها مجازية) على النص التالي، حيث يقول المسيح عن تلاميذه: «**احفظهم في اسمك الذين أعطيتني ليكونوا واحداً كما نحن** » (يوحنا ١٧: ١١)، فأرجو أن تستخرج لي من السياق ما يجعلها وحدة مجازية، فإن لم تجد فإن التلاميذ كانوا جوهراً واحداً، لأنه وفق قولك: (المسيح لم يقل أنها وحدة هدف أو قصد، بل تركها وحدة مطلقة)، وهكذا أصبح التلاميذ الاثنا عشر شخصاً واحداً، له جوهر واحد [جوهر بمعنى ذات، من جواهر]!! أليس هذا ما يوصلنا إليه طريقتك في الاستدلال؟

وبخصوص المثالين الثاني والثالث الذي ذكرتُهما للوحدة المجازية ، فقد اكتفى جنابكم بالقول: (ينطبق عليها نفس القول .. ينطبق أيضاً عليه نفس الفكرة)، ومن جهتي أقول أيضاً: (ينطبق عليها نفس القول .. ينطبق أيضاً عليه نفس الفكرة) فأرجو أن ترجع إليها، وتجيب عليهما.

منهجية الحوار

وهنا أقول: صحيح أن وجود الوحدة المجازية في الكتاب لا يعني بالضرورة أن كل ما في الكتاب من وحدة هو من نفس النوع، ولكن أرجو أن تحضر لي مثالاً واحداً للوحدة الحقيقية من الكتاب المقدس، لن تجد إلا الأمثلة التي تدعيها عن المسيح، وهي ما أخالفك فيها، ولا يمكن أن يكون الدليل عين المدلول، فهذا يسمى بالاستدلال الدائري، وهو مغالطة غير مقبولة في هذا الفن.

جنابكم يرى أني وقعت (انتقائية شديدة في اختيارك لتفاسيرنا المسيحية)، لأني نقلتُ عن وليم باركلي وواين جردوم تفسير العلماء للوحدة «**أنا والآب واحد**» على معنى القصد ، لا الجوهر والذات، بينما نقلتَ لي أقوال سبعة من المفسرين الذين قالوا: إن الوحدة هنا وحدة جوهر، وتركتَ أقوال من قال بأن الوحدة وحدة غرض وهدف، ألم تسمع بهم؟ هل تراهم قلة نادرة ، والنادر لا حكم له؟

لا ، عزيزي الدكتور ميخائيل، إنهم كثرة كاثرة، ووفق قول متى المسكين «كثير من المفسرين»، لكنك لم تنقل عن واحد منهم، وهذا ما يسميه صديقي الدكتور ميخائيل «انتقائية شديدة»، ولا أسميه كذلك ، فكل منا يعلم أن أقوال المفسرين تدور حول المعنيين، ويريد أن ينتصر لرأيه بالاستئناس بآراء علماء، وهو يدري بوجود آراء أخرى، فهؤلاء وهؤلاء أقوالهم للاستئناس، وليس للاستدلال.

الوحدة المجازية، وحدة الهدف والقصد

ودعني أذكر لك بعض الأسماء:

- الناقد إيرنست هاينشن يقول: «اليهود مخطئون تماماً عندما يتهمونه [يسوع] بالتجديف، أنه يجعل نفسه متساوياً مع الله، ولكن في الحقيقة هو يقف في مكان الله فهو مُرسل من قبله» (تعليقات على إنجيل يوحنا ، هاينشن ٧/ ٢١).

- الكاثوليكي الأمريكي جوزيف أ. فيتزميير الذي دعي لإبداء تعليق على الوثيقة أصدرتها لجنة كنسية قال: «اللجنة تنقد الأصولية الكاثوليكية، والتي ترتبط في كثير من

الأحيان بهذا النهج تجاه الكريستولوجيا. ومن الأمثلة على هذا النوع من استخدام NT هو النداء على «**أنا والآب واحد**» لتأسيس ألوهية المسيح» (الكتب المقدسة والكسترولوجيا، فيتزميير، ص ٥٩-٦٠).

موقف المسيح من ادعاء اليهود

وصلنا في حديثنا إلى الموضوع المهم، وهو موقف اليهود من كلام المسيح وجوابه عليهم، فلقد ادعى اليهود أنه جدف، وادعى الألوهية ، فكذبهم المسيح، وأخبرهم أن كتابهم يجعلهم كلهم آلهة ، وألوهيتهم غير حقيقية، وليس من أحد يرى هذا المعنى للألوهية من التجديف، فهذه ألوهية مجازية غير حقيقية، وهي معتادة في الفكر اليهودي .. هذا خلاصة ما قلتُه لك.

فكان ملخص جوابك في هذا الموضوع: المسيح وافق اليهود على رأيهم في أنه يدعي الألوهية، ورفض اتهامهم له بالتجديف، بل أعلن لهم من جديد ألوهيته، وأنه مساو لله حين أخبرهم أنه يعمل أعمال أبيه السماوي.

بخصوص قول المسيح : «**أليس مكتوباً في ناموسكم: أنا قلت إنكم آلهة؟ إنْ قال آلهة لأولئك الذين صارت إليهم كلمة الله.. فالذي قدسه الآب وأرسله إلى العالم، أتقولون له: إنك تجدف، لأني قلتُ: إني ابن الله؟** »، فإني أبدأ بنقل ما قاله الموحد جوزيف بريستلي يقول: «إذا كان المسيح مدرك ذاتياً أنه هو الإله الحقيقي والوحيد ، وأنه من الضرورة القصوى أن تراه البشرية في ضوء هذه الحقيقة ، فإنه بكل تأكيد كان هذا هو الوقت الأنسب للإعلان عن هذه الحقيقة ، بدلا من الاعتذار المخيب الذي قدمه للمستمعين» (المجالات الثلاثة، بريستلي ، ١/ ١٨).

ولننتقل إلى مسائل هذا الجزء:

الأولى: يرى جنابكم أن هذه الفقرة إعلان من المسيح على ألوهيته، وضرب مثالاً صحيحاً للموضوع بأن كلام المسيح يشبه قول ملك من الملوك: (إذا لقب الملك حكامه أمام الناس بلقب (أبناء الملك)، فهل تستكثرون أن يلقب ابنه الوحيد أمام الناس بلقب ابن الملك؟!).

المثال صحيح، ولكنه يحتاج إلى تعديل بسيط ليتطابق مع النص الإنجيلي تماماً ، إذ سيصبح أكثر قرباً من النص إذا قلنا: «إذا لقب الملك حكامه أمام الناس بلقب (أبناء الملك)، فهل تستكثرون أن يلقب الرسول الذي طهره وأرسله إلى العالم بلقب ابن الملك؟!»، فهذا أقرب لقول المسيح مما تفضلتَ به، لأن المسيح قال: « **فالذي قدسه الآب وأرسله إلى العالم** » ، ولم يقل: (ابنه الوحيد)، وهكذا اتضح المعنى الصحيح للنص.. المعنى المتطابق مع النص، والذي لا يخرج عنه.

وهذا المعنى للنص يقول به أ. هارفي: «إن رد يسوع يوضح لغوياً أن هناك عادة في ثقافته الدارجة لاستخدام كلمة " ثيوس " للكائنات التي هي غير الله الواحد» (يسوع وقيود التاريخ، هارفي).

المسألة الثانية: المسيح قال : «**أنا والآب واحد**» ثم لما اتهموه بالتجديف قال لهم: «**أتقولون : إنك تجدف، لأني قلت: إني ابن الله؟** »، وهذا يعني - بحسب رأي جنابكم - أن الكلمتين لهما نفس الوزن والمؤدى، وهو صحيح، وإن كانتا في الحقيقة مختلفتين في المعنى.

معنى بنوة الله

وهذا يقودنا لمعرفة معنى (ابن الله) عند هؤلاء اليهود الذين يحاول المسيح إقناعهم ببراءته من التجديف باستخدام كلمات يفهمون معانيها، وهو يستخدمها ضمن المعنى المتعارف عليه في كتبهم، فهم لم يفهموا قط بنوة الله بمعنى بنوة الطبيعة التي سيقول بها المسيحيون بعد رفع المسيح بمائة سنة.

فلدى اليهود في كتابهم معنى واضح للبنوة، وهو ما طالبهم المسيح بالرجوع إليه حين ذكرهم بما جاء في سفر المزامير: «**إنكم آلهة ، وبنو العلي كلكم**» (المزمور ٨٢: ٦)، فكما أنكم أنتم جميعا أبناء لله، فإني كذلك ابن الله ، بالمعنى الذي تعرفونه للبنوة في كتابكم الذي قال عنكم مراراً: «**أبناء الله الحي**» (هوشع ١: ١٠)، وقال: «**إسرائيل ابني البكر. فقلت لك: أطلق ابني ليعبدني**» (الخروج ٤: ٢٢)، وناداكم: «**يا أبناء الله، قدموا للرب مجداً وعزّاً**» (المزمور ٢٩: ١)، فهذا المعنى للبنوة المجازية مفهوم لدى محاوريه

اليهود الذين يفهمونه بمعنى العبودية لله والصلاح في العمل لمرضاته ، والمسيح يقول لهم: أنا أيضاً مثلكم (ابن الله) بنفس المفهوم الذي تعرفونه ، فأي تجديف في هذا؟.

يقول السوسياني يوهان كيريلوس (ت١٦٣٣م) : «عندما تم الاعتراض عليه ، أنه جعل نفسه الله ، رفض عمداً اسم الله ، واعترف عن نفسه أنه ابن الله ، فكان بعيداً كل البعد عن الاعتراف أو السعي لإثبات أنه هو الإله المتعالي» (كتابان يمسان الإله الواحد الآب، يوهان كيريلوس).

وهنا حاول جنابكم شرح النص من خلال مثال آخر : (المسيح يميز نفسه عن القضاة ، فيقول لهم: إن جاز للناموس المقدس أن يلقب القضاة - وهم بشر - بهذا اللقب الرفيع (آلهة) ، مع أن أحكامهم يمكن أن تُخطئ ، فكم بالحري يحق لي؟! وأنا ابن الله وكلمته بالطبيعة والجوهر ، يحق لي بالأكثر أن ألقب بـ (ابن الله)).

وسأقوم بإجراء تعديل بسيط من خلال النص الإنجيلي ، ليصبح النص أكثر مطابقة لقول المسيح الوارد في الإنجيل: (المسيح يميز نفسه عن القضاة ، فيقول لهم : إن جاز للناموس المقدس أن يلقب القضاة - وهم بشر - بهذا اللقب الرفيع (آلهة) ، مع أن أحكامهم يمكن أن تُخطئ ، فكم بالحري يحق لي؟! وأنا الذي طهره الله وجعله رسولاً للعالم، يحق لي بالأكثر أن ألقب بـ(ابن الله)).

المسيحية والمصطلحات اللاهوتية

فالقول: (أنا ابن الله وكلمته بالطبيعة والجوهر) استعانة بمصطلحات لم يقلها المسيح في حياته أبداً ، ولا يفهمها تلاميذه، ولا يعرفها اليهود، فهو من إضافات المسيحيين بعد المسيح لما عجزوا عن شرح النصوص كما هي وفق منطق اليهود زمن المسيح، فاحتاجوا إلى إضافة هذه المصطلحات (الطبيعة ، الأقانيم، الجوهر، الإرسالية الداخلية وغيرها) مما لا علاقة له بالكتاب المقدس.

لذلك ما زلت أقول: إن أصعب ما يواجه المسيحيين اليوم أن يثبتوا ألوهية المسيح والتثليث من كلام المسيح، من غير أن يلجؤوا إلى المصطلحات المستوردة من خارج الكتاب المقدس.

المساواة في القوة والقدرة بين الآب والمسيح

المسألة الثالثة: هل قبِل المسيح مساواته بالله وأنكر وقوعه في التجديف كما يرى جنابكم ؟ بل هل قال المسيح: أنا مساو لله؟

الجواب: لا ، لم يقل ذلك، بل لم يتهمه اليهود بذلك في هذا الموضع، وإن اتهموه بادعاء الألوهية ، لقد قالوا له: « **لسنا نرجمك لأجل عمل حسن ، بل لأجل تجديف فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلها**»، هذا ما اتهمه به أعداؤه اليهود، ولم يقولوا له : أنت تساوي نفسك بالله .. فالمساواة لم ترد هنا في كلامهم أبداً، كل ما قالوه: (أنت تجعل نفسك إلهاً).

وحين يستشهد جنابكم بـ(يوحنا ٥: ١٨) سنكون أمام نص يعتقد فيه اليهود أن المسيح يدعي مساواة الله: «**معادلاً نفسه بالله**»، وحينها سنتحقق من تلكم الدعوى اليهودية.

رفضتُ أن يكون معنى «**أنا والآب واحد**» المساواة بين (الجسد والابن) المسيح وبين الآب، وزعمتُ وما زلتُ أزعم أن ليس في النص ما يفيد ذلك ، فالوحدة الجوهرية [الجواهرية] لا تعني المساواة، فأراد جنابكم تخطئتي وإثبات العكس، فهلم نقرأ سوياً حجتك على المساواة: (لا أعرف شخصياً كيف كتبت هذا مستنكراً قولي وفي نفس الوقت تقول: إني يمكنني القول بأن المسيح والآب واحد في الجوهر . عزيزي الشيخ ، المسيح والآب واحد في الجوهر معناها بكل بساطة أن المسيح مساوٍ للآب في الجوهر . .. الموضوع بسيط جداً ، لا يحتاج لهذا الاستنكار ...وحدة الجوهر تعني المساواة في الجوهر)، وهكذا فدليلك على أن وحدة الجوهر تعني المساواة أن وحدة الجوهر تعني المساواة، فيصبح المدلول دليلاً، ونعود لمثال : الدليل على أن الشمس طالعة أن الشمس طالعة.

ويواصل جنابكم: (الموضوع بسيط جداً، لا يحتاج لهذا الاستنكار)، وهكذا كان ينبغي أن أقتنع أن الوحدة الجوهرية تعني المساواة!!.

سأقول هنا شيئاً ، وأرجو أن لا تعتبره خروجاً عن الموضوع، لكن هو في سياق الرد على زعمك للمساواة بين الأقانيم بين الآب والابن المتحد بجسد المسيح : الآباء الأوائل لم يكونوا يؤمنون بهذا التساوي بين الأقانيم، وكانوا يرون بعضها دون بعض، وبعضها أعظم من بعض.

وحتى لا نخرج عن موضوعنا إلى تساوي الأقانيم سأكتفي بتعداد بعض الأسماء التي لا تعرف شيئاً عن التساوي المزعوم، وكلهم مؤمن بالإنجيل، ومؤمن أن المسيح والآب واحد، لكن هذا النص وغيره لم يكن كافياً ليقول هؤلاء العلماء بتساوي الابن والآب، فجميعهم يؤمن بمذهب التابعية أو الدونية (يوستينوس ت ١٦٠، ترتليانوس ت ٢٢٠م، أوريجانوس ت ٢٥٤م ، البابا ديونسيوس البطريرك الرابع عشر للإسكندرية ت ٢٦٤م، يوستائيوس أسقف انطاكيا ت ٣٣١م، غريغوريوس أسقف نيصص الملقب بعمود الكنيسة كلها ت ٣٩٥م)، وهذا القول تبناه مجمع مسيحي عقد عام ٣٥٧م في سيرميوم اليوغسلافية، لكن الكنيسة التي انتصرت فيما بعد اعتبرت هذا المذهب هرطوقياً، وضربت بآراء هؤلاء العلماء عرض الحائط.

إن هؤلاء الآباء الكبار جميعاً لا يؤمنون بتساوي الأقانيم، ولن تستطيع أن تقنعهم بقولك: «المسيح والآب واحد في الجوهر معناها بكل بساطة: أن المسيح مساوٍ للآب في الجوهر . .. الموضوع بسيط جداً»، فإنه رغم بساطته ورغم معرفتهم الواسعة بهذا النص وغيره لم يؤمنوا بالمساواة التي تراها ظاهرة واضحة.

هل أعلن المسيح عن نبوته ورسالته؟ (إرسالية الروح والمسيح)

المسألة الرابعة: قول المسيح عن نفسه: «**وأرسله إلى العالم**» أراه إعلاناً واضحاً كالشمس على نبوته ورسالته، ويراه جنابكم «إرسالية داخلية»، وهي عبارة من إنتاج الفكر المسيحي، لا يشاركهم فيها أحد، وبمعنى آخر هي محاولة للتهرب من الإقرار برسالة المسيح المعتادة عند كل الأنبياء والمرسلين، ليتم اختراع ما أسميتَه بالرسالة الداخلية، وتعني أن شخصاً ما يرسل ذاته، أو - وفق عبارتك - يرسل الكلمات التي ولدت في عقله!!

من جهتي أنا لا أرسل كلماتي .. بل أنطقها وأقولها أو أكتبها، وهي لا تحمل طبيعتي، بل تعبِّر عن ذاتي، فأنا مثلاً مكون من لحم ودم وروح ، وكلماتي ليست كذلك، وإن عبَّرت عن مكنوني ورغباتي.

لكني أحياناً أرسل ما أريده مع ابني، وهو مشابه لي في طبيعتي وجوهري، ويعبر كذلك عن مكنوني، أو أرسل إيميلاً يعبر عن مكنوني ، وهو لا يحمل طبيعتي، ولا يشبه جوهري، فهذا ما يسميه كافة الناس إرسالاً، وأما أنت فتسميه: (إرسالية خارجية).

سأفترض ابتداء من الآن أني قد فهمتُ ما لا يفهم في موضوع (الإرسالية الداخلية)، وأنه يوجد عند كل أهل الأرض إرسالية داخلية وأخرى خارجية، لكن بقي أن تثبت لي أن إرسالية المسيح كانت مما تسميه (داخلية)، فإني أزعم أن إرساليته خارجية ، أي تشبه إرسالية الله لسائر أنبيائه ورسله.. فسؤالي هنا كيف عرفتَ أن رسالته داخلية مختلفة عن كل الأنبياء؟

أسالك هذا السؤال، وقد قرأتُ قولَ جنابك: (فإرسالية المسيح ذاتية (داخلية) ، لأنه هو كلمة الله (نطق الله العاقل) وبالتالي هو من نفس طبيعة وجوهر الله (الآب) ، وعندما يرسل الآب كلمته ، هي بذلك إرسالية ذاتية أو داخلية) ، فهذا كلام أنت تقوله، وكلامك شرح، وليس دليلاً ، ومن جهتي لا أسلم لك هذه الفلسفة إلا بعد أن تقيم عليها دليلاً.. أريد دليلاً من كتابك على أن إرسالية المسيح داخلية، ولا أريد شرحك وفهمك، فقد فهمتُه ، وأنا الآن أبحث عن دليله.

وأراد جنابكم شرح الإرسالية الداخلية، فاستشهد بالمزمور ١٠٤، وزعمتم أن معناه: (الله يرسل روحه ليخلق ، فهل لأن روح الله مرسلة ، تعني أنها مختلفة في الطبيعة والجوهر عن الله؟ بالتأكيد لا ، فروح الله تحمل نفس الطبيعة والجوهر ، وهي تخضع لنفس التعبير الكتابي بأن الله يرسلها ، فهي مرسلة).

وبدايةً ، النص لا يتحدث عن روح الله أي صفته الذاتية، بل عن الروح التي يخلقها الله، وتنسب إليه تشريفاً وتكريماً، كما يقال : «بيت الله» و«جبل الله»، وإضافتهما إلى الله

للتشريف والتبجيل فقط، وهذه (الروح) هنا تخالف الله في طبيعتها وجوهرها، فهي روح مخلوقة حادثة، بينما الله أزلي خالق.

ومرة أخرى لا علاقة بين شرحك والنص، فقولك: (روح الله تحمل نفس الطبيعة والجوهر) ، فهذه دعوى تدعيها، لا أسلم لك بها بلا دليل، فلقد قبلتُ من باب الحوار أن تستشهد علي بأقوال المسيح في كتابك ، لكني لم أقبل أن تجعل من كلامك شرحاً ودليلاً في نفس الوقت، لذا أسألك: كيف عرفتَ أن روح الله لها نفس طبيعته وجوهره؟

وهل نطبق هذا على كل أرواح الله السبعة، فهي كلها مرسلة داخلياً إلى العالم، حيث قال سفر الرؤيا: «**ومن العرش يخرج بروق ورعود وأصوات، وأمام العرش سبعة مصابيح نار متّقدة هي سبعة أرواح الله** » (الرؤيا ٤: ٥)، فهل تحمل هذه المصابيح نفس طبيعة الله وجوهره؟ وهل القرون السبعة والعيون السبعة التي للخروف الجالس على العرش تحمل نفس طبيعة الله وجوهره ، لأني رأيت سفر الرؤيا يقول: «**وفي وسط الشيوخ خروف قائم كأنه مذبوح، له سبعة قرون، وسبع أعين، هي سبعة أرواح الله المرسلة إلى كل الأرض**» (الرؤيا ٥: ٦) ، فهل إرسالية هذه الأرواح الإلهية السبعة داخلية أم خارجية؟

معنى «أعمال الله»

المسألة الخامسة: أعمال الله

يقول جنابكم: (المسيح أكمل رده ، بأن أعماله هي أعمال أبيه السماوي ، بل وضعها حجة لكي يؤمنوا به .. فهل يستطيع مجرد نبي أن يصرح ويقول أنه يعمل أعمال أبيه ؟ من هذا الذي يجرؤ أن يقول أنه يمكنه عمل أعمال الله ؟).

وهنا ينصرف ذهنكم إلى معنى غير موجود في النص لمصطلح «أعمال الله»، لأن جنابكم يظن أن المقصود بأعمال الله (الخلق، الرزق، التصرف بالكون، التقدير)، فهذه أعمال الله، لكن ليست هي المقصود في نصنا هذا.

فمصطلح «أعمال الله» في المفهوم الكتابي، يطلق أيضاً على الأعمال التي يطلبها الله منا، كما جاء في سؤال التلاميذ للمسيح: «**فقالوا له: ماذا نفعل حتى نعمل أعمال الله ؟ أجاب يسوع وقال لهم: هذا هو عمل الله، أن تؤمنوا بالذي هو أرسله**» (يوحنا ٦ : ٢٨-٢٩)، فأعمال الله هي ما يطلبه الله من أعمال، وليس ما يقوم به، فالمقصود : الإيمان، وليس الخلق والرزق والتصرف بالكون.

وهكذا فيمكنني شخصياً أن أقوم بأعمال الله، وأن أدعي ما استنكرتَه حين تساءلتَ: (من هذا الذي يجرؤ أن يقول أنه يمكنه عمل أعمال الله؟)، فأنا أجرؤ على هذا، وتلاميذ المسيح كانوا يسألون عن هذا، فهم يريدون أن يعملوا أعمال الله «**ماذا نفعل حتى نعمل أعمال الله؟**»، أي ما يريده الله.

ويصبح معنى قوله: «**إن كنت لستُ أعمل أعمال أبي فلا تؤمنوا بي**» (يوحنا: ١٠: ٣٧)، أي إن لم أكن من المؤمنين الصالحين، فلا تؤمنوا بي.

وهذا الرأي يميل إليه وليم باركلي بقوله: «يسوع هو المعلم الصادق ، لأنه لا يبني حجته، ولا يقيم حقه على أساس كلمات ينادي بها، بل على أساس طبيعته ، وعلى أساس أعماله الصادقة، وهو يقدم الاختبار الحاسم لكل إنسان، ويقدم له الاختبار الحاسم المبني على الأعمال» (تفسير يوحنا، وليم باركلي، ص ١٥٨-١٥٩).

كما ثمة معنى آخر صحيح لعبارة «**أعمال الله**»، وهو أن المسيح يستدل لصحة دعواه بالمعجزات التي هي (أعمال الله) التي يجريها على يديه، كما أجراها على يد الأنبياء السابقين، فموسى شقَّ البحر، واليشع والمسيح وبولس أحيوا أمواتاً، وهم لم يفعلوا هذا في الحقيقة، بل هي «**أعمال الله**» التي صنعها بأيديهم، فالفاعل الحقيقي لها هو رب العالمين، فهو من شق البحر على يد موسى، وهو من شفى المرضى، وأحيا الموتى على أيدي أنبيائه، وقد قال بطرس: «**يسوع الناصري رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده في وسطكم**» (أعمال الرسل: ٢: ٢٢)، فهذه العجائب هي أعمال الله، يصنعها بيد أنبيائه، لتكون دليل نبوتهم ورسالتهم عند أقوامهم.

وهذا الرأي يتبناه التفسير التطبيقي بقوله: «إلا أن معجزاته أثبتت صدق أقواله، فهو حقاً: الله» (التفسير التطبيقي، ص ٢٢٠٧)، فأعمال الله هي المعجزات.

وهنا لا أنكر أن مؤلفي التفسير التطبيقي يؤمنون بالوحدة الجوهرية، وأنهم يؤلهون المسيح ، ويرون أن المعجزات دالة على ألوهيته، فهذه كلها أعرفها، ولست أنكرها ، ولا أخفيها، لكني هنا فقط أقتبس منهم فهمهم لعبارة «أعمال الله» أنها المعجزات، وليست الخلق والرزق والتصرف في الكون.

مفهوم اليهود لنص : (أنا والآب واحد) وموقفهم من المسيح

المسألة السادسة، وهي ما أسماه جنابكم النقطة الأهم، فما هي النقطة الأهم لديكم في هذا الموضوع؟

نقطتكم الأهم أن اليهود لم يتراجعوا بعد الحوار ومحاولة المسيح لإقناعهم بأنه لا يجدف، بل طلبوا أن يمسكوه، وحاولوا رجمه مرة أخرى، فهم مصرون على إدانته، وهنا يقول جنابكم: (كان من المفترض أن نرى اعتذاراً من اليهود للمسيح على سوء الفهم ، أو على الأقل نرى تراجعاً من اليهود ليتركوا المسيح في حاله، لكن هذا لم يحدث).

وههنا يفترض جنابكم أن اليهود كانوا شفافين جداً، وكانوا جادين في البحث عن الحق الصراح، وأن المسيح يترافع في محكمة عادلة نزيهة، رأت في أقواله ما يدل على أنه مدع للألوهية ومستحق للقتل، فإصرار اليهود على تنفيذ هذا الحكم هو النقطة الأهم.

وهذا يقودنا لمسألة مهمة، وهي: لم يعادِ اليهود المسيح؟ ما سبب حرصهم على قتله والتخلص منه؟ هل هم أتقياء معظمون للرب لدرجة أنهم يريدون تطبيق حكم التجديف عليه؟

وأجيبك: لم يكن المسيح أمام محكمة عادلة تقية فهمت منه ادعاء الألوهية وتريد أن تطبق عليه حكم الشريعة، فهم أبعد الناس عن تلكم الشريعة، وكما وصفهم المسيح «**جيل شرير وفاسق**»، ولكنهم عازمون على التخلص منه لسبب سياسي، وليس ديني، يتضح لنا من خلال سياق القصة نفسها.

فلو قرأتَ أولها لوجدتَ أن اليهود كانوا يسألون المسيح عن حقيقة ادعائه المسيانية التي ستوقعهم في مشكلة مع الرومان، لأن المسيا القادم ملك أرضي سيخلصهم من ظلم الرومان واستعمارهم لفلسطين، لذا : « **احتاط به اليهود وقالوا له: إلى متى تعلّق أنفسنا؟ إن كنت أنت المسيح فقل لنا جهراً؟ أجابهم يسوع : إني قلت لكم، ولستم تؤمنون ، الأعمال التي أنا أعملها باسم أبي هي تشهد لي** » (يوحنا ١٠: ٢٤-٢٥)، أي المعجزات التي صنعتها أمامكم تشهد لي بالمسيانية، لكنكم لا تؤمنون.

وهنا رأى هؤلاء اليهود أن المسيح مستوجب القتل، فقيافا رئيس الكهنة شرح لليهود أهمية وضرورة التخلص من أي مدع للمسيانية: « **أنتم لستم تعرفون شيئاً ، ولا تنكرون أنه خير لنا أن يموت إنسان واحد عن الشعب ، ولا تهلك الأمة كلها .. فمن ذلك اليوم تشاوروا ليقتلوه**» (يوحنا ١١: ٤٧-٥٣)، فهم عازمون على قتله لادعائه المسيانية التي ستعيدهم إلى زمن الثائر يهوذا المكابي، وحذراً من ذلك فإنهم سيختلقون الذرائع الكاذبة التي تسوغ لهم جريمة قتل بلا أي مسوغ ديني.

وفي سبيل الوصول إلى غايتهم؛ بحثوا عن مبرر ديني يجيز لهم قتل المسيح، كادعاء الألوهية، وفي سبيل الوصول إلى هذه الغاية بحثوا عن شهود زور : «**وكان رؤساء الكهنة والشيوخ والمجمع كله يطلبون شهادة زور على يسوع لكي يقتلوه** » (متى ٢٦: ٥٩)، فهؤلاء اليهود لم يكونوا أتقياء يبحثون عن أوامر الشريعة وحدودها التي لم تطبق طوال تاريخهم على قاتل نبي أو زان أو عابد بعل ، بل أصدروا حكمهم [السياسي] الظالم مسبقاً بالتخلص من المسيح، ثم شرعوا يبحثون عن مسوغاته ، فلأجل ذلك افترضوا التجديف في كلام المسيح الذي لم يكن يحتمل ما أرادوه.

وهكذا يتبين أن اليهود كانوا ظالمين للمسيح حين اتهموه بالتجديف وادعاء الألوهية، وأن المسيح رد عليهم ، وأخبرهم أن ما يدعيه من ألوهية لا يختلف عما ورد في كتبهم من نسبة الألوهية إلى القضاة وعموم بني إسرائيل، فهي ألوهية مجازية لا تَقبل أن يُتهم صاحبها بالتجديف وادعاء الألوهية.

أجدد الترحيب بكم دكتور ميخائيل، فرغم الأوقات التي نبذلها في الكتابة إلا أن قدح الزناد مفيد، والحوار كفيل بوضع ضمائرنا أمام الحقائق التي سنحاكم في إطارها يوم القيامة، لك تقديري.

الرسالة الثالثة للدكتور ميخائيل

الدكتور منقذ ، سلامة ونعمة رب المجد يسوع المسيح .

أعتذر عن التأخر عن الرد ، ولكني أصبحت مشغولاً جداً في الآونة الأخيرة ، وهذا لن يمنعني من استكمال حوارنا الشيق .

وحدة الآب والابن في الجوهر والطبيعة

تستنكر قولي بأن مفهومك عن الوحدة خاطئ، وتفضلتَ بقولك : (وهنا أسأل جنابك: ألا تؤمن أن وحدة المسيح بالآب وحدة جوهر؟ وألا تؤمن أن وحدة بولس وأبلس وحدة قصد وهدف؟ هذا ما قلته فأين الخطأ في تقسيمي؟ أعتقد أن تقسيمي كان صحيحاً) .

وأنا أطالبك بأن تجد هذا في كلامي ، فأنا لم أتكلم إطلاقاً عن تقسيمك لأنواع الوحدة !

فبالتأكيد لا يوجد إما الوحدة الحقيقية (الجوهرية) أو المجازية !! [1]، لكني تكلمتُ عن تعريفك للوحدة الجوهرية ، وأن المجازية لا علاقة لها بالنص، فالتعريف هو المقصود ، وليس التقسيم أو الاصطلاح ، وهذا ما قلتُه ، ولكن لا أعرف كيف وصل لك على أنه التقسيم ؟!!

حضرتك تقول: (أنا أتحدث عن الوحدة الجوهرية بين يسوع والآب، وهذا ما يقودنا إلى بدعة أو هرطقة المودالية الذين يرون أن الآب هو الابن، فاتحاد الابن في يسوع هو اتحاد للآب أيضاً، لذا كانوا يستدلون بهذا النص على صحة مذهبهم، وهنا وقع الإشكال).

(١) مرة أخرى نذكر القارئ الكريم بأن الدكتور منقذ تحدث عن «الوحدة الجوهرية»، ومراده المعنى الفلسفي لـ(الجوهر)، أي وحدة الجواهر أي وحدة الذوات بين جوهر الله وجوهر يسوع المسيح، أو ما أسماه «الوحدة الحقيقية» ، بينما يتحدث الدكتور ميخائيل عن «الوحدة الجوهرية» بمعناها المسيحي، أي وحدة الجوهر والطبيعة والخصائص بين الآب والابن.

ما علاقة المودالية بحديثنا ؟!

المودالية هرطقة تعتقد أن الآب والابن شخص واحد، وهذا خطأ ، ورددت عليه من التركيب اللغوي ، هل تستدل بهرطقة ؟!

الآب ليس هو الابن، وبالتالي تجسد الابن في يسوع لا يعني تجسد الآب .

دعني أسألك : هل من المنطق أن نقول أن يسوع الإنسان له نفس الجوهر والطبيعة التي للآب ؟!

بالتأكيد لا ، فالإنسان ليس له طبيعة وجوهر إلهي .

فعندما نقول : يسوع (الإنسان) والآب واحد في الجوهر والتي تعني أن يسوع له نفس الطبيعة والجوهر الذي للآب ، سنستنتج لا محالة أن يسوع له طبيعة أخرى غير الطبيعة الإنسانية ، فهذا النص هو لإثبات أن المسيح كلمة متجسد، وليس العكس كما حاولت أن تقول.

حضرتك تسألني : (من هو قائل عبارة: «**أنا والآب واحد**»؟ من هو هذا المتحد بالآب؟ هل هو يسوع الإنسان؟ أم هو كلمة الله المتجسدة في يسوع؟)

بالتأكيد، كلمة الله (الابن) هو المتحد في الجوهر مع الآب ، لأن فهم الوحدة الجوهرية الصحيح يحتم علينا بالمنطق أن نفهم استحالة أن يكون يسوع الإنسان هو المتحد في الجوهر مع الآب ، فكيف يكون الإنسان له نفس الطبيعة الإلهية التي لله إلا إذا كان له طبيعة أخرى غير الطبيعة الإنسانية.

أنا ما زلتُ متأكداً أن الاختلاف بيننا بسبب سوء فهم من حضرتك للوحدة الجوهرية.

قلتُ لك: إن الآباء بشروا بالوحدة الجوهرية في القرن الأول، وأن معظم الآباء في القرون الأولى كانوا يؤمنون بأزلية الابن وبالوحدة الجوهرية.

لذا دعني أسألك هنا : إذا كنت تعرف هذا ، لـمَ تستشهد بفهم الأب إكليمندس الروماني للوحدة المجازية بين المؤمنين ؟؟

بمعنى إذا كنت تعرف أن معظم الآباء فهموا كلتا الوحدتين في سياقهما، ومنهم إكليمندس الروماني ، ففهموا الوحدة الجوهرية بين المسيح والآب ، وفهموا الوحدة المجازية بين المؤمنين ، إذاً ما فائدة استشهادك بفهمهم للوحدة المجازية ؟؟

ببساطة هم فهموا كلتا الوحدتين .

تقول عن وحدة الجوهر بالمعنى المسيحي : (وهو ما لا ينبغي أن نتطرق إليه ، لأنه متعلق بمبحث الثالوث ، والعلاقة بين الأقانيم).

و أنا أسأل حضرتك : إذا كانت الوحدة الجوهرية ليست متعلقة بعلاقة الأقانيم ، إذاً متعلقة بماذاً ؟!

عن أي وحدة جوهرية تتحدث ؟!

بالتأكيد هي علاقة بين أقانيم !

أخطأت حضرتك في فهم الوحدة الجوهرية، وبالتالي في شرحها .

الوحدة الجواهرية (وحدة الذوات) بين الله الآب والمسيح

على العموم ، تتكلم عن كلمة "صار"، وأنها لفظة إنجيلية .

نعم أوافقك، هي لفظة كتابية ، ولكنها تتحدث عن التجسد . ما علاقة التجسد بالوحدة الجوهرية؟!

ما علاقة التجسد بنص : «**أنا والآب واحد**» ؟!

الموضوع بسيط، الوحدة الجوهرية هي وحدة الابن والآب ، لا علاقة باتحاد الابن بالجسد بما نتكلم عنه !

وعلى العموم ، حتى إذا افترضت صحة كلامك، وصدقت أنك كنت تقصد التجسد، سيظل تعريفك خاطئاً، لأنني إذا اعتبرتُ ما قلتَه عن الوحدة الجوهرية هو عن التجسد أو اتحاد الابن بالجسد فلن يكون هذا اعتقادي ، بل هرطقة أيضاً .

حضرتك عرّفت الوحدة الجوهرية كالتالي : (الوحدة الجوهرية بين المواد المتجانسة حيث يتحد الماء بالسكر أو الدم بالماء، ويصبحان مادة واحدة أو جوهراً واحداً ، فهذه الصورة اسميها الوحدة الحقيقية ، وهي ما تؤمن به جنابكم ، حيث يرى أن الآب اتحد مع المسيح جوهرياً ، وهكذا فالمتِحد والمتَحد معه كلاهما إله ، فقد صار جوهرهما واحداً) .

يجب أن تنتبه إلى تشبيهك للتجسد كما لو اتحد الماء بالسكر، والدم بالماء، فهم مواد متجانسة ، وبالتأكيد هذا تشبيه خاطئ تماماً . فأنا كمسيحي أؤمن أن الابن (الكلمة) اتحد بالجسد أي أن اللاهوت اتحد بالناسوت بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير ، وهذا الكلام ستجده في قانون الإيمان المسيحية النيقاوي ٣٢٥ م ، فتشبيهك ما زال خاطئاً ، إذاً ليس هناك علاقة بين كلامك عن التجسد وبين ما أقوله أنا عن وحدة الجوهر .

منهجية الحوار

تفضلت حضرتك بذكر جماعة شهود يهوه واصفاً إياهم بالجماعات الموحدة!!

شهود يهوه – باختصار - يؤمنون بالمسيح على أنه إله، ولكنه ليس يهوه ، بل إله وسيط ، خلقه يهوه ليخلق العالم .

ولا تسألني كيف يكون إلهاً وخالقاً، وهو مخلوق في نفس الوقت ، لأني لن أستطيع أن أجيبك .

تقريباً هي نفس فكرة هرطقة الأريوسيين الذين اتهمناهم بالشرك، ورفضنا هرطقتهم وتمسكنا بإلهنا الواحد.

ولكني لا أتعجب من وصفك لشهود يهوه ، فحضرتك تعتقد أن الأريوسيين موحدين ، فهل كل من أنكر لاهوت المسيح أصبح توحيدي ؟!

دعني أذكرك أني قلتُ بالحرف : (لا يوجد مسيحي واحد يتبع التعاليم المسيحية السليمة ينكر أن المسيح والآب واحد في الجوهر والطبيعة)، وبالتالي أنا أتكلم عن الإيمان المسيحي السليم الذي أؤمن به أنا ، لا أتكلم عن هرطقات أو جماعات تنسب نفسها للمسيحية ، فشهود يهوه يقولون ما يريدونه، ويدعون أنهم مسيحيون .

أيضاً الأحمدية مصممون على أنهم مسلمون .. ولكنهم في الحقيقة فرقة خارجة عن الإسلام ، وغيرها كثير من الهرطقات التي ظهرت في الإسلام ، وبالتأكيد لهم تفسيرهم للقرآن ، فهل أحاسبك بنفس المنطق الذي تحاسبني به ؟!

إذاً كل المسيحيون بالطوائف الثلاثة يؤمنون بالوحدة الجوهرية .

تقول حضرتك : (وبالتأكيد ، أنت لا تقصد بالإجماع كل المسيحيين، بل الطوائف الأرثوذكسية، وأما التوحيديون وشهود يهوه فهم يزعمون أنهم مسيحيون، ويؤمنون بهذه النصوص، ولا يرون فيها دليلاً على ألوهية المسيح، فهم مخالفون في فهمهم لما يفهمه العشرات والمئات الذين ستستأنس بأقوالهم).

ولكن حضرتك لم تنتبه إلى أن مشكلتهم مع النصوص واضحة ، فهم يحرفون ترجمة الكتاب المقدس عن عمد لإنكار لاهوت المسيح، وستجد عشرات الردود على ترجمتهم (العالم الجديد)، فإنكارهم للاهوت المسيح كونه الله (يهوه) واضح من خلال تحريف ترجمتهم، أما فهمُ حضرتك للنص الصحيح سيكون بلا شك أصعب بكثير من تحريفهم .

لا تستشهد بالهرطقات ، اقتبس فقط من تفاسيرنا المسيحية الصحيحة .

تقول حضرتك : (وهنا أذكر بقاعدة منهجية مهمة، نتناولها عادة في حواراتنا داخل المجتمع المسلم: «أقوال الرجال يستأنس بها، ويستدل لها ، ولا يستدل بها »... وأراها صحيحة هنا، فأقوال واين جردوم ووليم باركلي وغيرهم ليست أدلة بذاتها، ولا نصوصاً مقدسة، بل هي فهْمُ رجال عبَّروا عنه في أقوالهم، ويستأنس بها طلاب العلم والحقيقة في حواراتهم).

وبالتأكيد أنا مختلف معك تماماً في هذه القاعدة ، فهي قاعدة يتّبعها المسلمون فقط، أما نحن فأشخاص أكاديميون نأخذ العلم عن أهله حتى ولو اختلفنا معهم .

الكتاب يُفهم من مفسريه وعلمائه، وليس من أشخاص من خلفيات دينية أخرى .

حينما أحب أن أفهم آيات القرآن ، أذهب إلى المفسرين لأتعلم وأفهم منهم، فأنا عندما أحب أن أفهم نظرية طبية ، أذهب لأقرأ لأطباء متخصصين كتبوا في هذه النظرية ، لا أذهب لمهندس مثلاً لأفهم منه .

الوحدة المجازية، وحدة الهدف والقصد

حضرتك تتكلم عن واين جردوم ، وللاختصار فقط سأقول لك : نعم ، جردوم فسر النص على أنه وحدة مجازية، ولكن لا تنسَ أنه كان يفسر النص في صدد الرد على بدعة وهرطقة المودالية القائمة على هذا النص وغيره من نصوص قريبة في المعنى !

وبالتالي حاول أن يلخص تفسير النص في شيء بسيط بعيداً عن الهرطقة.

وعلى العموم تفسيره لا يمكن الاستدلال به ، لأني ذكرت إجماع أغلبية العلماء على الوحدة الجوهرية ، وإذا أردتَ الاستدلال بكلام العلماء ، يجب الأخذ برأي الأغلبية والرأي المتفق عليه .

وهنا يجب عليَّ أن أتوقف لأفهم من حضرتك غرضك من الاستشهاد بجردوم وباركلي، فهل تستشهد بهم بغرض الاستدلال على الوحدة المجازية؟ أم بغرض تنبيهي إلى وجود مفسرين فهموها بهذا الشكل؟ أم ماذا ؟!

باركلي ذكر أن هذا الرأي، ملخصه هو وحدة القدرة والعمل والاتجاه .

منهجية الحوار والنقل عن وليم باركلي

تفضلت حضرتك بقول أن باركلي يقصد أن اليهود هم من فهموا العبارة على أنها مساواة لله .

وأنا أسألك : هل اتفق باركلي معهم على فهمهم أم لا ؟

فحضرتك كان يجب عليك أن تنتبه لباقي سياق كلام باركلي، ففي ص١٥٥ يقول: إن يسوع واجه ثورتهم بمناقشة بنود ثلاثة ، والبند الثاني هو : (وما هو الادعاء؟ إنه وهو إنسان قد جعل من نفسه ابناً لله ، مساوياً نفسه بالله ، ولكي يؤكد السيد هذه الحقيقة العسرة على الأذهان ....إلخ) ، فهنا باركلي يقول: إن المسيح أكد مفهومهم ، ولم يتراجع، بل أكده ، وباركلي أيضاً لم يختلف معهم في فهمهم .

إذا كان باركلي لا يرى في النص أي دلالة على لاهوت المسيح كان من المفترض أن يتساءل : لماذا فهموا كلام المسيح بهذا الشكل ؟ لكنه لم يفعل ، فباركلي يرى النص دليلاً على ألوهية المسيح .

أما بخصوص النسخة الإنجليزية ، فأنا اطلعت عليها من قبل ، وكل ما قاله: أن جمع اليهود ما كانوا ليفهموا معنى الوحدة الجوهرية، لكن وحدة المحبة .

فباركلي يتكلم عما قصده المسيح من المثل الذي صرح به ، وليس ما يقوله نص: «**أنا والآب واحد**»، هو يقول: المسيح أراد أن يصرح بوحدة المحبة مع الآب ، وهذا شرحته من قبل ، فما قصده المسيح في المثل هو وحدة المحبة والقدرة والإرادة، ولذلك صرح بالوحدة الجوهرية .

تقول: إن المترجمين وضعوا فقرة بدلاً منها ، ليزعموا أنه يميل لرأي متى هنري .

ولكن الإضافة من المترجم واضحة جداً في هامش الكتاب ، فهم لم يدعوا أن باركلي من قالها .

وعلى كل حال ، هذه الفقرة ليس لها أهمية، فهي تلخص ما نقله عن المفسرين الآخرين من وحدة المحبة .

عندما قلتُ لحضرتك : (قولك بأن المفسرين يقولون بالوحدة المجازية ، قول خاطئ) ، أنا قصدت فهمهم للنص، وليس إيمانهم الشخصي، فحضرتك لم تفهم كلامي بشكل صحيح ، فأنا لم أتوقف عن هذا القول، بل أكملتُ وقلتُ : (فالإجماع على

الوحدة الجوهرية)، وبالتالي يتضح من كلامي أني أقصد تفسير العلماء للنص، وليس إيمانهم الشخصي.

المساواة في القوة والقدرة بين الآب والمسيح

تفضلت حضرتك بقولك : (بالعموم، باركلي لم يقل هنا بوحدة الطبيعة والجوهر، وهذا ما يعترف به جنابكم ، لكنه تحدث عن «وحدة عمل واتجاه وقدرة»، وهذا ما يراه جنابكم مساوياً لوحدة الجوهر، لأن وحدة القدرة بحسب رأيكم كافٍ لإثبات ألوهية المسيح، وهذا خطأ منك عزيزي).

أعجبني جداً قول حضرتك: (وأما الله فهو كلي القدرة، ولا يوجد من يعطيه تلك القوى ، لأنها صفاته وخصائصه الذاتية)، فحضرتك وفّرت عليَّ الكثير في هذا الحوار .

فحضرتك متفق معي ، أننا إذا أثبتنا أن المسيح له نفس قدرة الله المطلقة ، فستكون قدرة ذاتية له ، وبالتالي يكون هو الله ، لأنها لا يمكن أن تكون مكتسبة ، فالله لا يعطي مجده وصفاته وخصائصه الذاتية لأحد، وخصائصه الذاتية تعني التي ينفرد بها عن البشر من سلطانه وقدرته المطلقة .

عندما سألتُ حضرتك : هل توافق باركلي على أن المسيح له نفس القدرة التي للآب ، أجبت حضرتك بالنفي ، فاسمح لي أن أتعجب هنا ، فحضرتك من اقتبس قول باركلي، وليس أنا !!، فهل حضرتك تقتبس قول من لا تتفق معه ؟!!

تعتقد حضرتك أن قدرة المسيح مكتسبة، وحاولت أن تستدل على كلامك بقول المسيح: «**أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئاً**» (يو ٥ : ٣٠)، ولكن حضرتك لم تنتبه للسياق، واقتطعت جملة من سياق كامل .

حضرتك اقتطعت الآية ٣٠ ، وكان يجب عليك أن تقرأ الآية ١٩ ، ففيها بداية السياق !

المسيح يقول : « **الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لاَ يَقْدِرُ الابن أَنْ يَعْمَلَ مِنْ نَفْسِهِ شَيْئاً إِلاَّ مَا يَنْظُرُ الآبَ يَعْمَلُ. لأَنْ مَهْمَا عَمِلَ ذَاكَ فَهذَا يَعْمَلُهُ الابن كَذلِكَ. ٢٠لأَنَّ الآبَ يُحِبُّ الابن**

وَيُرِيهِ جَمِيعَ مَا هُوَ يَعْمَلُهُ، وَسَيُرِيهِ أَعْمَالاً أَعْظَمَ مِنْ هذِهِ لِتَتَعَجَّبُوا أَنْتُمْ. ٢١لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الآبَ يُقِيمُ الأَمْوَاتَ وَيُحْيِي، كَذلِكَ الابن أَيْضاً يُحْيِي مَنْ يَشَاء»، فالمسيح لا يقول: إنه لا يقدر بمعنى لا يستطيع أن يفعل شيئاً معيناً عجزاً منه . هذا فهم خاطئ من حضرتك .

المسيح يشير إلى المشيئة الواحدة مع الآب ، بمعنى أنه وضع شرطاً للعمل، وهو أن ينظر الآب يعمل ، لأن ما يعمله الآب تكون حسب مشيئته، وهذا يعمله المسيح لأن مشيئته متفقة مع الآب، فالمسيح لا يستطيع أن يفعل شيئاً خارج مشيئة الآب .

سأعطيك مثالاً : عندما أقول: جسدي لا يستطيع أن يفعل شيئاً بدون مخي، فهل معنى ذلك أن جسدي أصبح مشلولاً ، لأني قلت: إنه لا يفعل شيئاً !!؟

لذلك يجب أن نُكمل العبارة والتي ستوضح المعنى ، بأن الجسد لا يمكن أن يعمل في انفصال عن المخ . وبالمناسبة كذلك المخ لا يستطيع أن يعمل شيئاً بدون الجسد .. الاثنان في تناسق مع بعضهما البعض.

مثال آخر : عندما أقول أن الله لا يقدر أن يكذب، فهل أنا أنسب الضعف لله ؟!

بالتأكيد لا ، هذا قمة القوة، وليس ضعفاً ، فأنا لم أقل: إن الله لا يقدر .. وسكتُ! ، بل قلتُ: لا يقدر أن يكذب ، لأن الكذب مخالف لطبيعة الله القدوس .

كذلك المشيئة الواحدة مع الآب ، لا يستطيع الابن أن يعمل في انفصال عن الآب ، والعكس صحيح، لأن المشيئة واحدة، فالنص يوضح قوة المسيح، وليس ضعفه كما تعتقد .

دعني أُكمل الآية والتي ستكون جوهرة السياق، فالمسيح يقول عن نفسه : «**لأن مهما عمل ذاك، فهذا يعمله الابن كذلك**»، وانتبه إلى كلمة «**مهما**»، فمهما كان ما يفعله الله عظيماً ، يستطيع المسيح أن يفعله . هذا كله في أول آية فقط في السياق .

المسيح ينسب لنفسه (التساوي) في القدرة مع الآب ، فهل رأيت المساواة ؟؟

في الآية ٢١ يقول : «**لأنه كما أن الآب يقيم الأموات ويحيي ، كذلك الابن أيضاً يحيي من يشاء**»، فههنا المسيح يعادل قدرته بالآب ، يقول: إنه يستطيع أن يحيي من يشاء، وليس (بإذن الله) كما تدعون .

المسيح يحيي من يشاء ، كما يحيي الآب الأموات، فهي قدرة ذاتية، وليست مكتسبة، فهل القدرة المطلقة التي تكلم عنها هنا المسيح «**مهما**» ستكون مكتسبة ؟! ستكون مكتسبة ممن ؟! هل الله يعطي أحداً قدرته المطلقة ؟!

حضرتك بنفسك وافقتني أنه لا يمكن أن يحدث هذا .

كيف نكرم المسيح؟

أيضاً في الآية ٢٣ يقول المسيح: «**لكي يكرم الجميع الابن كما يكرمون الآب**»، وأنا أسأل حضرتك كيف تكرم الله ؟ أليس بالعبادة والسجود والعمل بوصاياه ؟! هل يوجد إكرام آخر لله؟

هذا أيضاً يجب أن تعمله مع المسيح، فالمسيح يطلب الإكرام مثل الله .

وبالتأكيد الآن اتضح معنى الآية ٣٠ في آخر السياق ، فهو عندما نطق بها ، كان يختصر ما قاله من أول السياق ، كان يجب أن تعود للسياق كاملاً ، لا أن تأخذ آية، وتقتطعها من سياقها .

المساواة في القوة والقدرة بين الآب والمسيح

نأتي إلى استشهادك الآخر وهو (متى ٢٨ : ١٨) ، وفيه المسيح يقول : «**دُفع إليَّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض**»، وعلَّق حضرتك عليها: (لو دُفع إلي أو إليك ما دفع إليه لم نصبح آلهة، لأنه سلطان مكتسب وممنوح، ونحن بأشخاصنا لا نقدر أن نفعل شيئاً).

أنا أعتقد أنه يكفي أن أشير إلى تناقضك، فمنذ قليل قلتَ: أنه لا يمكن أن يعطي الآب صفاته الذاتية لأحد ، والآن تناقض نفسك، وتقول: إن سلطان المسيح المطلق

مُعطى له من الله، أعتقد أن هذا يكفي للإجابة ، ولكن سأوضح لك معنى كلمة (دُفع وأعطى) .

أولاً : تقول المسيح لا يقدر أن يفعل شيئاً ، ثم بعد ذلك أعطيتنا نص يقول فيه المسيح: أن له كل السلطان الموجود ليس فقط على الأرض، بل في السماء أيضاً .

إذاً ماذا تبقى لله ، إذا كان الله أعطى المسيح كل سلطان ؟!

وأعتقد أن «**كل**» في اللغة تعني: (كل).

ثانياً : كلمة «**دُفع**» أو أعطى .. عندما أقول أني أعطيت ليدي مهمة الكتابة ، فهل معنى ذلك أن يدي لم تكن لها هذه الموهبة، ثم بعد ذلك أُعطيت لها ؟ أم الصحيح أن (أعطي) هنا لا تعنى أنه دُفع من شخص آخر غريب منفصل، بل تعني أني نفس ذات الشخص.

فمعنى الآية أن الآب يمارس عمله وسلطانه في الابن، فعندما يقول المسيح: أن الدينونة أُعطيت له ، والآب لن يدين ، فهل معناها أن الله لن يدين؟ وأن البشر هو من سيدين ؟!

بالتأكيد لا ، معناها أن الآب سيمارس الدينونة بالابن، لأنه هو عقله الناطق .

وكذلك أنا ، هل إذا أعطيت يدي مهمة الكتابة ، أصبحتُ لا أكتب ؟ أم الصحيح أني أكتب، ولكن بيدي ، أنطق بكلماتي وحي بروحي .

ستسألني ما هو دليلي على هذا المعنى؟؟

لن أجد إجابة أفضل من إجابة حضرتك : لا يمكن أن يكون هذا السلطان اللامحدود مُعطى لآخر غير الله نفسه .

كل ما أريد أن أقوله أن كلمة «**دُفع**» ليست هي العائق أمام فهم النص، لأن النص اليوناني واضح في هذه الجزئية ، أرجو أن ترجع له .

لكن سلطان المسيح المطلق واضح كالشمس في النص.

بالتأكيد أنا أجيب باختصار جداً ، لأن هذا ليس وقته الآن ، يمكنك استخدام النص في أول دليل لك، وسأجيبك بالتفصيل .

تدعي حضرتك أنه يمكن أن تكون قدرة المسيح لا محدودة، ولا يكون إلهاً حسب الكتاب المقدس، وذكرتَ ثلاث أمثلة . اثنان منهما لا علاقة لهما بالقدرة اللامحدودة ، بل بالعلم ، وبالتأكيد العلم لا يعني القدرة .

ولكن قبل أن أجيب ، أتحدى حضرتك أن تجد شخصاً في الكتاب المقدس يقول: أن له كل سلطان في السماء وعلى الأرض ، أو أن له قدرة غير محدودة مطلقة في كل شيء، مثلما قال المسيح .

وعلى العموم سأرد باختصار .

أولاً : بلعام وصفته التوراة بأنه يعرف معرفة العلي ..إلخ . (العدد ٢٤ : ١٦)، وبالتأكيد هذا النص لا يتكلم - لا من قريب ولا من بعيد - عن قدرة أو حتى عن علم لا محدود.

النص يتكلم عن استعلان الله لبلعام ، فهو يتكلم عن رؤيا الله التي يراها بلعام ، وبالتالي هو مكشوف العينين ، يرى رؤيا القدير ومعرفة الله التي يظهرها له، فهو يسمع كلام الله ، فما المشكلة في هذا النص ؟!

يوحنا اللاهوتي تلميذ المسيح ، عندما أظهر المسيح له رؤيا عظيمة عن نهاية العالم، هل - بذلك - تعتبر قدرته لا محدودة ؟!

يوسف في القرآن ، هل علمه غير محدود لأنه رأى رؤيا .

هل يقول النص أن بلعام يستطيع كل شيء مثل الله ؟

بالتأكيد لا ، النص لم يتكلم حتى عن هذا.

ثانياً : آدم وحواء ومعرفة الخير والشر ، النص لم يذكر أن لديهما علماً أو قدرة لا محدودة ، بل النص يحدد صفة محددة، وهي معرفة الخير والشر .

يجب أن نتفق على شيء، يوجد صفات ذاتية لله ، وهي التي لا يشترك فيها أي مخلوق معه ، ويوجد صفات لله ، ونشترك نحن معه فيها .

بمعنى : الخلق مثلاً أو السلطان والقدرة غير المحدودة ..إلخ هي صفات خاصة بالله وحده ، لا يشترك معه فيها أحد .

لكن عندما أقول: الدكتور منقذ رجل (صالح) ، ثم أقول عن الله: (الصالح) بألف ولام التعريف، لأن الصلاح المطلق لله وحده ، لكن هناك أناس صالحون .

كذلك عندما أقول فلان شخص (مُحِب) ، أما عن الله فهو (المُحِب) . نحن نشترك معه في هذه الصفة أيضاً ، لكن بفارق .

الله قال في التوراة : «**نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا** ...إلخ» (تكوين ١ : ٢٦)، فالله نفسه هو من قال أننا سنشترك معه في صفات ، مثل التسلط على سمك البحر والحيوانات ، أن نكون بإرادة حرة كما أن الله له إرادة ..إلخ ، ويمكن أن أُعدد لك مئات الصفات المشتركة .

فهل لمجرد أن آدم وحواء عرفا الخير والشر سيصبحان بقدرة وعلم لا محدودين ؟!

ثالثاً : بالنسبة للشيطان ، هو حاز على قدرات خارقة عن البشر في الكتاب المقدس وفي القرآن أيضاً ، فما المشكلة ؟! هل الشيطان له السلطان المطلق في الكتاب المقدس؟

الشيطان كان ملاكاً ، بل رئيس الملائكة يوماً ما، وبالتالي له قدرات الملائكة ، فهل قدرة الملائكة غير محدودة في عُرف حضرتك ؟!

أما عن تجربة المسيح ، فالمسيح بناسوته سمح للشيطان أن يجربه بإرادته، وحضرتك متفق معي أن المسيح لو كان نبياً فقط لكان من الممكن أن يسحق هذا الشيطان في لحظة ، فما بالك بالله؟!.

المسيح جاء ليجربه الشيطان ، حتى لا يأتي شخص اليوم فيقول : إن المسيح لو جربه الشيطان لكان سيسقط ، فهذا لم يحدث .

هل الشيطان له قدرة مثل الله في الكتاب المقدس؟

الإجابة : لا ، وعليك أن تجد هذا في كتابنا المقدس .

أما بخصوص قول الشيطان: أن الممالك دُفعت له ، فهل كل ما يقوله الشيطان لك ستصدقه ؟! من الذي دفع الأرض في سلطان الشيطان ؟! هل تعتقد أن الله سيفعل هذا ؟

سماح الله لا يعني موافقته.

المسيح قال عن الشيطان : « **رئيس هذا العالم يأتي، وليس له فيَّ شيء**» (يو ١٤ : ٣٠)، المسيح يعلن أن الشيطان ليس له سلطان عليه .

عليك أن تجد شخص في كتابنا المقدس له قدرة غير محدودة مثل الله بالتحديد .

وحدة الآب والابن في الجوهر والطبيعة

تفضلت حضرتك بالتعليق على أقوال العلماء بقولك : (حسنا ، نستطيع بناء على اللغة أن نقول : عندما يستخدم النص (ἕν) المحايدة ، فهو يقصد وحدة الجوهر، وما تستتبعه من وحدة القوة والإرادة والقصد ، وحين يستخدم (εἷς) فإنما يقصد وحدة القصد والقوة فحسب).

ولا أعرف كيف توصلت إلى هذا الفهم لكلام العلماء !! أين ذكر العلماء أنه بمجرد رؤية (ἕν) تعني وحدة جوهرية ؟! أو (εἷς) ستعني مجازية ؟

هذا الفهم ليس له وجود في كلام العلماء !

استشهدتُ بكلام العلماء لسببين :

أولاً : لأنهم ردوا على هرطقة الموداليه من خلال لفظة (واحد)، وصححت المفهوم، أن النص لا يعني أن الابن والآب شخص (أقنوم) واحد ، بل شيء واحد .

ثانياً : أنهم يفسرون السياق بالوحدة الجوهرية ، وأردتُ أن أوضح لك أن أغلبية المفسرين يقولون بالوحدة الجوهرية (هذا فهمٌ للنص، وليس إيماناً شخصياً) ، ففهمك لكلامهم ، لا يعنيني في شيء، وأنا أطالبك أن تجد فهمك هذا في كلام العلماء .

كلمة (واحد) لها علاقة بالرد على المودالية.

تسألني : هل (ἕν) المحايدة تجعلنا نقول: إن التلاميذ جوهر واحد ؟

السؤال لا علاقة له بكلام العلماء.

وسأجيبك بكل بساطة : نعم ؛ بها أو بدونها التلاميذ جوهر واحد، وطبيعة واحدة، وليسوا شخصاً واحداً .. التلاميذ بالفعل مشتركون في جوهر وطبيعة واحدة هي الطبيعة الإنسانية .

تقول أن كلمة «كلما» تفيد المماثلة، ولم تقدم دليلاً ، وهذا خطأ كلمة «كما καθώς» في اليونانية ، تفيد المشابهة لا التطابق والمماثلة، وتُترجم (just as)، وهذا الرد موجه لحضرتك ولمن قالوا بوحدة المحبة بين المسيح والآب فقط من العلماء .

الوحدة المجازية، وحدة الهدف والقصد

أما بخصوص ردي على ما قاله حضرتك، فالنص يقول : أن يكونوا متحدين في صلة المحبة، لأنه لا يوجد أحد يقول أن المسيح كان يدعو أن يكونوا جوهراً وطبيعة واحدة ، فالمسيح يقول: (ليكونوا واحداً) أي أنهم في هذه اللحظة لم يكونوا واحداً ، وبالتالي هو لا يقصد هذا المعنى ، بل رباط المحبة وغيرها .

تقول أني تجاهلت هذا الرأي (وحدة المحبة) ، وبالتأكيد أنا لم أتجاهله لأنه يدخل ضمن الوحدة المجازية، وأنا قمت بالرد عليها من قبل .

تقول: (وما ذكرتُه لكم قبلُ عن الوحدة المجازية، وحدة الغرض والهدف لم يكن مقبولاً عند جنابكم بالجملة حين قلتم: (كلا الوحدتين خاطئتان ، ولا علاقة لهما بالمفهوم السليم عن وحدة المسيح والآب)، لكنه مقبول عندكم تفصيلاً ، فقد قبِل جنابكم وجود الوحدة المجازية، وأصر على أنها تختلف عن وحدة المسيح).

أنا لم أقل إطلاقاً : إن مصطلح الوحدة المجازية مصطلح خاطئ ، بل قلتُ: إنه لا علاقة له بالنص الذي نتحدث عنه ، فأنا لم أرفض الاصطلاح أو التقسيم ، بل رفضتُ تعريف الوحدة الجوهرية، وقلتُ: إن الوحدة المجازية لا علاقة لها بالنص .

حضرتك تقول : (حسناً دعنا نطبق قانونك (الوحدة حقيقية إلا إذا دل السياق على أنها مجازية) على النص التالي، حيث يقول المسيح عن تلاميذه: «**احفظهم في اسمك الذين أعطيتني، ليكونوا واحداً كما نحن**» (يوحنا ١٧: ١١)، فأرجو أن تستخرج لي من السياق ما يجعلها وحدة مجازية، فإن لم تجد فإن التلاميذ كانوا جوهراً واحداً، لأنه وفق قولك: (المسيح لم يقل أنها وحدة هدف أو قصد، بل تركها وحدة مطلقة)، وهكذا أصبح التلاميذ الاثنا عشر شخصاً واحداً، له جوهر واحد!! أليس هذا ما يوصلنا إليه طريقتك في الاستدلال؟).

فهمك لكلامي لا يعنيني في شيء ، يعنيني فقط ما قلتُه .

أنا قلتُ: إن المسيح تركها وحدة مطلقة عن عمد، وليس لأن السياق ليس فيه دلالة ، بل إن سياق قول المسيح هو الدال أيضاً .

ولكن اختصاراً ، سأرد على طلبك بأن أجد دليلاً في السياق أن وحدة التلاميذ المقصودة هي المجازية، وليست الجوهرية !، فأنت تخلط بين مفهوم الهرطقة الموداليه (كون المسيح والآب شخص واحد) ومفهوم الوحدة الجوهرية التي تعني وحدة الطبيعة والجوهر ، فحضرتك تعتقد أننا إذا طبقنا مفهوم الوحدة الجوهرية على التلاميذ ، سيجعلهم شخصاً واحداً !

وهذا ما قلته لك من قبل، إنك تخطئ في معنى الوحدة الجوهرية .

نأتي لطلبك ، بالتأكيد أنا رددت من قبل، لكن سأذكرك .. التلاميذ بالفعل طبيعة واحدة، وهي الطبيعة الإنسانية، فإذا وجدنا اثنين يقولان : «**نحن واحد**»، فهل من المنطق أن نفهم أنهم يقصدون أنهم طبيعة إنسانية واحدة؟ أم أن هناك معنى مجازي خلف هذا الاصطلاح؟؟

بالتأكيد : معنى مجازي ، لأن المعنى الأول بديهي جداً.

تطالبني أن أجد مثال غير المسيح والآب على الوحدة الحقيقية[١].

وها أنا ذكرت لك وحدة التلاميذ، وسأذكر لك وحدتنا ، فأنا وحضرتك شخصان ، ولسنا شخصاً واحداً، ولكننا مشتركون في طبيعة وجوهر إنساني واحد ، فأنا لدي طبيعة إنسانية كاملة ، وحضرتك كذلك .

دعني أذكر لك مثالاً آخر ذكره حضرتك، حين قلت : (لكن أحياناً أرسل ما أريده مع ابني، وهو مشابه لي في طبيعتي وجوهري) ، فحضرتك تعترف أنك وابنك طبيعة وجوهر متشابه .

ورغم أنه مصطلح غير دقيق ، لأنه ليس فقط متشابه، بل هو متطابق . فكلاكما له نفس نوع الطبيعة، وهي الطبيعة الإنسانية .

إذاً كلامي ليس "مغالطة الاستدلال الدائري".

منهجية الحوار

تقول: (جنابكم يرى أني وقعت (انتقائية شديدة في اختيارك لتفاسيرنا المسيحية)، لأني نقلت عن وليم باركلي وواين جردوم تفسير العلماء للوحدة «**أنا والآب واحد**» على معنى القصد ، لا الجوهر والذات، بينما نقلتَ لي أقوال سبعة من المفسرين الذين قالوا: إن الوحدة هنا وحدة جوهر، وتركتَ أقوال من قال بأن الوحدة وحدة غرض وهدف، ألم تسمع بهم؟ هل تراهم قلة نادرة ، والنادر لا حكم له؟).

بالتأكيد أنا نقلت فقط سبعة لأن رسالتي لا تحتمل المزيد ، الموضوع بسيط يا دكتور! لكني قلت لحضرتك: يمكنني أن أعطيك المزيد (المئات) من المفسرين، وعليك أن تطلب فقط .

---

(١) تنبيه: يستخدم الدكتور ميخائيل «الوحدة الحقيقة»، بمعنى «الوحدة الجوهرية» بمعناها المسيحي، بينما الدكتور منقذ يستخدم «الوحدة الحقيقة» بمعنى: «وحدة الذوات» أو «وحدة الجواهر» بين جوهر **الله** وجوهر يسوع المسيح، لا «الوحدة الجوهرية» بمعناها المسيحي: وحدة الطبيعة والخصائص.

بالتأكيد من يقولون بالوحدة المجازية هم نسبة قليلة مقارنة بمن يقولون بالوحدة الجوهرية، وقول الأب متى المسكين يتكلم عن العدد، وليس النسبة ، فهم كُثر ، لكنهم قلة مقارنة بالأغلبية الذين يقولون بالوحدة الجوهرية .

بالتأكيد لهم الحق في التفسير، ونحن لنا الحق أن نصحح لهم، والمئات من العلماء ردوا عليهم ، وصححوا أخطاءهم، فلماذا نأخذ رأيهم ونترك إجماع الأغلبية؟ أليس رأي الأغلبية ما يؤخذ به في الإسلام في التفسير؟!

ويجب أن تنتبه أن استشهادك بأقوال العلماء بالوحدة المجازية (الأقلية) وانتقاءك يعتبر مغالطة تسمى "مغالطة القناص".

اقتبست حضرتك قول هاينشن، وهاينشن يقول:

" The Jews are therefore completely mistake when they accuse him of blasphemy : he makes himself equal to god . He actually stands in the place of god as the one sent by him and who is completely at one with the sovereignty of god" "

حضرتك اقتطعت آخر جملة في الفقرة، وأنا أعتقد عن عمد، لأنها كانت آخر الفقرة، وحضرتك تركتها ، وتقول : « والذي هو تماماً واحد مع سلطة (سيادة) الله».

وصراحةً ، لا أعرف ما علاقة الاقتباس بما تقوله حضرتك !! هذا الاقتباس ضدك ، وليس في صالحك ، فالرجل يقول: إن اليهود أخطؤوا حينما اتهموا المسيح بالتجديف، لأنه بالحقيقة مرسل من الله ، وواحد مع الله .

وهذا ما قلته لك من قبل: إن التجديف يصح في حالة واحدة ، إذا كان المسيح – حاشا له – يكذب ولا يقول الحقيقة ، لكن طالما المسيح هو بالفعل المُرسل، وبالفعل هو الله المتجسد ، هذا لا يعتبر تجديفاً .

وأنا أسألك إذا افترضنا صحة فهمك لكلام هاينشن ، هل هذا معناه أن هاينشن لا يؤمن بلاهوت المسيح ويؤمن أنه فقط رسول ؟! هل هذا ما يقوله هاينشن في نظرك ؟! سأترك الحكم لك .

الوحدة الجواهرية (وحدة الذوات) بين الله الآب والمسيح

ولكن دعني أسألك : هل حضرتك تعتقد أن الوحدة الجوهرية هي الوحدة الذاتية هي أن المسيح والآب شخص واحد ؟!

ذكرتني بحوارك مع الصديق جرجس حين سألته حضرتك : (ما معنى قوله: « أنا والآب واحد»، هل يعني أنهم شخص واحد ، كمثل ذوبان الملح في الماء أو الشاي في الماء ؟ أي وحدة الذوات).

وبالمناسبة ملحوظة: كون الابن والآب شخصاً واحداً كما تقول المودالية ليس معناه وحدة الذوات، فالمصطلح الذي تطلقه عليها مصطلح خاطئ ، فنحن نعترف بوحدة الذات بين الآب والابن، لكنهم ليسوا نفس الأقنوم .

موقف المسيح من ادعاء اليهود

تستشهد بقول جوزيف الذي تسميه موحداً ، ولكن الحقيقة أنا لا أرى أي اعتذار في كلام المسيح لليهود ، فالمسيح لم يعتذر ولم يتراجع . هذا فهم جوزيف الذي هو بطبيعة الحال فهم حضرتك للنص، وهذا الفهم لا يلزمنا في شيء، لذلك لن تجد غير الملحدين ورافضي الإيمان المسيحي السليم لتستشهد بهم ! وبالتأكيد جوزيف أو غيره ليسوا حجة على الفكر المسيحي .

الملحد بارت إيرمان الذي تسميه حضرتك :"العلامة" هو يعترف ولا يجرؤ أن ينكر أن نص: «**أنا والآب واحد**» وغيره من النصوص تعترف بلاهوت المسيح، فهل هو الآخر فهمه سقيم ، ثم تستدل به في وقت آخر؟!

هل أعلن المسيح عن نبوته ورسالته؟ (إرسالية الروح والمسيح)

تقول: إن المثال الذي اقتبسته صحيح، لكنه يحتاج لتعديل ، وما هذا التعديل ؟!

تقول : (الرسول الذي طهره وأرسله إلى العالم بدلاً من ابنه الوحيد) ، طبعاً كلمة "الرسول" هذه إضافة واختراع من حضرتك ، فالمسيح لم ينطق بها ، وهو مُرسل إلى العالم، لكنه ليس رسول بالمعنى الذي تحاول إقحامه في النص .

وردي باختصار أن الجملتين لهما نفس المعنى ، المرسل المنتظر (المسايا) المسيح كلها ألفاظ متساوية، وتساوي لفظة (ابن الله الوحيد) ، وبالمناسبة المسيح قالها في آخر عبارته ، قال: إنه ابن الله .

وبالمناسبة ما قلتُه هو ليس استدلال ، فأنا لم أقدم دليلاً على كلامي ، أنا فقط ذكرتُ أنه لا فرق، وأنه ليس خطأ مني، أما الدليل فيأتي في وقته .

موقف المسيح من ادعاء اليهود

اقتبس حضرتُك كلام أ.هارفي ، ولا أعرف ما المشكلة في كلامه ، أو ما وجه الاعتراض الذي تقدمه باقتباسك هذا !! فهارفي يؤكد ما قلته أنا وما قاله حضرتك أيضاً، فنحن لم نختلف في هذه الجزئية إطلاقاً !!

نعم كلمة (ثيؤس) التي تعني (آلهة) أو إيلوهيم بالعبرية ، كانت تُطلق على القضاة والذين هم بطبيعة الحال ليسوا (الله) ، ولكن ممثلين له حينما يحكمون بشريعته، ولذلك تُطلق عليهم . ما المشكلة إذاً ؟!! هذا ما قلته لك، لقد شرحت لك المفارقة التي أجراها الرب يسوع مع القضاة !

معنى بنوة الله

نأتي الآن إلى موضوع لم أكن أريد فتحه لأنه طويل، ومن المفترض أن يكون موضوعاً منفصلاً، ولكن سأرد باختصار حتى يحين وقته ، فحضرتك حاولت أن تشرح لي معنى "ابن الله" في الفكر اليهودي ، فقلتَ: إن اليهود لم يفهموا معنى البنوة الذاتية أو بالطبيعة، وأن المسيحيين هم من أضافوها لاحقاً !

وهنا سأضطر إلى أن أقسم ردي إلى قسمين :

الأول : من العهد القديم وتفاسير يهودية .

الثاني : من العهد الجديد وكلام المسيح نفسه وفهم اليهود أيضاً .

أولاً : نبوات العهد القديم .

«**من صعد إلى السماوات ونزل ؟ من جمع الريح في حفنتيه ؟ من صر المياه في ثوب ؟ من ثبت جميع أطراف الأرض ؟ ما اسمه ؟ وما اسم ابنه إن عرفت؟**» (الأمثال ٣٠ : ٤)، الآية واضحة جداً ، كل تلك الصفات التي تتكلم عنها الآية ، هي لله وحده ، ثم تقول: وما اسمه ؟

بالتأكيد الإجابة : الله .

«**وما اسم ابنه ؟**» ولاحظ - عزيزي الشيخ - أن الآية تتكلم عن شخص محدد، شخص مفرد فتقول: (ابنه) بصيغة المفرد ، وليس الجمع ، فالابن هنا شخص محدد ، وليس كل اليهود .

وهذا سيقودنا للتفريق بين "أبناء الله" بالجمع، و "ابن الله" بالمفرد، فبالجمع تعني البنوة الانتسابية لله ، أما البنوة المفردة فتعني شخصاً محدداً بعينه، وهو المسايا أو المسيح المنتظر، فهو ابن الله الوحيد (في هذا النوع من البنوة) .

يقول جركي اليهودي : (هذا العدد عن المسايا الذي هو اسمه: قوة العلي، وهو الله معي)، فهذا يهودي، وعرف جيداً أن الملقب بـ (ابن الله) هنا هو المسايا الذي لقبه عمانوئيل (الله معنا) ، «**لأنه يُولد لنا ولد، ونُعطى ابناً، وتكون الرياسة على كتفه، ويُدعى اسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام**» (أشعياء ٩ : ٦)، هنا أيضاً نجد «**ابناً**» بالمفرد، فهو يتكلم عن شخص محدد، وهذا الابن سيكون اسمه : (عجيب مشير وإله قدير) وغير ذلك، سيكون أبدياً، وبالتأكيد كل هذه الصفات تنطبق على المسيح فقط، لأنه هو الله المتجسد.

يقول ترجوم يوناثان : (النبي أعلن لبيت داود أنه : وُلد لنا ولد ، وأُعطينا ابناً ، الذي أخذ التوراة على نفسه ليحفظها ، ودُعي اسمه الذي يعطي المشورة الحسنة: الإله القدير، والذي يحيا إلى الأبد ، المسيح الذي في يومه سيزداد السلام لنا).

(المرجع : Huckel، T. (1998). The Rabbinic Messiah (Is 9:6). Philadelphia: Hananeel House)

يقول مدراش رابّاه على مراثي إرميا : (ما هو اسم الملك المسيح ؟ يقول راباي أبّا بن كهانا : اسمه يهوه ، كما هو مكتوب (إر ٢٣ : ٦) وهذا هو اسمه الذي يدعونه به: يهوه برنا ، ويقول راباي ليڤي : إنه لشيء جميل أن يُدعى اسم إقليم كاسم ملكه ، واسم ملكه كاسم إلهه ، كما هو مكتوب (إر ٢٣ : ٦)) المرجع : Ibid).

يقول التلمود البابلي : (Baba Bathra 75 b) (عن المسيح مكتوب (إر ٢٣ : ٦) اسمه يهوه برنا)

(المرجع : Huckel، T. (1998). The Rabbinic Messiah (Je 23:7). Philadelphia: Hananeel House.).

وهناك عشرات من أقوال اليهود الذين عرفوا جيداً أن المسيح (المسيا) ليس إنساناً عادياً، بل هو مساوٍ ليهوه نفسه، وهو المقصود بلفظة (ابن الله) في النبوات.

وبالتأكيد، أنا لا أقول: إن كل اليهود فسروا النبوات بنفس هذا التفسير ، ولكن هناك من فهموها هكذا ، والنبوات لا نستطيع تفسيرها بشكل كامل وصحيح إلا عند تحقيق هذه النبوة، حينها تتضح الصورة كاملة ، وهذا ما حدث بتجسد المسيح .

وللأسف بعض اليهود حاولوا تضعيف هذه المصطلحات بعد انتشار المسيحية، ليحاربوا المسيحيين، ولكن أقوالهم السليمة موجودة ، ورغم عدم اتفاقهم على تفسير النبوات ، لكنك ترى جيداً أهمية تلك المصطلحات في كتاباتهم ، ومدى ثقلها عليهم: (المسيح ، المسيا ، ابن الله) كلها مصطلحات ثقيلة عندهم لا يمكن النطق بها دون حق.

ثانياً : كلام المسيح وفهم اليهود المعاصرين ، فالمسيح يقول عن نفسه: أنه ابن الله الوحيد: «**لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية**» (يو ٣ : ١٦) .

سؤالي الآن : إذا كان مصطلح ابن الله الذي قصده المسيح ينطبق على كل اليهود، وهو يعرف هذا جيداً ، لماذا يلقب نفسه بـ (ابن الله الوحيد) ؟! ألا يوجد ابن آخر لله غيره؟!

دعني أشرح لك ما معنى (الوحيد) هنا .

المسيح يقصد ابن الله الوحيد من هذا النوع، أي البنوة الذاتية بالطبيعة والجوهر، وليس بالبنوة الانتسابية التي يشترك فيها كل اليهود وغير اليهود أيضاً ، فنحن جميعاً أبناء الله بالخلق ، بينما المسيح هو الوحيد من نوعه (وحيد الجنس) .

حضرتك، هل تقبل أن المسيح (كرسول في الإسلام) يقول عن نفسه أنه (ابن الله)؟ حتى ولو قصد البنوة الانتسابية؟ ألا تعرف أن هذا كفر في الإسلام ؟

هل تقبل أن يكون المسيح قد أخطأ هذا الخطأ العظيم ؟

وأرجو أن ترجع لموقع إسلام ويب لتعرف حكم هذا الاصطلاح في الإسلام .

مفهوم اليهود لنص : (أنا والآب واحد) وموقفهم من المسيح

نأتي إلى فهم اليهود المعاصرين للمسيح، فأثناء محاكمة المسيح في مجمع السنهدريم رفض المسيح أن يتكلم فقال له رئيس الكهنة : «**أستحلفك بالله الحي أن تقول لنا : هل أنت المسيح ابن الله ؟ قال له يسوع : أنت قلت ... فمزق رئيس الكهنة ثيابه قائلاً : قد جدف، ما حاجتنا بعد إلى شهود ، ها قد سمعتم التجاديف**» (مت ٢٦ : ٦٣ -٦٦)، نعم أنا أوافقك أنهم كانوا يبحثون عن شاهد ، لكن عندما اعترف المسيح أمامهم ، لم يحتاجوا أي شهادة أخرى .

أما رئيس الكهنة (اليهودي) فلم يقل له : هل تدعي أنك الله أو تساوي نفسك بالله ؟ بل قال له نفس العبارة، لكن بمصطلح آخر يفهمه كل يهودي : هل أنت المسيح ابن الله؟ بمعنى : هل تقول عن نفسك أنك المسايا ابن الله ؟

والمسيح هنا لقب، وليس اسماً، فهم لم يشكوا في شخصيته كما ادعيت حضرتك ، اسمه يسوع الناصري، وعندما وافق المسيح على هذا، وقال له: أنت قلت؛ أعلن رئيس الكهنة أن هذا تجديف على الله ويجب معاقبته .

تجديف على الله ، لماذا ؟! لمجرد قوله : إنه ابن الله ، فإذا كان رئيس الكهنة يعتبر نفسه (ابن الله)، لماذا حكم على المسيح بالتجديف لأنه قال عن نفسه: إنه المسيح (ابن الله)؟

ولماذا اقترنت لفظة (ابن الله) بلقب المسيح في سؤال رئيس الكهنة ؟! وهل سيترك المسيح نفسه للصلب دون أن يبرأ نفسه أمام المحكمة ؟ لماذا لم يقل لهم المسيح: أنتم أيضاً أبناء لله ، أليس هذا وقتها الصحيح ؟!

لن تجد أي إجابة ، إلا أن ابن الله تعني بنوة ذاتية بالطبيعة والجوهر كما قال المسيح: «ابن الله الوحيد».

وبالتأكيد عبارة المسيح: «**أنت قلت**» تعني موافقة المسيح على ما قاله رئيس الكهنة، فالمسيح أكمل، وقال : «**أيضاً أقول لكم** ...إلخ»، فهو أكمل رده زيادةً عما قال رئيس الكهنة.

«**وأنت قلت**» معناها : أنت قلتَ بنفسك، وترجمتها نسخة NET bible كالتالي :

(You have said it yourself)

ولماذا سجد اليهود للمسيح معترفين أنه ابن الله إذا كانوا هم أيضاً أبناء الله؟

حتى ولو فعلوا أخطاء ، فالإنسان يخطئ عشرات المرات كل يوم، ومع ذلك نحن أبناء الله ، فالمصطلح الانتسابي ليس له علاقة بالعلاقة مع الله .

«**والذين في السفينة جاءوا، وسجدوا له قائلين: بالحقيقة أنت ابن الله**» (متى ١٤ : ٣٣)، والمصطلح واضح جداً ، ليس فقط يعني البنوة الانتسابية، بل شيء أعظم، وهو البنوة الذاتية، وهذا فهمه اليهود جيداً ، وكذلك التلاميذ، ومكتوب في الإنجيل أيضاً : «قال عن نفسه: إنه ابن الله معادلاً نفسه بالله).

ودائماً كان عامة اليهود (البسطاء) يحاولون رجم المسيح لقوله: إنه ابن الله .

أنا لا أتكلم فقط على رؤساء الكهنة السياسيين ، بل جموع اليهود أيضاً ، فالكل يعرف المصطلحات جيداً.

هذا رد مختصر، وسيأتي وقت تفصيله .

تقتبس كلام يوهان كيريلوس، والعجيب أنك تنتقي أيضاً في هذه الجزئية ما يعجبك، وتتغاضى عن الباقي.

هل تستطيع أن تقتبس قول باركلي أو جردوم في هذه الجزئية ؟

على العموم حتى كلام يوهان الذي أتيت به حضرتك اقتطعته من سياقه، فالرجل يقول: المسيح اعترف أنه ابن الله ليبتعد عن الإله المتعالي ، ويجب أن تنتبه لكلمة (المتعالي)، فهذا صحيح ، مصطلح ابن الله رغم أنه يعادل الله نفسه ، ولكنه لا يعني الله المتعالي ، لأن ابن الله تعني: الله المتجسد ، الله الظاهر في صورة بشر ، فهو ليس المتعالي الذي لا يستطيع أن يتجسد أو يظهر للإنسان ليتفقد حاله أو ليخلصه ، فهذا ليس إلهنا ، نحن إلهنا تجسد، وأخلى نفسه آخذاً صورة عبد ، صائراً في شبه الناس .

فأنا لا أختلف مع يوهان في هذا الكلام . وأرجو أن تقتبس منه بصورة صحيحة اقتباساً كاملاً للسياق، وأن ترسله في رسالتك القادمة .

فهل يوهان يؤمن أن (ابن الله) لا تعني (الله) نفسه المتجسد؟!

المسيحية والمصطلحات اللاهوتية

قمتَ بمحاولة أخرى للتعديل على المثال الذي قدمتُه، إذ تقول : ((أنا ابن الله وكلمته بالطبيعة والجوهر) استعانة بمصطلحات لم يقلها المسيح في حياته أبداً ، ولا يفهمها تلاميذه، ولا يعرفها اليهود، فهو من إضافات المسيحيين بعد المسيح لما عجزوا عن شرح النصوص كما هي وفق منطق اليهود زمن المسيح، فاحتاجوا إلى إضافة هذه المصطلحات (الطبيعة ، الأقانيم، الجوهر، الإرسالية الداخلية وغيرها) مما لا علاقة له بالكتاب المقدس).

وعلى العموم ، أنا أجبت على مصطلح (ابن الله) من قبل ، لذا لن أعيد كلامي، ولكن سأجيب فقط على نقطة عدم وجود بعض المصطلحات في الكتاب المقدس .

تقول: إن المصطلحات التي نستخدمها لم يقلها المسيح، ولم يعرفها التلاميذ !

أولاً : أي تلاميذ تقصد؟! تلاميذ المسيح في الكتاب المقدس وكُتاب الأناجيل والرسائل عرفوها جيداً ، وبعضها قالوها بالحرف مثل الجوهر وغيرها .

ثانياً : الاصطلاح ليس المهم ، بل المفهوم هو المهم .

كلمة الثالوث أو غيرها لم تذكر في الكتاب المقدس ، فنحن من سميناها ، لكن المفهوم موجود ، كذلك مصطلح الإرسالية الداخلية ، دعنا نلغي هذا المصطلح ، ماذا تريد أن تسميها؟!

المصطلح ليس هو المهم ، رغم أهميته في اللاهوت، لكن المفهوم هو المهم، المصطلح يعبر فقط عن المفهوم .

وبالمثل في القرآن : كلمة (التوحيد) لا نراها في القرآن، لكن الصحيح هو أن المفهوم من المفترض أنه موجود ، وهذا هو المهم .

عبارة الله الأزلي الأبدي عالقة في أذهانك أيضاً ، وتعرفونها جيداً ، وتستخدمونها ، فهل تستطيع أن تجد لي في القرآن قول الله عن نفسه : «أنا أزلي وأبدي ؟».

لا يوجد ، لكن يوجد المفهوم ، لذا الاصطلاح ليس هو المفهوم . دعنا من المصطلحات ، ماذا تحب أن نسميها ؟

وحدة الآب والابن في الجوهر والطبيعة وتساوي الأقانيم

تقول : (وهكذا، فدليلك على أن وحدة الجوهر تعني المساواة: أن وحدة الجوهر تعني المساواة، فيصبح المدلول دليلا، ونعود لمثال : الدليل على أن الشمس طالعة أن الشمس طالعة).

عندما تحدثتُ عن أن الوحدة الجوهرية تعني المساواة في الجوهر ، أنا لم أقدم أي دليل، أنا فقط وضحت لك أنها ليست خطأ عفوياً مني، وأن الآباء واللاهوتيين استخدموا نفس المصطلح .

أما أنا لم أذكر هذا من باب الاستدلال إطلاقاً ، ولكن إذا كنت تريد الدليل ، فسأعطيك .

عندما أقول (الوحدة الجوهرية)، أعني أنهم من نفس الطبيعة والجوهر ، وبالتأكيد ؛ الجوهر أو الطبيعة شيء غير مادي ، لا ينقسم أو يتجزأ ، فلا يمكن أن نقول: فلان طبيعته أثقل من طبيعة فلان ، أو فلان لديه ضعف طبيعة فلان .

وبالتالي عندما أقول: إن المسيح والآب واحد في الجوهر ، أي أن لهما نفس الجوهر والطبيعة ، فبذلك هما متساويان في هذه الطبيعة والجوهر .

فأنا وحضرتك لدينا نفس الطبيعة الإنسانية، وبالتالي نحن متساوون في الطبيعة .

ذكرت مثالاً لا علاقة له بمفهوم الجوهر والطبيعة ! فأنت تقول : (الآباء الأولون لم يؤمنوا بهذا التساوي) ، هل بعض الآباء أصبحوا (الآباء) بالألف واللام ؟!

أنا الآن يمكنني أن أعطيك عشرات الاقتباسات من الآباء في القرون الأولى عن تساوي الأقانيم !

أنا أقبل أن أحاورك في هذا الموضوع بالتحديد، وسأثبت خطأ كلامك، فليس من ذكرتهم بالفعل آمنوا بهرطقة التبعية (الدونية).

نعم أنا أتفق أن أوريجانوس تكلم عنها بشكل غير صريح، لكن ليس كل من ذكرتهم تكلموا عنها .

قلة هم من تكلموا عنها، وأخطؤوا ، ويحاسبون على هذا.

وأعلم جيداً أن هناك بعض المراجع التي تدرج ترتليان - على سبيل المثال - من ضمن القائمة لكن هذا غير صحيح بالمرة ، هل تستطيع أن تجد لي قولاً واحداً لترتليان مثلاً يصرح فيه بهذا ؟!

لن تجد ، وفي المقابل سأعطيك عشرات الاقتباسات له تُثبت العكس، لذا أرجو أن نجعل هذا موضوعاً منفصلاً، لأنه طويل جداً .

وعلى سبيل المثال لا الحصر سأذكر بعض الاقتباسات:

١. العلامة ترتليانوس (١٦٠ – ٢٢٥ م)، فهو يقول : (تعلمنا أنه آتي من **الله** ومولود، ولهذا يُدعى ابن **الله**، وهو **الله** ، لأنه واحد في الجوهر ، لأن **الله** روح، وعندما يخرج الشعاع من الشمس ، لا تزال الشمس في الشعاع ، لأن الشعاع هو شعاع الشمس، فهو بدون انفصال، ولكن امتداد، وكذلك الروح انبثق من الروح، و**الله** من **الله** (...) وكلهم واحد) (المرجع : . Tertallianus Apol V21 P19)

٢. يقول أيضاً : (يُعتقد أننا لا نؤمن بإله واحد ، ولكن نقول أنه نفس الذات هو الآب والابن والروح القدس بوحدانية الجوهر، وسر اللاهوت محفوظ، وهو وحدانية وثالوث ، يبرز ثلاثة ، الآب والابن والروح القدس، ولكن ليسوا ثلاثة فى الظروف أو الترتيب أو الجواهر، ولكن في الوحدانية) (المرجع : Tertalliani adv Praxeam C2 P501)

٣. القديس هيبوليتوس (١٧٠ – ٢٣٦ م) كاهن بروما يقول : («**أنا والآب واحد**» (يو ١٠ : ٣٠) **دعه يحضر ويسمع** ، هو لم يقل: أنا والآب أكون واحداً ، بل أنا والآب نحن نكون واحداً ، لأن الابن لا يشير إلى أقنوم واحد، فهما أقنومين ، ولكن جوهر واحد) (المرجع : Hippolyti Contra Noetum C7 Vol 2 P11)

فهل الآباء - بالألف واللام - لم يؤمنوا بتساوي الأقانيم وأنهم واحد في الجوهر ؟!

ها هو كلام ترتليان يثبت الوحدة الجوهرية والتساوي، وسنأتي لهذا الموضوع بالتفصيل فيما بعد .

منهجية الحوار والاستشهاد بالهراطقة

وبالمناسبة من أخطأ وآمن بالهرطقة ليس حجة على عقيدتنا ، فهم قلة جداً ، وليس كما قلت حضرتك .

وعندنا أقول أن الموضوع بسيط وسهل فهذا موجه لحضرتك، ولهم أيضاً ، لا مشكلة على الإطلاق.

وأُذكرك أن الكنيسة لم تنتصر عليهم، وكأننا في حرب، بل تم عقد مجامع كثيرة في تاريخ الكنيسة للرد على الهرطقات ، فالموضوع ليس انتصاراً بالقوة، بل بالرأي الحكيم المدعوم بالكتاب المقدس، فالكتاب لا يخدم إطلاقاً فكر التبعية بمعنى الدونية .

ودعني أُذكرك أن الإسلام أيضاً ظهرت فيه مئات الطوائف والهرطقات وكثير من أراء صحابة كبار تندرج تحت آراء خاطئة وصحابة آخرين يكذبونها، فما المشكلة إذاً ؟! لا يوجد مشكلة ، بل إن رأي أغلبية الآباء واضح بتساوي الأقانيم .

وأنصحك بقراءة كتاب رائع عن الهرطقات التي ظهرت في تاريخ الإسلام، واسمه «معجم الفرق الإسلامية» لشريف يحيى الأمين، والكتاب بأكمله عبارة عن معجم فقط للفرق التي ظهرت، مع إعطاء نبذة بسيطة عن كل فرقة .

وفي فهرس الكتاب ، تجد الفرق مرتبة أبجدياً ، وفي حرف الألف فقط تجد عشرات الفرق منها: المشبهة ، الصوفية ، المعتزلة ، الأحمدية وغيرها .

هل أستشهد بالهرطقات في حواري معك في الإسلام ؟! أم أستشهد بتفاسيرك السنية الصحيحة ؟

لا تستشهد بالهرطقات .

هل أعلن المسيح عن نبوته ورسالته؟ (إرسالية الروح والمسيح)

تقول: إن كلماتك تعبر عن ذاتك، لأنك مكون من لحم ودم وروح، وكلماتك ليست كذلك .

وأنا قلتُ بالحرف: (الكلمات تولد من العقل، وتحمل طبيعة العقل)، فهل عقلك مكون من لحم ودم؟

تسألني: كيف عرفت أن إرسالية المسيح داخلية ؟ وتطلب مني الدليل .

أولاً : أنا لا يهمني أن أثبت لك أن المسيح إرسالية داخلية ، بل عنيت فقط أن أثبت لك أن روح الله تخضع لنفس التعبير الكتابي، ولا تناقض طبيعة الله .

إذاً بذلك لا يصح أن تستخدم تعبير إرسالية المسيح لتناقض به طبيعة المسيح ووحدة الجوهر .

أما أنا فلا يعنيني أن أثبتها لك الآن ، فهي تنتج عن فهم لاهوت المسيح وعلاقة الأقانيم ..إلخ ، وليس العكس .

حضرتك تدعي أن روح الله المذكورة في مزمور ١٠٤ لا تعني روح الله كأقنوم، بل الأرواح المخلوقة ، وهذا مفهوم غير موجود إطلاقاً في كتابنا المقدس، فالأرواح في كتابنا المقدس ليس لها سابق وجود قبل تكوين الجنين وولادته ، على عكس الفكر الإسلامي.

رغم تأثر بعض اللاهوتيين في القرون الأولى بكلام أوريجانوس الذي له أخطاؤه الكثيرة والذي تأثر بفكر الفلسفة الأفلاطونية ، والقديس أوغسطينوس حسم هذا الموضوع في حواره مع القديس جيروم . وستجد المزيد في هذا الأمر في كتاب للبابا شنودة بعنوان : "الأرواح بين الدين وعلماء الأرواح" .. هذا الكلام هرطقة بالنسبة لنا .

أما في كتابنا المقدس ، روح الله هي صفته الذاتية ، وفي بدايات كتابنا المقدس في سفر التكوين ، نجد أن روح الله ترف على وجه المياه ، قبل الخلق، لذا أطالبك بالتفسير المسيحي.

نعم ، أوافقك أننا أحياناً نسمي "بيت الله" تشريفاً للمكان ، ولكن لأن روح الله تكون حاضرة بالفعل في المكان ، بما يُسمى عند اليهود : "الشكينا" ، والتي تعني حضور روح الله القدوس في وسطنا .

و لكن هذا لا ينفي أن روح الله المذكورة تعني أقنومه أو صفته الذاتية ، بل تؤكد كلامي .

وحتى لا نتجادل حول موضوع لا يهمنا الآن ، سأنهي هذا الجدال بأن أعطيك آيات أكثر وضوحاً تحمل نفس المعنى.

«**ومن علم مشورتك لو لم تؤت الحكمة ، وتبعث روحك القدوس من الأعالي**» (الحكمة ٩ : ١٧)، «**روحك القدوس**» هي روح الله ، و«**من الأعالي**» أي من سماء السماوات ، وكلمة «**تبعث**» هي ترسل، لا فرق على الإطلاق .

المصطلح الكتابي موجود في العهد القديم عشرات المرات . فالنص واضح ، روح الله القدوس هو من يحل على الشخص لإعطائه الحكمة والرؤيا، مثل بلعام ، إذا كنت قرأت عنه ، ستجد أن روح الله القدوس كان يحل عليه ، ليعطيه الحكمة التي يتفوه بها أمام الناس .

أيضاً الرب يسوع نفسه تكلم عن إرسالية أقنوم الروح القدس: «**وَمَتَى جَاءَ الْمُعَزِّي الَّذِي سَأُرْسِلُهُ أَنَا إِلَيْكُمْ مِنَ الآبِ، رُوحُ الْحَقِّ، الَّذِي مِنْ عِنْدِ الآبِ يَنْبَثِقُ، فَهُوَ يَشْهَدُ لِي**» (يو ١٥ : ٢٦)، فالمسيح نفسه قال: إنه سيرسل المعزي ، الذي هو روح الحق ، أي روح الله، لأن الحق هو الله .

وغير ذلك، فهو ينبثق من الآب ، والانبثاق يمكن أن تقرأ عنه في علاقة الأقانيم ، فأقنوم الابن مولود من الآب ، أما الروح القدس فمنبثق منه .

والمسيح يقول: سأرسله ، يتكلم عن روح الله أنها مرسلة . نفس المصطلح .

وهذا حدث بالفعل في يوم الخمسين ، عندما حل الروح القدس على التلاميذ في العليقة على هيئة ألسنة من نار .

الموضوع واضح جداً في كتابنا المقدس .

إذاً (روح الله) الذي يحمل نفس طبيعة وجوهر الله ، يخضع لنفس التعبير الكتابي الذي خضع له الابن في الكتاب المقدس ، وهو تعبير الإرسالية ، فالإرسالية لا تتناقض أبداً مع وحدة الطبيعة والجوهر.

انتهينا من هذه النقطة .

حضرتك تقول : (ومرة أخرى لا علاقة بين شرحك والنص، فقولك : (روح الله تحمل نفس الطبيعة والجوهر) ، فهذه دعوى تدعيها، لا أسلم لك بها بلا دليل، فلقد قبلتُ من باب الحوار أن تستشهد علي بأقوال المسيح في كتابك ، لكني لم أقبل أن تجعل من كلامك شرحاً ودليلاً في نفس الوقت، لذا أسألك: كيف عرفتَ أن روح الله لها نفس طبيعته وجوهره؟).

أولاً : إذا كان شرحي للنص الذي هو بطبيعة الحال شرح المفسرين له عبر قرون المسيحية ، ليس له علاقة بالنص ، فأي شرح سيكون له علاقة به ؟!

ثانياً : تسألني : كيف عرفتَ أن (روح الله) لها نفس الطبيعة والجوهر ؟

الإجابة بكل بساطة : لأنها روح الله .

فعندما أقول لك: إن الإنسان له روح إنسانية ، ليس من المفترض أن تسألني كيف عرفت أنها إنسانية وليست من طبيعة أخرى، لأن الإجابة حينها ستكون: لأنه إنسان، وبالتالي روحه من نفس الطبيعة الإنسانية ، فالإنسان له روح إنسانية ، والحيوان له روح حيوانية ، والله روحه إلهية من نفس الطبيعة .

هل رأيتَ – من قبل – حيواناً له روح إنسانية ؟!

بالتأكيد هنا أنا لا أتكلم عن حلول روح أخرى في الكائن ، أنا أتكلم عنه روح هذا الحيوان . بالتأكيد لا ، روحه لها نفس طبيعته الحيوانية .

أما بالنسبة للدليل الكتابي على ما قلته ، فدعنا نرجع إلى قول المسيح عن روح الحق . المسيح يقول : «روح الحق الذي من عند الآب ينبثق»، فروح الله تنبثق من الله (الآب) ، وبالتالي تحمل نفس طبيعته وجوهره .

الابن أيضاً مولود من الآب، وبالتالي يحمل نفس الطبيعة والجوهر الإلهي .

تتكلم أيضاً عن سفر الرؤيا الذي رفضته في حوارك معي، ولكنك تستشهد به الآن ، على العموم ، السفر من اسمه هو سفر رؤيا، بمعنى أن الله يريد أن يعلن عن أحداث مستقبلية في صورة مجازية نستطيع أن نستخلص منها ما يريد أن يعلنه الله لنا .

وإذا رجعتَ إلى تفاسيرنا المسيحية فستجد أن كل الأوصاف المذكورة لها دلالات أخرى، فالخروف القائم يُقال عنه في نفس السفر كأنه مذبوح، ويجلس على العرش ، وبالتالي هذا إشارة إلى السيد المسيح رب المجد، وهو يجلس على العرش بعد صلبه وقيامته وصعوده ، فكأنه مذبوح ، تشير إلى الصلب والكفارة ، فالمسيح من ألقابه «خروف الفصح» ، وهكذا كل السفر هي أمور رمزية لها دلالات .

أما بخصوص الرعود والبروق الخارجة من العرش ، فتشير إلى الدينونة ، والأرواح السبعة تشير إلى روح الله القدوس ، ورقم سبعة يشير إلى كمال ومجد وعمل الروح القدس .

وهنا يجب على حضرتك أن تستنتج أن المصابيح والنار هي إشارات أيضاً ، وليس بالمعنى الحرفي لها ، فهي تشير أيضاً إلى عمل الروح القدس (الدينونة والتوبيخ) .

وبالتأكيد طالما هي روح الله ؛ فإرساليتها داخلية .

معنى «أعمال الله»

حينما سأل التلاميذ المسيح عن أعمال الله ، يقصدون حسب السياق ، كيف يعملون الأعمال الصالحة التي تجعلهم يرثون الملكوت ؟ وليس معناها معجزات خلق وغيره، فأنا أتفق معك حتى الآن ، ولكن ما علاقة هذا بما قاله المسيح ؟!

تقول حضرتك: إن أعمال الله المقصود بها المعجزات، وليست الخلق والرزق والتصرف في الكون، ألا تؤمن أن المسيح خلق ؟! فكيف تقول: إن المعجزات المقصودة ليس الخلق ؟

فهل يجرؤ حضرتك أن تقول: أنك تعمل أعمال الله بمعنى معجزات الخلق؟!

قول التلاميذ لا علاقة له بما قاله المسيح ، فالمسيح يتكلم عن أعمال يعملها ، واليهود رأوها جيداً.

موقف اليهود من المسيح

تقول: إن اليهود ليسوا شفافين، وتستدل بأقوال رؤساء الكهنة، هل رؤساء الكهنة هم كل اليهود ؟!

أنا أتكلم عن عامة اليهود ، البسطاء منهم ، الموجود في شوارع أورشليم يستمعون لكلام المسيح .

لا أتكلم عن خبث الكتبة والفريسيين أو أمثالهم ، فهؤلاء هم من رفضوا المسيح عن عمد بسبب سياسي.

أما جموع اليهود ، فالإنجيل يقول عنهم: إنهم تعلقوا بالمسيح ، وهؤلاء من قبلوا المسيح .

أما من كانوا يصرخون: اصلبه ، اصلبه ، فهم رؤساء الكهنة وخدامهم .

فأنا أتكلم عن عامة اليهود ، الذين لم يترددوا للحظة أن يرجموا المسيح، لأنهم يعرفون جيداً ثقل مصطلحات المسيح ، وأنها تشير إلى المساواة مع الله أو على الأقل ادعاء الألوهية ، والاثنان يعتبران تجديفاً.

حضرتك تتكلم في موضوع آخر لا علاقة له بسؤالي!

مفهوم اليهود لنص : (أنا والآب واحد) وموقفهم من المسيح

ما زال حضرتك مصراً على أن المسيح ردَّ عليهم ، وصحح لهم مفهومهم ، ولم تقدم دليلاً واحداً ، وأنا شرحت لك أن المسيح كان يرد على تهمة التجديف، وليس كونه إلهاً في نظرهم، وسأنقل لك نص كلامك الذي اقتبسته من الأب متى المسكين في حوارك مع الصديق جرجس ص ٣٢

حينما قال الأب متى : (يأتي رداً على ادعائهم أن كون المسيح إلهاً يعتبر تجديفاً)، هذا ما استشهدت به حضرتك في كلامك .

الأب متى يوافقني الرأي في أن المسيح كان يرد على تهمة التجديف، وليس كونه إلهاً، فهو الله ، لكنه ليس بمجدف .

وفي ختام كلامي ، أجدد ترحيبي بحوار حضرتك ، ولكن إذا كنتَ متضايقاً بسبب ضيق الوقت ، فلا مشكلة ، يمكن تأجيل الحوار حتى تتحسن ظروفنا ، فكلانا لديه مشاغله .

سعيد جداً بحوار حضرتك ، لك مني كل التقدير والمحبة .

الرسالة الثالثة للدكتور منقذ

الصديق العزيز الدكتور ميخائيل، تحية طيبة وبعد.

أشكر لكم دوام تواصلكم، وآمل أن نستديم هذا الحوار الماتع بيننا رغم زحمة مشاغلنا.

منهجية الحوار

وقبل أن نبدأ باستكمال مناقشة استدلالكم بنص : «**أنا والآب واحد**»، فإني أود تسجيل بعض النقاط المنهجية المهمة:

أولاً: أصول الاستدلال الصحيح تقوم على أن تستدل على المخالف بالدليل الذي يُسلِّم به، لأنه يؤمن بقداسته، أو لأنه يسمح بالاستدلال به تنزلاً في الحوار، ولا يصح أن تستدل عليه بما لا يعتقد صحته، فمثلا لا يجوز لي أن أستدل عليك بالقرآن الكريم، لأنك لا تؤمن به، وبالمقابل يفترض أن لا تستدل علي بما لا أؤمن به من نصوص كتابك، فالإنجيل لا أؤمن به، وأعتقد تحريفه، فلا حجة بنصوصه علي.

واستبقاء للحوار رضيتُ - من باب التنزل في الحوار- أن تستشهد علي بأقوال المسيح الواردة في الأناجيل، من غير أن أجيز لك أن تستشهد علي بأقوال غيره كبولس الذي أراه مؤلهاً للمسيح، وكذلك أقوال من تابعه من علماء المسيحية طوال تاريخ المسيحية، فهؤلاء جميعاً لم أقبل حجيتهم، كما أنك لا تقبل حجية القرآن الكريم والسنة النبوية وأقوال الصحابة والتابعين والعلماء المسلمين، لذا لا أحتج بهم عليك أبداً.

لكن جنابكم لم يلتزم الاستدلال بنص كلام المسيح فحسب، بل شرع يستدل بأقوال علماء المسيحية في مختلف القرون، وهم - كما أسلفتُ - ممن لا أسلم بحجية قولهم.

وهنا قد تقول: أنا أفسر نص قول المسيح بأقوال هؤلاء العلماء المسيحيين، فهم أدرى بمراد المسيح من العوام ومن غير المسيحيين.

وهذا القول صحيح في الجملة، لكنه يضعنا أمام أزمة إثبات مسألة ألوهية المسيح من أقواله المبثوثة في الأناجيل، فالمسيحية لا تملك أدلة صريحة تثبت ألوهية المسيح من قوله فحسب، ولو كان ما تورده من أدلة صريحاً لقامت الحجة والدلالة فيه على كل من يؤمن بالإنجيل من المسيحيين أو من يسلِّم به من المحاورين من غير حاجة إلى تفسير مفسر.

لكن هذه الدلالة الصريحة منعدمة، بدليل أن الفرق المسيحية المختلفة في التاريخ القديم والجديد لم ترَ في هذه النصوص أدلة تثبت أن المسيح هو الله.

وأقرب مثال في القديم الأريوسية، وأما في الحديث فشهود يهوه، فهؤلاء آمنوا بقداسة النصوص الإنجيلية، ولم يروا فيها أدلة على تأليه المسيح، أو اشتراكه في الثالوث الأقدس، لأنها عندهم غير كافية في الدلالة، أو لا دلالة فيها البتة.

وذلك أن هذه الأدلة محتملة لمعانٍ مختلفة ، فهي لا تنهض بنفسها للدلالة على ما تريده، وحينذاك فالمستدل بها - كجنابكم- محتاج لترجيح المعنى الذي يختاره للنص من أقوال العلماء، الذين يصير فهمهم للنص جزءاً من الدليل، لأن النص وحده غير كاف في الدلالة.

لذا أجدد مطالبتي لك بالدليل الصريح المُحْكَم، وهو الدليل الذي لا يملك العقلاء له إلا فهماً واحداً، يلتزمه كل من يؤمن بهذا النص ، أو يسلِّم به تنزلاً في الحوار.. وهذا النص لن تحتاج فيه إلى الاستئناس بقول عالم، فهو حجة بنفسه ، وهو كاف في الدلالة.

ومع فقْدِ هذا الدليل الصريح فإن المسيحيين يستشهدون بنصوص إنجيلية تحتمل معان مختلفة، وحين تختلف الفهوم في معنى النص فهذا يعني أنه لم يعد كافياً بذاته للدلالة ، وحينها يضطر المستدل به للبحث عما يسنده من أقوال الشراح والمفسرين لترجيح فهم

معين للنص على الفهوم الأخرى، وهو ما نحن بصدده في نص : «**أنا والآب واحد**»، فقد استدل جنابكم بأقوال الشراح لترجيح القول بالوحدة الجوهرية.

لكن أقوال هؤلاء الشراح أو الآباء أو القديسين حجة لك يصح أن تستعين بها في حوارك مع أصدقائك داخل الكنيسة الأرثوذكسية، أو مع الكاثوليك، فبإمكانك أن تستشهد بفهم هؤلاء الآباء، لأنهم يؤمنون بقداستهم ، وأنهم مؤيدين ومسددون بالروح القدس، أما حين تخرج خارج إطار الكنيستين الكاثوليكية والأرثوذكسية فلا حجية لأقوالهم خارجها، فهم عند البرتستانت - فضلاً عن المسلمين - أشخاص عاديون لا يزيدون عن غيرهم شيئاً، وفهمُهم ليس بأولى من فهمِ غيرهم.

ومن جهتي حين اختلف مع الشيعة فإني أستدل عليهم بنص القرآن الكريم لأنهم يؤمنون به، فإن كانت دلالة النص القرآني غير كافية بنفسها فإنه لا يجوز لي أن أرجح فهمي للنص القرآني بنقل قول لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، لأنهم لا يؤمنون بصحبتهما، ولو فعلته فغاية ما يفيدني من الناحية الدلالية: الاستئناس. ليس أكثر.

وهكذا فلا أقبل أن تعتبر أقوال الآباء حجة في نفسها حين يتفقون على معنى معين، فضلاً أن تكون حجة حين يختلفون، سواء كان الاختلاف قوياً أو ضعيفاً.

ولو طبقنا ما سبق على نص: «**أنا والآب واحد**»، فإنه نص ينسبه الإنجيل الذي لا أؤمن به إلى المسيح، كما لا يؤمن جنابكم بأقوال المسيح المنقولة في القرآن.

ولكني تنزلاً في الحوار، رضيتُ أن تحتج علي بأقوال المسيح الموجودة في الإنجيل، وهنا كان يلزمك أن تحضر لي أقوال المسيح الصريحة التي تنهض بنفسها في الدلالة والاحتجاج، وهي تلك الأقوال التي لا تحتمل تأويلاً ولا اختلافاً في معناها.

وهكذا، فأنا لست أنكر وجود فهوم متعددة للنص، وأعلم أنك تقدر على الاستئناس بأقوال عشرات المفسرين الذين فهموا نص : «**أنا والآب واحد**» على معنى وحدة الجوهر، لكن ثمة فرق بين النص، وبين فهوم الناس للنص، ففهمي وفهمك للنص لا يساوي النص، وكذلك فهم هؤلاء العلماء للنص ليس نصاً، ولا مساوياً له، لأني لا أؤمن بهم.

ومن جهتي فأنا هنا أناقش فهْمَ هؤلاء العلماء والآباء للنص الإنجيلي من خلال محاورتك، فأنت تمثلهم، فلا تجعل قول من أحاورهم من خلالك حجة علي، حتى لا يكون الدليل على صحة فهم الأب متى المسكين للنص هو أن متى المسكين يقول هذا.. فهذه مغالطة: «الاستدلال الدائري».

وبخصوص نوع الوحدة في نص «**أنا والآب واحد**» فهو محل خلاف عند علمائكم، فمنهم من حمله على وحدة الجوهر، ومنهم من حمله على الوحدة المجازية (القصد والهدف)، وهذا ما أقر به جنابكم: (من يقولون بالوحدة المجازية هم نسبة قليلة مقارنة بمن يقولون بالوحدة الجوهرية)، فلا يصح أن تستدل بفهم زيد على عمرو، إلا بدليل مرجح حقيقي مقبول، ولا يصح أن تستدل عليَّ بفهم زيد المخالَف فيه.

وهكذا، فحين تحضر لي رأي القديس فلان أو البابا فلان في النص ، فهذا غير ملزم للمخالفين المسيحيين، فضلاً عن أن يكون حجة علي، لأني رضيتُ أن تستشهد علي بأقوال المسيح الواردة في الإنجيل.. رضيتُ بذلك استبقاء للحوار.. لكني لست مستعداً للتنازل والقبول برسائل بولس ، وكذلك لست مستعداً للتنزل في الحوار للقبول بحجية أقوال الآباء وغيرهم.. فهذا ما لم ألتزمه لك.. فلا تلزمني به... فإني ملتزم بنص قول المسيح فحسب، وليس بشروح النص وفهوم الآخرين له.

الوحدة المجازية، وحدة الهدف والقصد

وجنابكم حين أقر بوقوع الخلاف بين المسيحيين في فهْم قوله: «**أنا والآب واحد**» ، كتبتَ مهونًا من أمر المخالفين: (من يقولون بالوحدة المجازية هم نسبة قليلة مقارنة بمن يقولون بالوحدة الجوهرية)، فهم برأيك نسبة قليلة لا تمثل الأغلبية ، ولكنهم على كل حال فئة من العقلاء لم يروا في النص ما رآه التقليديون، لأنه غير صريح في دلالته.

وأحب هنا أن أستذكر قول الأب متى المسكين: «كثير من المفسرين غير المستقيمي الفكر أرادوا أن يضعفوا من فهمِ هذه الآية على أنها لا تختص بلاهوت المسيح ومساواته لله الآب» (تفسير يوحنا ١/ ٦٤١)، فهُمْ برأي الأب المسكين: «كثير من المفسرين»، ولكنهم ليسوا أكثرية غالبة، وقد يكون هذا صحيحًا، فما يهمني هنا أن أشخاصًا ومفسرين كثيرين فهموا قول المسيح على غير فهْم الأكثرية، فكيف لك أن تلغي أقوالهم وتشطب فهومهم؟ وكيف لك أن تلزمني بفهم معين لنص اختلف العقلاء في فهمه؟.

منهجية الحوار

اعتبرني جنابكم ممارسًا لمغالطة «القناص»، حين تركت رأي الأغلبية، ونقلتُ أقوال بعض العلماء في معنى: «**أنا والآب واحد**» الذين حملوه على معنى وحدة القصد والهدف، لكني - على كل حال - أخذتُ برأي الكثيرين كما وصفهم متى المسكين، وهذا ما يجعلني أرفض اتهامك لي بمغالطة «القناص» ، فهي مغالطة قد تصدق عليَّ لو اقتنصت شذوذاً من الرأي، لكن حين أنقل قول «كثير من المفسرين» فهذا لا يحتاج إلى قنص ولا قناص.

كما تقوم هذه المغالطة «القناص» على جمع الأدلة المؤيدة والتغاضي عن الأدلة المناقضة، وهو ما لا أفعله ، ولا تفعله، لأن كلاً منا مقر بوجود الرأي الآخر، ولأني لا أعتبر ما أتغاضى عنه من أقوال العلماء دليلاً، كما لا أعتبر ما أنقله من كلامهم دليلاً، وقد ذكرتُ لك من قبل: « فأقوال واين جردوم ووليم باركلي وغيرهم ليست أدلة بذاتها، ولا نصوصاً

مقدسة، بل هي فهْمُ رجال عبروا عنه في أقوالهم، ويستأنس بها طلاب العلم والحقيقة في حواراتهم»، فهي عندي ليست أدلة أصلاً حتى أقتنصها أو أتركها... هي عندي للاستئناس، لا الاستدلال، سواء كانت في صالحي أو في صالحك.

ثانيـًا: حين أناقش مسيحياً في دلالة نص إنجيلي ما .. فأحضر له فهماً للنص يخالف فهمه وفهم طائفته لا يجد دليلاً لرفض القول المخالف لقوله أسرع من اتهام الآخرين بالهرطقة .. وهذا الاتهام متبادل بين المسيحيين .. فكل من خالف طائفتك هو عندك هرطوقي .. وهو اتهام تتقاذفه الفرق المسيحية المختلفة، بل قد يقع داخل الفرقة الواحدة.

وهنا أستحضر وصف الدكتور جورج حبيب بباوي الأستاذ في الكلية الإكليريكية للبابا شنودة والأنبا بيشوي بالهرطقة والكفر ، وكذلك فعل القس الكاثوليكى اسطفانوس دانيال، فقال عن البابا شنودة بأنه هرطوقي لمخالفته للكاثوليك في موضوع التناول، وكذلك استذكرُ اتهام الأب إيدان نيكولز وبعض المحافظين للبابا فرانسس بالهرطقة لموقفه المنفتح في قضايا الشذوذ الجنسي والطلاق والزواج مرات متعددة، فالاتهام بالهرطقة قدر الجميع من الجميع، ولا يستند إلى أكثر من اختلاف مفاهيم الناس للنصوص.

يقول ويلتر: «الكاثوليك اللاتين كانوا هراطقة دائمـًا في نظر الأرثوذكس» (الهرطقة في المسيحية، ويلتر ، ص ٢٥).

ولو انتقلنا إلى الخلاف بين المسلمين أنفسهم، فستجد أيضاً أن كل طرف ينسب الآخرين إلى الابتداع في الدين، وهو ما يكافئ الهرطقة في مصطلحاتكم، فأنا عند الشيعة والمعتزلة وغيرهم مبتدع (هرطوقي)، وهم عندي كذلك.

وأستذكر هنا ما يقوله مؤلفو كتاب «أسطورة تجسد الإله»، حيث تساءلوا: «إلى أي مدى علينا التمييز بين الأرثوذكسية والهرطقة .. صيادو الهرطقة أساؤوا دائمـًا أكثر مما أحسنوا ، ولا زال لتعصب الماضي حصاده المحزن .. ومن العجرفة الروحية الاقتناع بأننا

نملك الحقيقة، وكل الآخرين مضللون، نريد أن نكون أحراراً في مدح يسوع كمنقذ» (أسطورة تجسد الإله، ص ٧٧).

وأما اللاهوتي البرفسور هانز كونج مستشار البابا الأسبق فقد قال: «إذا ما أردنا أن نحكم على المسيحيين في الحقبة التي سبقت مجمع نيقية في ضوء مجمع نيقية، فليس فقط اليهود المتنصرون سيدانون بتهمة الهرطقة، بل تقريباً جميع آباء الكنيسة اليونانيين» (المسيحية: الجوهر والتاريخ والمستقبل، هانز كونغ، ص (٩٤-٩٥).

وهنا أؤكد لك على رأيي: فهمك وفهم طائفتك للنص ليس بأولى من فهم الآخرين له.. فهم يؤمنون به كما تؤمن أنت .. فالنص مقدس عندكم جميعاً.. وفهمك وفهمي وفهم الهرطوقي للنص .. مفاهيم متساوية من حيث أصلها، ولا يتميز واحد منها عن الآخر إلا بمقدار ما يسنده قائله من دليل تصح دلالته، وهذا يسري على فهومكم في المسيحيات وفهومنا في الإسلاميات.. فالنص له قداسته عند أتباعه .. وأما الفهوم فتتأرجح قوة وضعفاً، وليس يقوي فهمي لنص ما اتهامي لخصمي بأنه مبتدع .. فهذه «الشخصنة» مغالطة منطقية.

لذلك لا أقبل منك سؤالك: (هل تستدل بهرطقة ؟!)، فأنت عند هؤلاء هرطوقي، كما هم عندك هراطقة، وكما نسبت نفسك إلى (التعاليم المسيحية السليمة) فإنهم ينسبون أنفسهم إليها، وينسبون تعاليمك إلى الهرطقة، ويدعون أنهم أتباع المسيح حقيقة.. لذا أقترح أن نتجاوز الاتهامات المتبادلة بين المسيحيين بالهرطقة، وأن نركز على أقوال هؤلاء وأدلتهم، فالحجة لا تستمد قوتها من قائلها، وإلا وقعنا في مغالطة (المنشأ).

وبمثله فإن فهمي لنص إسلامي لا يلغي فهم الأحمدية له إلا بقدر ما لدي من حجة تبرهن على أحقية فهمي من جهة اللغة والأصول المتفق عليها بيننا، ولن يكون كافياً في حجتي أن أتهم الآخرين بأنهم زنادقة، أو أن أنقل من أقوال علماء السنة في الرد عليهم، فهذا يصلح للاستئناس، لا الاستدلال والاحتجاج.

وحين ذكرتُ لك مبدأ : «أقوال الرجال يستدل لها، ولا يستدل بها» أخبرتني بأنك لا توافق عليه، وكتبتَ: (أنا مختلف معك تماماً في هذه القاعدة، فهي قاعدة يتّبعها المسلمون فقط)، ثم أخبرني جنابكم بمنهجية التلقي لديكم : (أما نحن فأشخاص أكاديميون نأخذ العلم عن أهله، حتى ولو اختلفنا معهم)، وهل من الأكاديمية أن تقول لي : (لا تستشهد بالهرطقات، اقتبس فقط من تفاسيرنا المسيحية الصحيحة)، وهل تأخذ العلم من العلماء الذين تختلف معهم أم لا؟ .

وأما اتهامك لشهود يهوه بأنهم يحرفون الكتاب المقدس عمداً فقد يكون صحيحاً، وهم على كل حال يرون نسختك هي المحرفة، لكن اتهامك لهم خارج موضوع بحثنا، لأنهم لا يحرفون النص الذي نحن بصدده: «**أنا والآب واحد**»، وإنما يخالفونك في معناه، فلا يرون فيه دليلاً على أن المسيح هو الله.

وأما قولك: (الكتاب يُفهم من مفسريه وعلمائه، وليس من أشخاص من خلفيات دينية أخرى)، فهذا ما يسمى بمغالطة: «تسميم البئر»، لذا أعترض عليه ، ففهمُ الكلام ليس حكراً على أهل دين دون الآخر، فمن الكلام ما هو واضح لكل أحد، ومنه ما هو غامض لا يعلمه إلا العلماء.

فمثلا: قول المسيح: «**أنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله**» قول صريح واضح وضوح الشمس لا يحتاج أن أكون مسيحياً لأدرك أبعاده ومعناه، يفهمه المسلم والهندوسي والملحد واليهودي كما المسيحي سواء بسواء.

وأما قول الإنجيل: «**صعب عليك أن ترفس مناخس**» فقد يحتاج إلى علم أخصائي في فقه اللغة وأمثال الشعوب ليشرحه، وقد يكون هذا الأخصائي مسيحياً، وقد يكون ملحداً.

وكذلك الحال في القرآن، فقول الله: ﴿**لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم**﴾ قول واضح لا يحتاج في فهمه إلى مفسر عتيد، ويستطيع فهمه المسلم

والمسيحي سواء بسواء، وأما قوله: ﴿وفاكهة وأبّاً﴾ فيحتاج إلى مراجعة معجم أو سؤال فصيح يعرف معنى «الأبّ» في اللغة، وقد يكون هذا الفصيح مسلماً ، وقد يكون شاعراً جاهلياً غير مسلم.

ثالثاً: شدني في مسألة تحديد نوع وحدة المسيح بالآب (حقيقية أم مجازية) أنك لجأت إلى الاحتكام إلى رأي الأغلبية حين تفضلتَ بالقول: (ذكرتُ إجماع أغلبية العلماء على الوحدة الجوهرية، لذا إذا أردت الاستدلال بكلام العلماء ، يجب الأخذ برأي الأغلبية والرأي المتفق عليه) ، فاعتبرتَ رأي الأغلبية واجب الاتباع ، ورذلتَ الرأي الآخر، وهذا ما يسمى بمغالطة «الاحتكام إلى الأغلبية».

ثم نسبت هذا المنهج المرفوض منطقياً إلى العلماء المسلمين فقلتَ: (أليس رأي الأغلبية ما يؤخذ به في الإسلام في التفسير ؟!)، وهنا أود أن أخبرك بأنه لا يوجد في الإسلام مبدأ «الاحتكام إلى الأغلبية»، فالاحتكام عندنا يكون إلى الدليل، فهو المرجح حين يختلف المسلمون.

ولو وافقتك بصحة مبدأ «الاحتكام إلى الأغلبية»، فإن الأغلبية تتغير من عصر إلى عصر، ومن مكان إلى مكان، ففي القرن الرابع الميلادي اصطرع العلماء المسيحيون حول دلالات ذات النصوص التي نتحاور فيها، فكانت الأغلبية في صالح أولئك الذين لا يرون فيها أدلة على ألوهية المسيح، فعامة أساقفة المسيحية وكذلك شعب الكنيسة في القرن الرابع الميلادي كانوا أريوسيين، لا يؤمنون بوحدة الجوهر، ولا يرون في هذه الأقوال أدلة صحيحة على تأليه المسيح.

ويكفي في هذا الصدد أن أنقل لك بضع شهادات تبين لك أكثريتهم:

١. القديس جيروم: «العالم كله يئن ويذهل من رؤية نفسه أريوسياً» (تاريخ الفكر المسيحي ، المطران كيرلس، ص (٤٧٠) وتاريخ الكنيسة، جون لوريمر ٣/ ٨١).

٢. المؤرخ المسيحي والبابا الإسكندراني للروم الأرثوذكس ابن البطريق: «فأما أهل مصر والإسكندرية فكان أكثرهم أريوسيين ومنانيين» (التاريخ المجموع، ابن البطريق ١/ ١٣٦).

٣. الأنبا غريغوريوس يقول عن الأريوسية: «أكبر بدعة كادت أن تمحو كيان الكنيسة المسيحية من كل الأرض» (موسوعة الأنبا غريغوريوس ، ص ٧٣).

٤. القس جيمس أنِس: «قبول أغلب الأساقفة ضلالة أريوس» (علم اللاهوت النظامي، جيمس انس ، ص (٥٦)، قد استطاع هؤلاء إيصال البابا الأريوسي ليباريوس (ت ٣٦٦م) إلى منصب البابوية (علم اللاهوت، ميخائيل مينا، ص ٤٥١).

٥. الأنبا بيشوي: «هناك وقت كاد فيه غالبية العالم المسيحي أن ينحرف فيه الإيمان المستقيم في لاهوت السيد المسيح، لولا دفاع القديس أثناسيوس بابا الإسكندرية» (لاهوت عقائدي لاهوت مقارن، الأنبا بيشوي، ص ١١).

٦. المطران سليم بسترس: «أفاقت الكنيسة المسيحية في الشرق والغرب من كابوس المجادلات الفلسفية وإنشاد الترانيم الهرطوقية لتجد نفسها على شفير الأريوسية» (اللاهوت المقارن والإنسان المعاصر، سليم بسترس ٢/ ٢٢).

٧. اجتمع في عام ٣٥٥م في مجمع ميلانو ٣٠٠ أسقف خلعوا البابا أثناسيوس المناوئ للأريوسية ، ثم اجتمع ٤٠٠ أسقف غربي في مجمع ريمني ، فجحدوا قرارات مجمع نيقية. (انظر: الوضع الإلهي في تأسيس الكنيسة، الأنبا كيرلس مقار ٢/ ٦٢).

وهكذا فلو كنا نتحاور في القرن الرابع الميلادي فإن قانون «الاحتكام إلى الأغلبية» سيكون في صالح الأريوسيين الذين تسميهم اليوم (هراطقة)، وقد بقي هؤلاء أغلبية حتى تدخل الأباطرة ، فأراقوا دماء خمسة ملايين من الأريوسيين كما نقل ذلك القس أندرو ملر في كتابه (مختصر تاريخ الكنيسة، ص ١٩٣)، فتحولوا من أغلبية حاضرة إلى كائنات منقرضة تشبه الديناصورات.

وفي كلام أندرو ملر أبلغ الرد على قولكم: (وأُذكرك أن الكنيسة لم تنتصر عليهم وكأننا في حرب، بل تم عقد مجامع كثيرة في تاريخ الكنيسة للرد على الهرطقات ، فالموضوع ليس انتصاراً بالقوة ، بل بالرأي الحكيم المدعوم بالكتاب المقدس)، فالحجة والرأي الحكيم لا يحتاج إلى كل هذه الدماء.

ولكي أزيد يقينكم بصحة جوابي؛ أنقل لكم قول القس منسى يوحنا: «أيام ثيوديسيوس الثاني صدر أمر باستئصال الأريوسية وإبادتها بموجب قانون تقرر في السلطنة الرومانية، وذلك سنة ٤٢٨م، ومن ذلك العهد إلى الآن لم تعرف فرق بالحقيقة أريوسية حسب تعاليم آريوس» (تاريخ الكنيسة القبطية، منسى يوحنا، ص ٢٥٧).

ولقد عبَّر كاتب في ذلكم القرن عن هول ما رآه بقوله: «إن الوحوش المفترسة لا تظهر عداءها للبشر بقدر ما يظهر المسيحيون ؛ بعضهم لبعض الحقد المميت» (اللاهوت المقارن والإنسان المعاصر، المطران كيرلس سليم بسترس ١/ ٢٢).

بين الوحدة الجوهرية والوحدة الجواهرية

وإذا انتهينا من هذه النقاط المنهجية المهمة، فقد آن أوان مناقشة بعض ما ورد في رسالتك بخصوص نص: «**أنا والآب واحد**»، وقد ورد في رسائلكم مراراً وتكراراً أني لا أفهم «الوحدة الجوهرية»، وأن ما أقوله لا علاقة له بالمسيحية، وطالبتني مراراً بضبط مصطلحاتي .. وسألتني ما علاقة التجسد بنص : «**أنا والآب واحد**».. وفي هذا السياق يندرج ما تبادلناه من حديث عن بدعة المودالية والشكلية ..الخ.

حاولتُ أن أعرف سبب سوء الفهم بيننا، فراجعتُ الحوار من أوله ، ليتبين لي أن كلاً منا كان يتحدث في موضوع غير الذي يتحدث عنه الآخر.. وكل منا يستخدم مصطلح (الجوهر) بمعنى مختلف عن الآخر.. لذا لم يفهم بعضنا على بعض.

وقد تبين لي محل اللبس بيننا حين سألتُ جنابك في رسالتي السابقة محاولاً فض الاشتباك بيننا: (من هو قائل عبارة: «**أنا والآب واحد**»؟ من هو هذا المتحد بالآب؟ هل

هو يسوع الإنسان؟ أم هو كلمة الله المتجسدة في يسوع؟) ، فأجبتني: (بالتأكيد كلمة الله (الابن) هو المتحد في الجوهر مع الآب).

لقد كنتُ دوماً أتحدثُ عن الاتحاد بين الله والإنسان يسوع ، وليس عما بين الآب والابن من اتحاد أقنومي، فكان هذا سبباً من أسباب اللبس ، إذ لم يخطر ببالي أنك تنطلق في استدلالك بهذا النص من قاعدة: (المسيح هو إله قال: «**أنا والآب واحد**») .. وتريد أن تثبت لي أن الابن المتحد بيسوع مساو للآب .. بينما ما زلتُ أناقشك في صدر قولك.. أناقشك في مسألة ألوهية المسيح.. فموضوعنا أدلة ألوهية المسيح، فلا يصح أن تجعل دعوى الألوهية التي نتناقش فيها جزءاً من الحجة، لئلا يصبح الدليل على ألوهية المسيح أن المسيح وهو الإله قال: «**أنا والآب واحد**»، وهذا ما يسمى بـ«الاستدلال الدائري».

دعني أوضح لك محل النزاع بيننا، أنت صديقي المحترم تتحدث عن «الوحدة الجوهرية» بين الآب والابن ، بمعنى أن الآب والابن واحد في الجوهر أي الجنس والخصائص والطبيعة الإلهية .. فهما مشتركان في جنس الألوهية .. وهذا النوع من الوحدة لا أعترف به بين الآب والابن، ولا بين الآب ويسوع الإنسان.. ولم أتحدث عنه في كلامي السابق البتة؛ لا نفياً، ولا إثباتاً.

ففي حين كنتَ تفهم أني أريد «الوحدة الجوهرية» بالمعنى المسيحي ؛ فقد كنتُ أتحدث عن وحدة الجواهر المختلفة .. أو ما أسميتُه بـ «الوحدة الحقيقية» أو «وحدة الذوات» التي بين يسوع الإنسان والإله .. فكل منهما له جوهره أو كينونته المختلفة عن جوهر الآخر وكينونته، والمعنى الذي أقصده للجوهر هو المعنى المتعارف عليه عند الفلاسفة، وليس معناه المخصوص عند المسيحيين.

الجوهر عند الفلاسفة هو الماهية، أو القائم بذاته ، أو ما يجعل الشيء هو نفسه، وليس شيئاً آخر، لذلك قال ديكارت: «الله هو الجوهر الحقيقي»، ووفق تعريف الجرجاني للجوهر: «ماهية إذا وجدت في الأعيان كانت لا في موضوع، وهو مختصر

في خمسة: هيولي (مادي)، وصورة، وجسم، ونفس، وعقل» (التعريفات، الجرجاني ص ٧٩)، وكلمة (الجوهر) هنا تعني «الوجود الحقيقي» في مقابل «العَرَض» الذي يختص بالمعاني أو الصفات.

ولتبسيط المعنى وتقريبه أقول: إن لي جوهراً، ولك جوهر آخر، أي: لي وجود مادي وكينونة مختلفة عن وجودك وكينونتك، وكذلك يسوع الإنسان له جوهر، والله عز وجل له جوهر آخر .. فهذا لا خلاف بيننا عليه .. لأننا نتحدث عن جواهر مختلفة أو كينونات مختلفة ، وهذا لا علاقة له بالمعنى المسيحي للجوهر، والذي يعني أن البشر مشتركون جميعاً في جوهر الإنسانية، أي جنسها وخصائصها وطبيعتها.

وقد كنتُ شرحتُ لجنابك مرادي بـ«الوحدة الجوهرية» منذ أول مداخلة لي في الموضوع، فقلتُ: (الوحدة الجوهرية بين المواد المتجانسة، حيث يتحد الماء بالسكر، أو الدم بالماء، ويصبحان مادة واحدة أو جوهراً واحداً، فهذه الصورة أسميها: "الوحدة الحقيقية"، وهي ما يؤمن به جنابكم، حين يرى أن الآب اتحد مع المسيح جوهرياً، وهكذا فالمتحِد والمتحَد معه كلاهما إله، فقد صار جوهرهما واحداً)، فحديثي واضح أني أتحدث عن وحدة الجواهر المختلفة.. وهذا بعيد عن «الوحدة الجوهرية» التي تحدث عنها جنابك، والتي تعني أن الآب والابن من طبيعة واحدة أو جنس واحد ، بمعنى: مشتركان في الإلهية وخصائصها.

ودعني أنقل لك هاتين الفقرتين من نقاشنا ، فهما تعبران بوضوح عن اختلافنا في فهم بعضنا:

١ . كتب جنابكم: (تطالبني أن أجد مثال غير المسيح والآب على الوحدة الحقيقية . وها أنا ذكرت لك وحدة التلاميذ، وسأذكر لك وحدتنا ، فأنا وحضرتك شخصان، ولسنا شخصاً واحداً، ولكننا مشتركان في طبيعة وجوهر إنساني واحد)، فقد كنتُ أطالبك بمثال لوحدة الذوات والجواهر، أو ما أسميتُه بـ «الوحدة الحقيقية»، وأنت تجيبني بذكر مثال «الوحدة الجوهرية» التي تجمع بين البشر.. وحدتهم في الإنسانية ، فكل منا يتحدث في موضوع مختلف عن الآخر.

٢. في مرة أخرى قلتُ مستنكراً: (وهكذا أصبح التلاميذ الاثنا عشر شخصاً واحداً، له جوهر واحد)، فأجبتني: (حضرتك تعتقد أننا إذا طبقنا مفهوم الوحدة الجوهرية على التلاميذ ، سيجعلهم شخصاً واحداً ! وهذا ما قلتُه لك من قبل أنك تخطئ في معنى الوحدة الجوهرية).

بالتأكيد نحن مختلفان، لا نتحدث عن شيء واحد، فأنت تتحدث عن «وحدة الجوهر» ، وأنا أتحدث عن «وحدة الجواهر والذوات» التي تجعل المتعدد واحداً.

ولحسن حظي وحظك؛ فإننا لسنا أول ولا آخر من يقع في اللبس بسبب عدم تحرير المصطلحات، فقد وقع مثل هذا في الخلاف بين أثناسيوس ونسطوريوس، وسببه أن كل منهما «يستخدم كلمات ومصطلحات كانت تفهم من كل طرف أنها تخفي وراءها هرطقة، دون أن يسأل زميله ماذا يقصد؟ وماذا تعني هذه المصطلحات بالضبط؟» (تاريخ الكنيسة الغائب، القس جاد الله نجيب، ص ٢٠١).

وكذلك فإن خليفته البابا كيرلس السكندري كان يستخدم كلمة «طبيعة» بمعنى (شخص، أقنوم)، بينما يستخدمها نسطور وأصحابه، بمعنى (خصائص) (انظر: اللاهوت المقارن والإنسان المعاصر، سليم بسترس ١/٢٣، ١٧٣).

وما وقعنا به في حوارنا وقع بتمامه في القرن الرابع الميلادي حيث نشأ لبس في تحرير معنى كلمة « ὑπόστἄσις = هيبوستاسيس»، فقد كان مجمع نيقية وبعض الآباء يستعملها بمعنى: «جوهر» أو «طبيعة»، وآخرون بمعنى: «أقنوم» أو «كيان» والبابا أثناسيوس نفسه قال: «إنه هو بنفسه يمكنه أن يقولها في نفس اليوم بالتعبيرين» (لاهوت عقائدي لاهوت مقارن، الأنبا بيشوي، ص٤).

وهذا التبادل بين الكلمتين وقع في العهد الجديد الذي تحدث عن المسيح فوصفه بأنه «**بهاء مجده ورسم جوهره**» (العبرانيين ١: ٣)، فاللفظة اليونانية هنا هي (ὑπόστἄσις هيبوستاسيوس)، والتي تترجم دائماً إلى «أقنوم» و«شخص»، وهنا ترجمت إلى «جوهر»، مع أن الكلمة التي تترجم عادة إلى «جوهر» هي (ουσια اوسيا).

ولست أريد تبرئة نفسي من التسبب في وقوع هذا اللبس ولا إلقاء اللوم عليكم، فقد استخدمتُ معنى (الجوهر) بمعناه عند الفلاسفة، وقريباً من معناه الإنجيلي السابق، ولم أتنبه إلا مؤخراً إلى أنك تظن أني أتحدث عن «وحدة الجوهر» بمعناها عند المسيحيين، وأنك لم تفهم مرادي أو معنى المصطلح الذي أستخدمه.

لكني أقول مكرراً: لي عذري، فموضوع «الوحدة الجوهرية» بمعناه المسيحي يدور حول العلاقة بين الأقانيم ، وهو موضوع بعيد جداً عن حوارنا الذي لا يدور حول التثليث، فموضوع بحثنا هو ألوهية يسوع .. هل أعلن المسيح في نص «**أنا والآب واحد**» عن ألوهيته ؟ وليس هل أعلن عن مساواة الابن بالآب؟ لذلك انقطع التفاهم بيننا، فكل منا يغرد في موضوع مختلف عن الآخر.

إمكاننا حين نفرغ من موضوع ألوهية المسيح أن نتحدث عن علاقة الأقانيم (أشخاص اللاهوت) ببعضها .. وعن نوع الوحدة بين شخص الآب وشخص الابن ، وسنناقش حينها مسألة التساوي بين الأقانيم، لذا سأتجاوز بعض ما اشتبكنا حوله مما هو متعلق بعلاقة الأقانيم، وأقصر الحديث في موضوع الألوهية ، وسأترك موضوع العلاقة بين الأقانيم إلى حلقة أخرى من حوارنا.

أرجو أن يكون قد زال اللبس بيننا في معنى (الجوهر) و(الوحدة الجوهرية)، فقد كنتُ أتحدثُ عن «الوحدة الحقيقية» (وحدة الجواهر والذوات)، وليس عن «الوحدة الجوهرية» (وحدة الجنس والطبيعة والخصائص)، وهكذا فلن تسألني ثانية: (ما علاقة الوحدة الذاتية (كون الآب هو نفسه الابن) بالوحدة الجوهرية؟)، ولن تقول لي: (خلطت بين كون الآب والابن هما شخص واحد (كما تقول الهرطقة المودالية) وكون الآب والابن واحداً في الجوهر).

نوع الوحدة بين الله الآب والمسيح

ولنبدأ بمناقشة ما انتهينا إليه في موضوع دلالة نص: «**أنا والآب واحد**» على ألوهية المسيح:

١ . جنابك ، يرى صحة استدلالك بنص: «**أنا والآب واحد**» ، بقلب المعادلة .. فقد تفضلتَ: (عندما نقول : يسوع (الإنسان) والآب واحد في الجوهر والتي تعني أن يسوع له نفس الطبيعة والجوهر الذي للآب ، سنستنتج لا محالة أن يسوع له طبيعة أخرى غير الطبيعة الإنسانية).

وهنا يفترض جنابكم أن يسوع الإنسان قال: (أنا والآب واحد في الجوهر)، وهذه الزيادة التي تضمرها (في الجوهر) هي موضع الخلاف بيننا، ولو كنت أسلِّم بها لانتهى الحوار بيننا، ولكني لا أسلِّم بقصد المسيح لوحدة الجوهر، وهو عين ما أناقشك فيه، فأنا أرفض فهمَ النص على معنى (الوحدة الجوهرية)، وأُصِر على أن الوحدة التي قصدها المسيح (واحد في الهدف والقصد، لا في الجوهر)، فلا يصح أن تجعل ما أناقشك في صحته دليلاً على صحة نفسه، وهو ما يسمى بمغالطة «الاستدلال الدائري»، فدليلك على أن «**أنا والآب واحد**» يعني وحدة الجوهر والطبيعة؛ لا الهدف ؛ أن (يسوع له نفس الطبيعة والجوهر الذي للآب).

يصح استدلالك هذا في حالة واحدة فقط، وهي أن أسلِّم لك بأن الوحدة في النص جوهرية، وحينها فأنا ملزم باستنتاجك.. لكنها مسألة ما زلنا بصدد معالجتها.

الوحدة المجازية، وحدة الهدف والقصد

٢. نأتي إلى المفسرين ، فقد اتفقنا من قبل على أن كل المفسرين المسيحيين من أتباع الكنائس الثلاثة يؤمنون بوحدة الجوهر والطبيعة، وهو ما جعلهم مسيحيين .. ولسنا هنا لفحص إيمانهم.. إنما نبحث عن معنى: «**أنا والآب واحد**» عند هؤلاء المفسرين، وقد رأينا جمهرة منهم تفسرها بـ«وحدة الجوهر»، وبإزائها توجد مجموعة أخرى مهمة ترى في معنى النص «وحدة الهدف والغرض والقصد»، وهم يؤمنون بألوهية المسيح، وأنه واحد في الجوهر (الجنس أو الطبيعة) مع الآب، وأنه مساو للآب ، ومن هؤلاء اللاهوتي والمصلح جون كالفن وكذلك واين جردوم ، ووليم باركلي، وأضيف إليهم الدكتور وليم إدي حيث قال: «غاية المسيح من كلامه هنا أمن الخراف، وإثباتاً لذلك قال

أن الآب والابن واحد في القصد والمشيئة والشعور والفعل في شأن الخراف، فالآب يحفظ كل ما للابن، والابن يحفظ كل ما للآب».

ولم يكتف الدكتور وليم بشرح معنى الوحدة في النص، بل قفز إلى استنتاج دلالة من خارجه، كما صنع غيره، فقال: «وهذا يتضمن أن الآب والابن واحد في الجوهر والمجد والمقام والقوة» (تفسير الكنز الجليل، يوحنا، ص ١٢٤)، فما يعنيني هنا هو نوع الوحدة عنده؛ لا إيمانه الشخصي، وقد قال لنا: « الآب والابن واحد في القصد والمشيئة والشعور والفعل في شأن الخراف ».

وهكذا يستطيع كل منا أن يضيف إلى قائمة القائلين بفهمه المزيد من العلماء، وستبقى القضية اختلاف فهوم بين رجال يستأنس بأقوالهم حين يجتمعون على فهم واحد، وأما حين يختلفون فلا حجة لأحد من الفريقين على الآخر إلا بما يقدمه من دليل.

وأضع بين يديكم هذا الرابط ففيه المزيد من العلماء الذين يرون أن نوع الوحدة في النص وحدة قصد وهدف ، وليس وحدة جوهر :

(http://thehumanjesus.org/2017/11/21/the-father-and-i-are-one-john-10-30/)

وأدرك تماماً أنه بإمكان جنابكم أن يجد آخرين من المسيحيين يفهمون النص على «وحدة الجوهر».

وإضافة إلى الفريقين السابقين فإن ثمة مفسرين يتشككون في صحة حمل معنى النص على «وحدة الجوهر»، من غير أن يجزموا بالرأي الثاني، مثل كارسن في ص ٣٩٤ من كتابه (The Gospel According to John)، وكذلك جيمسن براون في تفسيره المنشور على الشبكة (http://bibleapps.com/jfb/john/10.htm).

وهنا ألفت نظرك إلى أن ميل العلماء المسيحيين إلى اعتبار نوع الوحدة في النص جوهرية يتساوق مع إيمانهم بألوهية المسيح، بينما المتوقفون أو القائلون بأن الوحدة في

النص مجازية لا مصلحة لهم في تبني هذا القول الذي يفقدهم دلالته على ألوهية المسيح، فما قالوا بوحدة القصد والهدف إلا لاضطرارهم إليه بسبب قوة حجة هذا القول، وهذا يذكرني بتفضيل علماء النقد النصي للقراءة الأصعب على الأسهل، لأن التغيير من الأصعب إلى الأسهل متوقع؛ بخلاف العكس.

وبعبارة أوضح حين يقول جون كالفن المؤمن بألوهية المسيح: «لقد استخدم القدماء استخداماً خاطئاً لهذا المقطع لإثبات أن المسيح هو نفس الجوهر مع الآب (homoousis)، المسيح لا يجادل حول وحدة الجوهر، بل حول الاتفاق الذي لديه مع الآب»، فإنه لا مصلحة لكالفن بتخطئة المفسرين الآخرين الذين خدموا بقولهم معتقده؛ إلا أن فهمه قاده إلى هذا المعنى، بينما غيره من المفسرين يمكن أن يقال: انقادوا إلى إيمانهم، وكيَّفوا النص بحسبه.

وبالخلاصة فإن كلاً من الرأيين محتمل، ولا يمكن لأحد ما الجزم بأحد المعنيين، واعتباره رأياً قاطعاً يجعل من النص دليلاً محكماً على ألوهية المسيح.

الوحدة المجازية، وحدة الهدف والقصد

١. حين اختلفت وإياكم على معنى الوحدة في نص: «**أنا والآب واحد**» تفضلتَ بالنقل عن عدد من العلماء الذين أكدوا أن استخدام النص الإنجيلي لكلمة «واحد» لم يستخدم فيه لفظة (εἷς) المذكرة ، بل لفظة (ἕν) المحايدة ، وهذا (يعني أن الوحدة في الجوهر في المقام الأول) كما نقلتَ عن Henry Alford وMarvin R. Vincent أن (ἕν) ذُكِرت محايدة ، وليست (εἷς) والتي ستعني «شخص واحد»، وبالتالي الوحدة هنا وحدة الجوهر ، وليس مجرد (الإرادة أو القوة).

ثم نقلتَ عن A.T.Robertson قوله: (واحد محايدة وليست مذكرة ، وبالتالي لا تعني شخص واحد، بل تعني وحدة الجوهر والطبيعة)، وكذلك قالت نسخة NET Bible.

هذا ما قالته نقولك، وهو ما قرأتُه عند جوش مكدويل حين قال: « كلمة "واحد" المستخدمة في «**أنا والآب واحد**» هي في اليونانية "هِن" التي تدل على الحيادية من حيث الجنس، ولا تدل على المذكر، كما في كلمة "هيس"، وهذا يشير إلى أنّ يسوع والآب واحد من حيث الجوهر، فلو استخدم صيغة المذكر "هيس" لقصد بأنهما شخص (أقنوم) واحد، مما كان ينفي التمييز الشخصي بين الآب والابن» (حقيقة لاهوت المسيح ، ص ٩٣).

وهذا التفريق صحيح في اللغة اليونانية التي يستخدمها يوحنا في إنجيله، لكنا ماذا عن دقة هذا التفريق في اللغة الآرامية التي كان يتكلم بها المسيح؟ فنحن هنا نعالج فرقاً لغوياً دقيقاً في لغة لم يتكلم بها المسيح قائل النص أصلاً، ولا يستطيع جنابكم أن يدعي وجود كلمتين آراميتين، أي بلغة المسيح؛ إحداهما تترجم «واحد ἕν» بما يفيد وحدة الجوهر والطبيعة، وأخرى تستخدم «واحد εἷς» الدالة على وحدة الذوات والجواهر.

ولو تركنا اللغة اليونانية ، وعرَّجنا على اللغة العربية ، وهي لغة لا تقل ثراء عن اليونانية، فلن تجد فيها كلمتين بمعنى: «واحد»، إحداهما تدل على وحدة الجوهر ، والأخرى على الوحدة الحقيقية أو وحدة الجواهر.

والأمر كذلك في اللغة السريانية التي لا تعرف إلا كلمة واحدة وهي (ܚܕ)، وتنطق (حَدْ)، وكذلك الحال في الآرامية الجليلية لغة المسيح، فلا يوجد فيها إلا كلمة (חד)، وهكذا فعائلة اللغات السامية، وأهمها لغة المسيح الذي نطق بكلمة «واحد»، فقد استخدم المسيح كلمة (חד) التي لا تعرف التفريق بين نوعي الوحدة الذي أشار إليه العلماء وهم يشرحون ترجمة يوحنا لقول المسيح.

بالعموم، لدينا واقع ، وهو أن يوحنا كتب هكذا باليوناني «واحد ἕν» ، ولهذا فقد فهمنا من هذه النقول أن استخدم «واحد ἕν» يفيد وحدة الجوهر والطبيعة، بينما استخدام «واحد εἷς» المذكرة يفيد وحدة الجواهر والذوات والأشخاص الممتنعة بين الآب والابن.

ولذا رجعتُ إلى نصوص الوحدة بين التلاميذ فوجدتُها تستخدم نفس اللفظة المحايدة «واحد ἕν» ، حيث يقول المسيح عن تلاميذه : «أيها الآب القدوس، احفظهم في اسمك الذين أعطيتني، ليكونوا واحداً كما نحن»، وفي هذا النص تظهر كلمة «واحد ἕν» التي ينقل جنابكم عن العلماء أنها تفيد «وحدة الجوهر» لا «وحدة الذوات والأشخاص والجواهر» ، فهل كان المسيح يدعو الله للتلاميذ أن يكونوا من جوهر واحد (جنس واحد أو نوع واحد أو طبيعة واحدة)؟ أم كان يدعو لهم أن يكونوا متحدين في الهدف والقصد والطريق، أو بالمحبة التي تجمع بينهم حتى لكأنهم شخص واحد؟

ويجيب جنابكم بأنه أراد الثانية (رباط المحبة وغيرها) ، لأن التلاميذ مشتركون في جوهر الإنسانية منذ خلقهم الله، فلا حاجة لدعاء الله بأن يكونوا واحداً في جوهر الإنسانية... وهذا كلام صحيح وبدهي، أوافقك عليه بلا تردد.

وبالتالي صار معنى النص: (أيها الآب القدوس، احفظ التلاميذ، ليكونوا واحدا في رباط المحبة كما نحن)، أي كما أننا نحن (الآب والمسيح) واحد بمعنى رباط المحبة)، هذا ما كان يدعو به المسيح لتلاميذه... كان يدعو لهم بالوحدة المجازية.

وكلمة السر في النص هي قوله: «كما»، وهي التي ستذكر ثانية في تكملة النص: «**ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد**» ، أي ليكونوا متحابين (وحدة مجازية) كما أني والآب متحابون (وحدة مجازية).

وبخصوص كلمة (كما، καθώς) فإن جنابكم يقول: (تفيد المشابهة لا التطابق والمماثلة)، وهو صحيح، ولا يختلف عن المعنى الذي ذكرتُه واستنكره جنابك مني، فقد قلتُ: (أنبهك إلى ما تفيده كلمة «كما» من المماثلة، فمعناها: (مثلما)، وتفيد المشابهة بين طرفين) ، فلم أقل بأنها تفيد المماثلة والتطابق، بل قلتُ بأنها تفيد (المشابهة بين طرفين)،

وتفيد أيضًا (من المماثلة)، أي بعضها، وليس كلها .. فلا فرق بين ما ذكره جنابكم وبين ما استنكره مني.

وإذا اتفقنا على أن (كما، καθώς) تفيد المشابهة، فهذا يعني أن وحدة التلاميذ مع بعضهم تشبه وحدة المسيح بالآب، وإذا كنا متفقين على أن المسيح دعا للتلاميذ أن يكونوا متحدين بوحدة مجازية (يكونوا متحدين في صلة المحبة) أو وفق القديس بطرس السدمنتي «توحد المشيئات» (التصحيح في آلام السيد المسيح ، بطرس السدمنتي، ص ٥٠) ، فإن ما يشبهها على الطرف الآخر أن تكون الوحدة بين الآب والمسيح مجازية، بمعنى المحبة أو وحدة القصد والغرض.

ولا أظن من المشابهة في شيء أن تقول بأن وحدة التلاميذ كانت مجازية، وهي بذلك تشبه وحدة المسيح بالآب التي كانت جوهرية، فأين المشابهة في ذلك؟

ويمضي النص الإنجيلي ليقول: « **ليكون الجميع واحداً καθώς كما أنك أنت أيها الآب فيّ، وأنا فيك، ليكونوا هم أيضًا واحداً فينا .. ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد، أنا فيهم، وأنت فيّ**» (يوحنا ١٧: ٢١-٢٢)، وهذه الوحدة، وذاك الحلول نوع من المجاز فحسب.

وهذا الفهم أستأنسُ له بشرح الأب متى المسكين للنص حيث يقول: «رسالة المسيح (الكلمة المتجسد) تتركز وتتلخص في هذا المطلب الواحد الأخير أن الإنسان يصير واحداً مع الآب والابن» (شرح إنجيل يوحنا ١/ ٩٠)، فوحدتنا ووحدة المسيح مع الآب من جنس واحد، وهي وحدة القصد والهدف؛ لا الجوهر ، ولا الجواهر والذوات.

ويقول الأب المسكين في موطن آخر: «هنا يشدد المسيح مكرراً أن تكون وحدته فينا موازية لوحدة الآب فيه، وملتحمة بها .. وحدة الآب والابن هي بالأساس وحدة حب متبادل

(الآب يحب الابن، والابن يحب الآب) تبين لنا أن وحدة المسيح فينا، ونحن فيه هي وحدة حب متبادل بذات القوة، فهي حب موحد.. » (المحبوب، متى المسكين، ص ٢٠-٢١)، فهناك تواز بين وحدة الآب والابن من جهة، وبين وحدة التلاميذ بالآب والابن.

مفهوم اليهود لنص : (أنا والآب واحد) وموقفهم من المسيح

وإذا انتهينا من تشخيص نوع الوحدة بين الآب ويسوع الإنسان، فقد آن أوان التحدث عن موقف اليهود من قول المسيح: «**أنا والآب واحد**».

حين حدثتك عن أدلة نبوة المسيح وكونه رسول الله، أخبرتك أنها أدلة صريحة مباشرة لا تحتاج شرحاً ولا تفسيراً، ليس فيها غموض ولا مصطلحات غريبة عن الكتاب، فما أسهل على كل أحد أن يفهم قول المسيح: «**أنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله**» (يوحنا ٨: ٤٠)، فأجابني جنابكم بأن المسيح كان يلقب عند اليهود بالمسيا والنبي في بادئ الأمر، ولكنه (قال عبارات كانت كافية لإعلام اليهود أنه يدعى الألوهية ، ولذلك حاولوا رجمه .. لم يختلفوا إطلاقاً في الحكم بالتجديف على المسيح حينما قال عبارة حديثنا : «**أنا والآب واحد**» .

وتساءل جنابكم : (هل تستطيع أن تدافع عن المسيح أمامهم وتقول لهم : المسيح لا يجدف ، فهو لا يقول عن نفسه أنه إله لأنه إنسان يأكل ويشرب ويقول أنا إنسان، هل تظن أن دليل حضرتك سيكون كافياً ليتخلى اليهود عن فكرة أن المسيح يدعي الألوهية؟).

وهكذا فجنابكم يستدل بفهم اليهود لنص: «**أنا والآب واحد**» الذي نحن مختلفون في المراد منه، هل المراد وحدة الذوات والجواهر ؟ أم الجوهر والطبيعة؟ أم الوحدة المجازية؟ وأرجو أن تتذكر هنا أن فهم اليهود لكلام المسيح ليس حجة، لأنهم قد يخطئون في الفهم، وبخاصة إذا كانوا يريدون ذلك، فمن أراد أن يلفق تهمة لأحد فإنه لن يعجز عن مثل هذا التلفيق أو الاتهام الكيدي.

دعني صديقي الدكتور ميخائيل أنقل لك رأي واحد من علماء اللاهوت في القرن ١٣، وهو بطرس السدمنتي، حيث تحدث عن فهم التلاميذ والحواريين تحديداً للنصين الذين ذكرهما جنابك: الأول نص : «**أنا والآب واحد**»، والثاني: النص الآخر الذي استشهدت به « **وما هو لك فهو لي**»، حيث يقول: «إلا أن أذهانهم كانت يومئذ قاصرة عن استخراج مساواته مع الآب من هذه الألفاظ، وإذا كان عندهم حينئذ ليس إلهـاً في نفس الحقيقة فلا يليق أن ينسب إحضار كثرة الملائكة إلى نفسه؛ إذ كان إنما خطابه معهم على حسب أوهامهم فيه» (التصحيح في آلام السيد المسيح، بطرس السدمنتي، ص ٦٥)، فهو يرى أن التلاميذ لم يفهموا ما فهمه اليهود، ولم تكن تلك العبارات – التي يحتج بها النصارى اليوم على تأليه المسيح– كافية في دفعهم للإيمان بألوهيته ، فإنه « كان عندهم حينئذ ليس إلهـاً »، فأيهما أحق بالاعتبار؟ فهْم التلاميذ أم فهْم اليهود؟.

ثم أنت تحتج بفهم اليهود ، وتُعرض عن جواب المسيح عليهم، فقد قال لهم: «**أليس مكتوباً في ناموسكم: أنا قلت إنكم آلهة؟ إن قال آلهة لأولئك الذين صارت إليهم كلمة الله، ولا يمكن أن ينقض المكتوب، فالذي قدسه الآب وأرسله إلى العالم، أتقولون له: إنك تجدف، لأني قلت: إني ابن الله**»، حيث يرى جنابكم: (المسيح كان يرد على تهمة التجديف، وليس كونه إلهاً .. فهو الله لكنه ليس مجدفاً).

وأما حسب رأيي ، فقد كان المسيح ينكر عليهم اتهامهم له بالأمرين المتلازمين معاً، إنه ينكر ادعاء الألوهية المسمى (التجديف)، ويستدل على ذلك بحجتين بسيطتين واضحتين:

الأولى: اقتباس المسيح من المزمور ٨٢ يتضمن إشارة مهمة جداً، فقد «**أنا قلت إنكم آلهة، وبنو العلي كلكم ، لكن مثل الناس تموتون** » (المزامير ٨٢: ٦-٧)، فالنص التوراتي يعطي علامة فارقة بين الآلهة الحقيقية والآلهة المجازية، فالإله الحقيقي لا يموت، فهو « **المبارك العزيز الوحيد ملك الملوك ورب الأرباب الذي وحده له عدم الموت، ساكناً في نور، لا يدنى منه، الذي لم يره أحد من الناس، ولا يقدر أن يراه، الذي**

له الكرامة والقدرة الأبدية» (١ تيموثاوس ٦: ١٥-١٦)، وأما كل من مات سواء على الصليب أو على فراشه فإنه إله غير حقيقي « **إنكم آلهة .. لكن مثل الناس تموتون** ».

الثانية: أن الألفاظ التي تحدث بها المسيح عن نفسه كـ(ابن الله) قد أطلقت على بعض اليهود، فلم يعتبر إطلاقها عليهم تجديفاً، فالمسيح يقول لليهود: أنا ابن الله كما أنتم أبناؤه بنفس المعنى، وقد وصفكم كتابكم بأنكم آلهة، وهو لا يريد الألوهية الحقيقية، وأنا كذلك لا أدعي ألوهية حقيقية... هذا المعنى باختصار.

ودعنا نستأنس بقول واحد من المفسرين، وهو حبيب سعيد؛ إذ يقول في تفسيره لإنجيل يوحنا: «يقع هذا الاحتجاج المنطقي في حجتين متدرجتين – من الأدنى على الأعلى.

الدرجة الأولى: إذا كان كتابكم الذي بين أيديكم قد قال عن قضاتكم، وهم بشر مثلكم: إنهم آلهة (ألوهيم) (مز ٨٢: ٦)، ولم تستطيعوا أن تتهموا هذا الكتاب بالتجديف «**لأنه لا يمكن أن ينقض المكتوب**»، فعلى فرض أني لست سوى بشر كأحد قضاتكم، وقلت على نفسي: أني إله، فلماذا تتهمونني إذاً أنا بالتجديف مع أني لم أقل إلا ما قاله كتابكم المعصوم؟

الدرجة الثانية: إذا جاز لكتابكم أن يخلع هذا اللقب الجليل [آلهة] على بشر [القضاة]، لأنهم كانوا يحكمون باسم الله، حال كونهم خطاة، وقد تكون أحكامهم خاطئة – كما يشهد بذلك العدد الثاني من ذات المزمور – فكم بالأحرى يحق لي أنا، أن أقول عن نفسي: إني ابن الله».

وهنا تمت حجة المسيح، واستقام جوابه ، ووضح مقصده بأنه لا يدعي لنفسه أكثر مما يسمي به الكتاب بني إسرائيل وقضاتهم.

ولكن كعادة النصارى أضاف حبيب سعيد إلى معنى النص معتقده بأزلية المسيح، وهو غير موجود في النص فقال: «وقد قدسني الآب وكرسني منذ الأزل، لأنني بأخذي ذاتي منه في ميلادي الأزلي»، فهذا كله غير موجود في النص.

واسمح لي أن أنقل لك رأي شخص غير متخصص في اللاهوت ، لكنه قرأ هذا النص «**إن قال آلهة لأولئك الذين صارت إليهم كلمة الله .. فالذي قدسه الآب وأرسله إلى العالم، أتقولون له: إنك تجدف، لأني قلت: إني ابن الله** » فلم يفهم منه ما فهمه النصارى، وصاحب هذا الرأي هو الأديب برنارد شو حيث يقول: «إن كنتم آلهة فأنا إذاً إله من باب أولى» (المسيح ليس مسيحياً، برنارد شو، ص ٧٥).

وفي هذا الصدد جنابكم سارعٍ إلى اتهامي بالغش المتعمد حين نقلت ما قاله أرنست هاينشن: «اليهود مخطئون تماماً عندما يتهمونه [يسوع] بالتجديف، أنه يجعل نفسه متساوياً مع الله. ولكن في الحقيقة هو يقف في مكان الله ، فهو مُرسل من قبله» ، وقال جنابكم: (حضرتك أقتطعتَ آخر جملة في الفقرة، وأنا أعتقد عن عمد لأنها كانت آخر الفقرة ، وحضرتك تركتَها ..) وهي قول هاينشن: «والذي هو تماماً واحد مع سلطة (سيادة) الله ».

وأجيب بأني لم أقتطع شيئاً من النص ، فإني لم أنقله عن هاينشن مباشرة، بل نقلته عن طريق سرفيتوس الإنجيلي في كتابه «استعادة يسوع المسيح»، ص (٣٧٩)، وهو لم يذكر تلكم الزيادة الصحيحة التي تفضلتَ بها، فلستُ ممن يدلس في النقل.

وبالعموم ، هذه الزيادة لا تخل بالمعنى الذي ذكرتُه لك، فكلام هاينشن متناسق يفيد أن اليهود أخطؤوا حين زعموا أنه جدف، وجعل نفسه مساوياً لله «اليهود مخطئون تماماً عندما يتهمونه [يسوع] بالتجديف، أنه يجعل نفسه متساوياً مع الله» ، لأنه «في الحقيقة هو يقف في مكان الله فهو مُرسل»، أي أنه يقدم نفسه لليهود كرسول من الله ، وليس كمساو لله، وهذه الإرسالية تعني : «والذي هو تماماً واحد مع سلطة (سيادة) الله»، لأن سلطة الرسول هي من سلطة الله، فلو أرسلتُ لك رسولاً يحمل رسالتي ، فهذا الرسول يحمل سلطتي ، وحين يعطيك فإنما يعطيك بسلطاني لأنه رسولي، وكذلك حين يأخذ منك شيئاً فإنما يأخذه باسمي، فهو له سلطتي.

ومثله ورد في القرآن عن نبينا صلى الله عليه وسلم ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ** ﴾ (الفتح: ١٠) ، وكذلك : ﴿ **مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ** ﴾ (النساء: ٨٠)، فهي لا

تعني أن الرسول هو الله، وإنما تعني أن الرسول هنا ممثل لله، ونائب عنه، وسلطته في التحريم والتحليل والوعيد والوعد هي من سلطة الله الذي أرسله.

وهكذا فاليهود مخطئون في اتهامهم للمسيح بالتجديف الذي يقتضيه زعم المساواة بالله وفق فهمهم السقيم لكلام المسيح الذي ليس فيه شيء مما يدعونه.

لقد شكا المسيح بمرارة من سوء فهم اليهود لكلامه «**لماذا لا تفهمون كلامي؟ لأنكم لا تقدرون أن تسمعوا قولي؟**» (يوحنا ٨: ٤٣)، ومن ذلك أنه قال لهم يوماً: «**الحق الحق أقول لكم: إن كان أحد يحفظ كلامي فلن يرى الموت إلى الأبد**». فقال له اليهود: «**الآن علمنا أن بك شيطاناً. قد مات إبراهيم والأنبياء، وأنت تقول: إن كان أحد يحفظ كلامي فلن يذوق الموت إلى الأبد. ألعلك أعظم من أبينا إبراهيم الذي مات؟ والأنبياء ماتوا. من تجعل نفسك؟** » (يوحنا ٨: ٥١-٥٣)، فهذا مثال صارخ على سوء فهمهم لكلام المسيح، فهو يكلمهم عن الموت المعنوي، وهم يفهمونه عن الموت الحقيقي، ومن كان هذا مستواه في الفهم لا يصح أن يستشهد بفهمه لقول المسيح: «**أنا والآب واحد**».

لعلك تعجب معي من مثال آخر لسوء الفهم وقع فيه بحُسن نية واحد من كبار علماء اللاهوت اليهود، وهو نيقوديموس الذي سماه المسيح «**رئيس اليهود**» و«**معلم إسرائيل**» فقد سمع المسيح يقول: «**الحق الحق أقول لك، إن كان أحد لا يولد من فوق، لا يقدر أن يرى ملكوت الله. قال له نيقوديموس: كيف يمكن الإنسان أن يولد وهو شيخ؟ ألعله يقدر أن يدخل بطن أمه ثانية ويولد؟ .. أجاب يسوع وقال له: أنت معلّم إسرائيل ولست تعلم هذا!** » (**يوحنا ٣: ٣ - ١٠**)، فلم يفهم «**معلم إسرائيل**» معنى الولادة الروحية الجديدة، وظن أن الولادة من فوق تقتضي أن يدخل الرجل مرة أخرى في بطن أمه!

فهذا الفكر الثخين هو مستوى فهم أولئك اليهود الذين تستشهد بفهمهم.

معنى «أعمال الله»

واختلفت معكم على معنى «**أعمال الله**» الواردة في حق المسيح ، وذلك في قوله لليهود: «**أجابهم يسوع: أعمالا كثيرة حسنة أريتكم من عند أبي ، بسبب أي عمل منها**

ترجمونني ؟» (يوحنا ١٠: ٣٢)، وأخبرتكم أن الكتاب يطلق عبارة (أعمال الله) على نوعين من الأعمال:

أولها : ما يفعله الله بذاته كالخلق والرزق والإحياء والإماتة.

وثانيها: ما يفعله المؤمن من أعمال يحبه الله ، فإنها أيضاً تسمى «أعمال الله »، كما **في سؤال التلاميذ « ماذا نفعل حتى نعمل أعمال الله؟ أجاب يسوع وقال لهم: هذا هو عمل الله، أن تؤمنوا بالذي هو أرسله»** (يوحنا ٦: ٢٨ ـ ٢٩)، ويبدو من جوابك أننا متفقان، فقد كتبتَ: (فأنا أتفق معك حتى الآن).

لكنك ترى أن مراد المسيح من أنه يعمل «**أعمال الله**» هو النوع الأول من «أعمال الله»، وهو الخلق ، لأن المسيح خلق، ولأنه فعل المعجزات .

ودعنا نرجع إلى ما تحاكمني إليه، وهو ما فهمه اليهود لما سمعوا المسيح يقول: «**أعمالاً كثيرة حسنة أريتكم من عند أبي**»، هل فهموا أنه يتكلم عن أعمال الله الذاتية كالخلق والرزق؟ أم يتحدث عن الأعمال الصالحة التي يحبها الله؟ لقد أجابوه: « **قائلين: لسنا نرجمك لأجل عمل حسن، بل لأجل تجديف**» (يوحنا ١٠: ٣٣)، أي أننا لا ننكر أنك تعمل أعمال الله الصالحة التي يعملها الصالحون، فهذا ما فهمه السامعون منه ، ولم يفهموا أنه يحدثهم عن كونه خالقاً رازقاً محيياً مميتاً مدبراً للكون.. هذا لم يدر في خلدهم، ولم يقصده المسيح أبداً، ولو فهموا منه ذلك لوصل صياحهم إلى القمر احتجاجاً على هذا القول.. لكنهم لم يفهموا ما فهمه جنابكم منه.

وهنا يسألني جنابك: (ألا تؤمن أن المسيح خلق؟!) ، وأجيبكم بأن المسيح خلق بمعنى: صنع من الطين طيراً، صنع من الطين، وليس برأ من العدم.

وقد كان صنيعه معجزات باهرة ، ولا ريب عندي أن هذه الأعمال هي بالحقيقة «**أعمال الله**» التي يصنعها الأنبياء بقدرة الله، أو بالأحرى يصنعها الله على يد الأنبياء، فليس موسى من شق البحر، ولا كانت عصاته قادرة على تحريك موجة من موجاته، إن الذي شق البحر هو الله، وشقه حين ضرب موسى البحر بعصاه، فالفاعل الحقيقي هو الله.

وكذلك حين انتصر المسلمون في بدر، وقتلوا المشركين ، وكذلك حين رمى النبي صلى الله عليه وسلم الغبار في وجوه جيشهم قبل بدء الغزوة، فآذتهم جميعاً، فكان هذا الفعل هو فعل الله، وكان ذلك النصر والقتل هو تأييد الله، لذلك قال الله له: ﴿ **فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَـكِنَّ اللّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـكِنَّ اللّهَ رَمَى** ﴾ (الأنفال: ١٧)، فالمسلمون لولا قتل الله للكافرين لعجزوا عن هزيمتهم، وكذلك لولا أن الله أوصل الغبار إلى أعين المشركين لما جاوزت رمية النبي صلى الله عليه وسلم عشرة أمتار، لكن الله هو الذي قتل، وهو الذي رمى، والنبي والمؤمنون هم من أوقع الله بفعلهم القتل والرمي.

وكذلك المسيح صنع المعجزات الباهرات ، لكن الفاعل الحقيقي لها هو الله، فالله هو من شفى المرضى بلمس يديه، وأحيا الموتى بدعائه، فالله هو الفاعل الحقيقي، وكما قال بطرس في خطبته الشهيرة: «**يسوع الناصري رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده**» (أعمال الرسل ٢: ٢٢)، فهو مجرد بشر ، صنع الله المعجزات به ، وأجراها على يديه، لتكون برهاناً على نبوته ورسالته.

معنى بنوة الله

أراد جنابكم أن يثبت أن مصطلح (ابن الله) أو (المسيا المنتظر) كان عند اليهود شخصاً إلهياً، فذكرتم أن اليهود كانوا يفهمون بنوة الطبيعة، واستدللتم على ذلك بفقرات، أولها قول سفر الأمثال: «**وما اسم ابنه إن عرفت؟**» (الأمثال ٣٠ : ٤) ، وليس في النص ما يشير إلى بنوة الطبيعة، وإن كان فيه ما قد يشير إلى ابن مخصوص، يحتمل أن يكون هذا الابن هو شعب إسرائيل، كما في التوراة: «**يقول الرب: إسرائيل ابني البكر**» (الخروج ٤: ٢٢).

لكن المفسر اليهودي راشي يرى أن النص لم يكن في باب الإخبار عن ابن لله، بل كان في سياق الإنكار، إذ يقول: «إذا كنتم تقولون: أن أتى شخصه نفسه، قولوا لي ما اسم ابنه؟».

وأما المفسر اليهودي سعاديا جاؤون فيضع النص في إطار آخر بعيد، وفيه إغراب، وهو أن أجور ابن متقية يشكو من وجود علوم لا يعلمها هو ولا أستاذه ، ومن ذلك علوم الأرض والهواء والنار والماء، فلا نعلم لماذا خلقها الله هكذا، فلا ينبغي السؤال عنها، لأن العلماء لا يعرفونها، وإن زعمتم معرفتها فأخبرونا ما اسم هذا العالم العارف بها، وما اسم ابنه أو تلاميذه (انظر تفسير سفر الأمثال لسعاديا جاؤون صفحة ١٨٥).

وأما بخصوص نص: «**يُولد لنا ولد، ونُعطى ابناً، وتكون الرياسة على كتفه، ويُدعى اسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام**» (أشعياء ٩ : ٦) ، فالمفسر راشي ينازعك في كون المراد به المسيا المنتظر، أو أنه يشير إلى طبيعة إلهية لهذا القادم، ويرى أن المقصود بهذا النص هو الملك حزقيا، ويمكنك أن تراجع تفسيره لكل فقرة من فقرات النص من خلال هذا الرابط :

(https://www.chabad.org/library/bible_cdo/aid/15940#showrashi=true).

وكذلك الحال عند المفسر اليهودي إسحاق بن إبراهام الطروقي في كتابه «تعزيز الإيمان»، حيث يرد على ادعاء المسيحيين أن النص نبوءة عن المسيح، ويقول: «هذه النصوص تشير إلى حزقيا، ملك يهوذا، الذي شهد إسرائيل في عهده تدخلاً إلهياً، علامة الإنقاذ من سنحارب، ملك آشور، الذي فرض حصاراً على أورشليم بجيش قوامه مائة وثمانون ألف رجل حرب... حيث أن أحاز اعتلى الحكم، حين بلغ حزقيا السنة التاسعة. صدقُ هذا التفسير ينبثق مما يسبق نص النبوءة من الأعداد وما تلاها من نصوص.. والنعوت السابقة هي نعوت الله ذكرت كعلامة على أن ظهور العجائب مصحوباً في حياة حزقيا ولأجله »، ثم شرع في الرد على القديس جيروم واستشهاداته ومَن بعدَه بهذه النبوءة. (انظر تعزيز الإيمان، إسحاق بن إبراهيم الطروقي، ص (١٠٦).

وأما وصف اليهود للمسايا بأنه (قوة الله) فلا يدل على أنه كائن إلهي، بل غاية ما يدل عليه أنه مؤيد من الله ، فسيمون الساحر اعتقد الناس في سحره أنه قوة الله «**وكان الجميع**

يتبعونه من الصغير إلى الكبير قائلين: هذا هو قوة الله العظيمة»، أي هو معزز بهذه القوة، ولم يعبده أحد من اليهود، لأنهم لا يعتقدون أن فيه جزءاً أو حلولاً إلهياً.

وأما تسمية المسيا (عمانوئيل، الله معه) أو (يهوه برنا) فلا يفيد أكثر مما تفيده أسماء مشابهة أطلقت على أناس لا يدعي أحد إلاهيتهم ، مثل إسماعيل «الله يسمع»، ويهوياقيم «الله يرفع»، ويهوشع «الرب خلص» ، فهذه عادة دارجة في التسميات اليهودية، يقول الطريقي: « طبيعة اللغة المقدسة (العبرية) تسمح بنسب اسم الإله للبشر، بل وحتى للجماد حصراً » (تعزيز الإيمان، ص ١٠٦).

وبالعموم أدرك جنابكم أنه منازع في هذا الفهم ، فكتب: (وبالتأكيد أنا لا أقول أن كل اليهود فسروا النبوات بنفس هذا التفسير ، ولكن هناك من فهموها هكذا)، وأقول: نعم، وهناك من فهمها على نحو آخر، ليس فهمُ هؤلاء بحجة على هؤلاء، والعكس صحيح.. وأقوال الرجال يستأنس بها، ولا يستدل.

يقول عوض سمعان شارحاً رأي تلاميذ المسيح واليهود في المسيا : « إذا رجعنا إلى تاريخ علاقة الرسل بالمسيح ، وجدنا أنهم لم يجرؤوا في أول الأمر على الاعتراف بأنه هو الله ... لأنهم كيهود كانوا يستبعدون أن يظهر الله في هيئة إنسان . نعم كانوا ينتظرون المسيّا، لكن المسيا بالنسبة إلى أفكارهم التي توارثوها عن أجدادهم لم يكن سوى رسول ممتاز يأتي من عند الله ، وليس هو بذات الله» (الله في المسيحية ، عوض سمعان ، ص ٣١٧).

ثم انتقل جنابكم لمناقشة معنى البنوة عند اليهود معاصري المسيح، وركزت على وصف المسيح بأنه «ابن الله الوحيد»، وهذا ما يعني لديكم أنه ابن الله بالطبيعة، ليتميز عن بقية أبناء الله الآخرين، فهم أبناء الله بالتبني، وهو ابنه بالطبيعة.

وهنا يلزمنا أن نرجع إلى ذلكم العصر، فمفهوم البنوة عندهم لا يقترن بالألوهية أبداً، لذا قيل: «**آدم، ابن الله**» (لوقا ٣ : ٣٨) ، وقيل: «**مثل الملائكة، وهم أبناء الله**» (لوقا ٢٠ :

٣٦)، ومعنى البنوة في أذهانهم لا يتجاوز ما قاله يوحنا: «**وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله، أي: المؤمنون باسمه**» (يوحنا ١: ١٢).

ولذا تجد الإنجيليين ينقلون هذا المعنى للبنوة في سياق الحديث عن المسيح، فقد قال قائد المائة لما شاهد موت المسيح: «**حقاً كان هذا الإنسان ابن الله!**» (مرقس ١٥: ٣٩)، وهي عبارة كتبها لوقا بصيغة توضح معناها في ذلك الزمان: «**بالحقيقة كان هذا الإنسان باراً!**» (لوقا ٢٣: ٤٧)، فمفهوم جيل المسيحية الأول لمصطلح (ابن الله) لا يزيد عن معنى : (العبد البار المطيع لله).

يقول المطران يوسف الدبس: «الرسل كانوا بعدُ سذَّجاً، فكانت معرفتهم ضعيفة ومشوشة، فكانوا يؤمنون بأن المسيح هو ابن الله أكثر من كل الأنبياء، بل هو إله أيضاً؛ إلا أنهم كانوا يجهلون هل هو إله بالميلاد الأزلي أو بنوع آخر ، ولم يكن يمكنهم شرح ذلك بصراحة وتفصيل» (تحفة الجيل، المطران يوسف الدبس، ص ٧٢٧)، فالتلاميذ يجهلون ما عرفه المسيحيون بعدهم من بنوة الطبيعة والأزلية.

ولكن تبقى لدينا لفظة تحتاج إلى معالجة، وهي «الوحيد»، فالوحيد هنا تعني (المفضل)، وهو نفس المعنى الذي أطلقته التوراة على إسحاق ، فقد وصفته ثلاث مرات بأنه وحيد أبيه «**خذ ابنك وحيدك الذي تحبه؛ اسحق** » (التكوين ٢١: ٥، ٢٢: ٢)، ولم يكن إسحاق وحيده في يوم من الأيام، فأخوه إسماعيل أكبر منه بأربعة عشر عاماً، أي هو من يستحق لقب (الوحيد) طوال طفولته وصباه.

ورغم أن (ابن الله) لا تعني عندي أكثر مما قلتُ؛ فإني أريد تنبيه جنابك إلى عدم تسليمي بصحة استنتاجك لمعنى: «**هل أنت المسيح ابن الله ؟ قال له يسوع : أنتَ قلتَ**»، فقد فهم جنابكم («**أنتَ قلتَ**»، تعني موافقة المسيح على ما قاله رئيس الكهنة) ، وهو ما يخالفك به علماء معتبرون، منهم الآباء اليسوعيون الذين علقوا عليه في نسخة الرهبانية اليسوعية بقولهم: «المعنى: أن يسوع يرفض هذا اللقب».

وأما القس الدكتور حنا جرجس الخضري، فرأى أن النص ملبس يحتمل التصديق والنفي: «يقول العارفون باللغة الآرامية: إن جواب المسيح يحتمل الإيجاب والنفي» (تاريخ الفكر المسيحي ١/ ٢٨٩)، وعليه فليس من كبير فائدة بالبحث عن دلالة العبارة في اللغة اليونانية التي لا يعرف المسيح منها حرفاً واحداً.

وسألني جنابكم: هل يمكنني أن أقول عن المسيح أنه (ابن الله) ولو بالمعنى المجازي للبنوة؟

وأجيبك: نعم، يجوز أن أقول عن أي عبد صالح أنه (ابن الله، بمعنى: عبد الله الصالح البار)، وليس أكثر.

وأما فيما يزيد عن هذا المعنى فغير جائز بالإطلاق، والمسلمون يجتنبون هذا الاستعمال ويمنعونه لما يقع فيه من إيهام، وقد وقع لمن قبلنا، فلا نحب أن يقع فينا.

المساواة في القوة والقدرة بين الآب والمسيح

ويصل بنا الحديث إلى مسألة المساواة بين الله والمسيح، وتحديداً إلى موضوع القدرة الذاتية لله، والقدرة الموهوبة للمسيح، وقد ذكر جنابكم أن نص «**دُفع إلي**» يعني: (فمعنى الآية أن الآب يمارس عمله وسلطانه في الابن)، وحين حدثتني عن الدينونة أخبرتني (أن الآب سيمارس الدينونة بالابن، لأنه هو عقله الناطق)، وهنا يظن جنابكم أن هذه الدينونة المعطاة تشمل كل صلاحيات الله في الدينونة، فالمراد منها بحسب فهمكم (الدينونة المطلقة) .

وقد فات جنابكم أن الآب سيمارس الدينونة أيضاً بآخرين وفق اختصاصات أخرى، ففي حين سيدين المسيح البشر، فإن بولس والقديسين أوكلت إليهم من قبل الرب مهمة إدانة الملائكة ، حيث يقول: «**ألستم تعلمون أننا سندين ملائكة؟**» (١ كورونثوس ٦: ٣)، ولم يصبحوا آلهة.

دعني أقول: الله عز وجل يتصف بصفات ذاتية مطلقة لم ينلها من أحد ما، وهي صفات تجمع الكمال كله، وتقوم بذاته على نحو غير محدود بحدود الزمان ولا المكان،

فهو الخالق الأبدي الأزلي الكلي العلم والقدرة.... وهو يهب من شاء من خلقه بعض صفاته، فتقوم بهم على صفة تغاير قيامها بذات الله، فالله حكيم وسميع وبصير وحي، وله من هذه الصفات ما يليق بذاته غير المحدودة، ولكنه وهب البشر مثلاً صفات من صفاته، فقامت بهم على وجه يليق بضعفهم وذاتهم المحدودة، فالإنسان حكيم وسميع وبصير وحي، ولكنها صفات محدودة من حيث القدرة والاستمرارية، ولها بداية، ولها نهاية.. والناس فيما بينهم يتفاوتون في قيام هذه الصفات بهم، فبعضهم أحكم من بعض، وأسمع من بعض .. وهكذا فإن عطايا الله للناس تتفاوت، ولكنها على كل حال لا تماثل تلكم الصفات التي تقوم بذات الرب تبارك وتعالى.

وأما المسيح الذي كان يعيش بيننا على الأرض، فسأسميه: «المسيح الأرضي»، وغاية ما أريده من التسمية : الدلالة على ذلك الرجل العظيم الذي عاش على الأرض قبل ألفي سنة، وأنتم ترونه إلهاً معبوداً ، ونحن المسلمون نؤمن به بشراً رسولاً.

هذا «المسيح الأرضي» بحسب الإنجيل حاز من الله نصيباً يفوق ما حازه غيره، فهو مثلاً «**الابن أيضاً يحيي من يشاء** »، وهنا جنابكم يضيف ملاحظة جوهرية، وهي : (ليس بـ(إذن الله) كما تدعون .. فهي قدرة ذاتية وليست مكتسبة)، فأنت تفترض أن إحياءه غير مرتبط بمشيئة الله وإذنه وإقدار الله له على الإحياء، وهنا موضع خلافنا.

١. لذا سنرجع إلى قصة من قصص الإحياء التي فعلها المسيح، لنقرأ الحدث كما هو، فقد أحيا «المسيح الأرضي» لعازر بعد موته بأربعة أيام ، فقد تقدمت إليه أخته مرثا قائلة: «**أعلم أن كل ما تطلب من الله يعطيك الله إياه**» (يوحنا ١١: ٢٢) ، فهي تتحدث عن شخص محدود يستمد مدداً من رب غير محدود ، ولأن المسيح شخص محدود مفعم بالمشاعر الإنسانية « **فلما رآها يسوع تبكي واليهود الذين جاءوا معها يبكون انزعج بالروح واضطرب ، وقال: أين وضعتموه؟ .. بكى يسوع .. فانزعج يسوع في نفسه أيضاً**» (يوحنا ١١: ٣٣-٣٨).

وتقدم «المسيح الأرضي» إلى قبر لعازر، وفعل شيئاً مهماً: «**ورفع يسوع عينيه إلى فوق، وقال: أيها الآب ، أشكرك لأنك سمعت لي ، وأنا علمت أنك في كل حين تسمع**

لي» (يوحنا ١١: ٤١)، ثم صرخ : «**لعازر هلم خارجاً**»، فقام لعازر من الموت، ووقعت أعجوبة الإحياء المذهلة.

ولو بحثنا في هذه القصة عن قولك: (ليس بـ(إذن الله) كما تدعون .. فهي قدرة ذاتية وليست مكتسبة) لما وجدناه فيها أبداً، بل كل طرف من أطراف القصة يقف ضده، ابتداء من قول مرثا: «**ما تطلب من الله يعطيك الله إياه**»، وانتهاء بنظره إلى السماء، وطلب المساعدة من الآب الذي استجاب له، وهو يستحق شكره «**وأنا علمتُ أنك في كل حين تسمع لي**».. فهل ما زال جنابك يرى أن الإحياء صفة ذاتية للمسيح؟

الله حين يريد أن يحيي ميتاً لا ينظر إلى الأرض حيث يقف المسيح، ليسأله العون، ولا يقول للمسيح ولا لغيره: أشكرك لأنك استجبت لي .. ولا تناجيه مرثا : (أيها الآب ما تطلب من .. يعطيك ..إياه)، لأنه لا يطلب من أحد، ولا يحتاج إلى أحد، فهو المحيي المميت بذاته.

أما «المسيح الأرضي» الذي تعبدونه فيحتاج إلى عون الله، ليحيي لعازر أو أي شخص أراد إحياءه من الموت.

٢. «المسيح الأرضي» الذي تعبدونه محتاج ليس فقط إلى الله، ولا إلى البشر، بل هو محتاج حتى إلى الحيوانات، تأمل هذا النص المقدس الذي ينقل أن «المسيح الأرضي» اقترب من جبل الزيتون، وأرسل اثنين من تلاميذه ليأتياه بجحش قائلاً : «**وإن سألكما أحد: لماذا تحلانه؟ فقولا له هكذا: إن الرب محتاج إليه**» (لوقا ١٩: ٣١)، أي: «المسيح الأرضي» محتاج إلى الحمار ، ويراه جنابكم كلي القدرة مماثلاً لمن خلق السماوات والأرض التي يعيش عليها الحمار الذي يحتاجه المسيح!!

٣. لقد كان سلطان «المسيح الأرضي» محدوداً بحدود الزمان والمكان والقدرة، فهو لا يوازي سلطان الله المطلق الذي لا يحده شيء، ومن أهم أدلة ذلك ما سقته لكم من قول المسيح بأن سلطانه مكتسب، لا ذاتي: «**دُفع إليَّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض**»، وقد فهم جنابكم من هذا النص: (سلطان المسيح المطلق مُعطى له من الله)،

ولم يتنبه إلى أن «المسيح الأرضي» مرَّ عليه وقت لم يكن يملك هذا السلطان، وهو ما قبل ولادته الأرضية، وكذلك ما قبل أن يُدفع إليه السلطان، أي إبان طفولته، حيث لن يدفع الله هذا السلطان لذلكم الطفل الأرضي الذي لا يعرف المشي ولا الحبو ولا الكلام.

٤. ثم كبر الطفل «يسوع» وصار رجلاً، فدفع الله إليه السلطان، ثم صلبه اليهود، فمات على الصليب، فهل استمر هذا السلطان معه حتى وهو ميت؟ هل كان «المسيح الأرضي» الميت والمدفون في الأرض ذا سلطان على كل من في السماوات والأرض؟ هل كان له سلطان على النسوة اللاتي كُنَّ يكفنه ويطيبن جثته؟ أم كان لهن سلطان عليه يقلبْنَه كيف شئن، وهو لا يملك فعلاً ولا سكوناً؟

٥. وأنبه جنابكم إلى ضرورة تجنب الحرفية في تفسير معاني النصوص الكتابية «**كل سلطان في السماء وعلى الأرض** »، فاللغة التي اعتمدها مؤلفو العهد الجديد تقوم على المبالغة في الطرح، وهذا يتجلى في مواضع كثيرة، يعرفها النقاد، ويخرج بنا الحديث إلى موضوع آخر لو تتبعناها، لكني أكتفي بنماذج تضع أمامك الذهنية التي يكتب بها الإنجيليون:

أ. يقول يوحنا: « **وأشياء آخر كثيرة صنعها يسوع، إن كتبت واحدة واحدة فلست أظن أن العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة**» (يوحنا ٢١: ٢٥)، ولا أظن جنابك أو أي أحد يعرف حجم العالم يقبل مثل هذه المبالغة، إذ المسيح عاش ثلاثاً وثلاثين سنة، ولو صنع في كل يوم مائة معجزة، وكتبنا كل معجزة في كتاب من ١٠٠ صفحة، فإن المستشفى الذي يعمل فيه جنابكم يكفي ويسع هذه الكتب، فمن قرأ : «**فلست أظن أن العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة**» سهل عليه إدراك المنهجية التي يسلكها الإنجيليون وهم يتحدثون عن المسيح فيقول متى: « **فتقدم يسوع وكلمهم قائلاً: دُفع إليّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض** » (متى ٢٨: ١٨)، فهذه مبالغة فحسب.

ب. يقول بولس عن المصالحة التي تمت بدم المسيح : «**وأن يصالح به الكل لنفسه عاملاً الصلح بدم صليبه بواسطته ، سواء كان ما على الأرض أم ما في السموات**» (كولوسي ١ : ٢٠) ، مع أن المصالحة خاصة بشعبه المفديين دون الجمادات والكائنات غير البشرية التي في السماوات وعلى الأرض ، ومع ذلك فإن أسلوب المبالغة « **الكل .. ما على الأرض أم ما في السموات** » جعلنا نفهم من النص شموله للكافرين، ولغير أهل الأرض كالملائكة الساقطين بحسب معتقدكم.

ج. يقول بولس عن مجيء المسيح: « **لتدبير ملء الأزمنة ، ليجمع كل شيء في المسيح ، ما في السموات ، وما على الأرض**» (أفسس ١ : ١٠) ، لذا يقول القس جيمس أنِس : « **لا يمكن أن يكون معنى:** «**كل شيء**» العالمين ، حيُّها وجمادها ، كالشمس والقمر والنجوم ، لأنها ليست قابلة للمصالحة مع الله ، ولهذا السبب عينُه لا يمكن أن يقصد بها كل الحيوان ، ولا يمكن أن يقصد بها كل الخلائق العاقلة الساقطة ، لأن المسيح لم يأت ليفتدي الملائكة الساقطين [عبرانيين ٢ : ١٦] ولا يقصد بها جميع البشر، لأن الكتاب يعلم أن ليس كل البشر يتصالحون مع الله» (**علم اللاهوت النظامي ، جيمس أنِس ، ص ٧٢٤**)، وهكذا فـ«**كل شيء**» لا تعني دائماً (كل شيء).

وأحياناً يضرب جنابكم أمثلة لتقريب المعاني، فأراها أكثر غرابة من المعنى الذي كان ينبغي توضيحه، فحين تحاول إفهامي أن كلمة «دُفع» أو «أُعطي» لا تعني أنه لم يكن من قبل مالكاً لِما أُعطيه ، فتقول: (عندما أقول: إني أعطيت ليدي مهمة الكتابة . هل معنى ذلك أن يدي لم تكن لها هذه الموهبة ثم بعد ذلك أُعطيت لها ؟) ومن قال لك: إن أحداً في العالم يقول: أعطيتُ يدي مهمة الكتابة؟ ومن الذي أخبرك أن اليد تملك موهبة بذاتها؟ فلو نقلنا هذه اليد الموهوبة – برأيك - إلى شخص بطال، هل ستستمر فيها تلك الموهبة؟ أم أن الموهبة خاصة بصاحبها وليست فيها؟

وفي لهجة صارمة تحداني جنابكم قائلاً: (أتحدى حضرتك أن تجد شخصاً في الكتاب المقدس يقول: أن له كل سلطان في السماء وعلى الأرض ، أو أن له قدرة غير محدودة مطلقة في كل شيء ، مثلما قال المسيح).

وأستجيب للتحدي بعد أن أذكِّر جنابكم أن لا أحد يملك قدرة الله المطلقة، لا المسيح ولا غيره، وما تقرأه في تلكم النصوص هي نوع من المبالغة والمجازفات التي أطلقت فيما يخص المسيح وفيما يخص غيره أيضاً.

وبداية، أرجو أن لا تفهم كلمة «سلطان» بمعناها المطلق ، فأحياناً لا يجاوز معناها أضيقه ، ودعنا نعرض لها المثال، فقد تحدث سفر المزامير عن الإنسان أي الجنس الإنساني، فقال: «**فمن هو الإنسان حتى تذكره؟ وابن آدم حتى تفتقده؟ وتنقصه قليلاً عن الملائكة، وبمجد وبهاء تكلله. تسلطه على أعمال يديك، جعلت كل شيء تحت قدميه: الغنم والبقر جميعاً، وبهائم البر أيضاً، وطيور السماء، وسمك البحر السالك في سبل المياه**» (المزمور ٨: ٤-٨)، فوصف النص الإنسان بأنه أقل من الملائكة، لكنه مسلط على أعمال الله، وكل شيء في الجو والبحر والبر تحت قدميه، فهذا التسلط ليس حقيقياً، إنما هو تسخير ما نستطيع تسخيره من هذه المخلوقات، وإلا فإن في البحار – مثلاً – ما لا يعلمه إلا الله من الحيوانات التي لم يسمع بها الإنسان؛ فضلاً أن يكون مسلطاً عليها وعلى غيرها من أعمال الله ، أي مخلوقاته «**تسلطه على أعمال يديك**».

ومن أمثلة السلطان الإلهي المحدود الذي يعطيه لبعض خلقه؛ سلطان إبليس الذي يعطيه الكتاب سلطاناً لا يقل عن سلطان المسيح، فهو مَن عرض على المسيح جميع ممالك الدنيا التي أُعطيت له، فحاول إغراء المسيح بها، و« **أصعده إبليس إلى جبل عال، وأراه جميع ممالك المسكونة في لحظة من الزمان، وقال له إبليس: لك أعطي هذا السلطان كله ومجدهنّ، لأنه إليّ قد دُفع ، وأنا أعطيه لمن أريد ، فإن سجدت أمامي يكون لك الجميع**» (لوقا ٤: ٥- ٧)، فقد دُفع إلى الشيطان سلطان إلهي يشمل «**جميع ممالك المسكونة**»، ويستطيع أن يدفعه إلى غيره، من غير أن يصبح هو أو من يأخذ عنه هذا السلطان إلهاً.

ولعلك تلاحظ أن المسيح لم يكذِّب الشيطان في هذا الخبر، بل قال: « **اذهب يا شيطان، إنه مكتوب: للرب إلهك تسجد، وإياه وحده تعبد**» (لوقا ٤: ٨)، فجوابه مشعر بتصديقه للشيطان، لكنه رغم هذا السلطان المدفوع للشيطان فإنه لن يسجد له، لأن الكتاب يقول: « **للرب إلهك تسجد**».

وقد سألني جنابكم: (أما بخصوص قول الشيطان: أن الممالك دُفعت له ، فهل كل ما يقوله الشيطان ستصدقه ؟!)، وأجيب: إذا كان المسيح قد صدقه ولم يكذِّبه، فماذا تراني أقول؟ أرني ما يثبت أن المسيح كذَّبه؟

هذا الشيطان وُصِف بوصف أكبر، وقد حار فيه الآباء، حتى قال بعضهم: إنه وصف لـ (الله) كما فعل القديس إيريناوس في كتابه (ضد الهرطقات، الكتاب ٣، الفصل ٧)، لكنه في الحقيقة كان وصفاً للشيطان، « **إله هذا الدهر قد أعمى أذهان غير المؤمنين** » (٢كورنثوس ٤: ٤)، فالشيطان «**إله هذا الدهر**»، وهو أيضاً: « **رئيس سلطان الهواء الروح الذي يعمل الآن في أبناء المعصية** » (أفسس ٢: ٢)، وكذلك هو: « **رئيس هذا العالم يأتي وليس له فيَّ شيء** » (يوحنا ١٤: ٣٠)، فلا ينجو من تسلطه إلا المسيح ، وكذلك « **ذاك الذي له سلطان الموت ، أي إبليس** » (العبرانيون ٢: ١٤)، وهذا النص الأخير يحمله معظم المفسرين على سلطان الموت المعنوي الروحي المتمثل بالإغواء والإضلال، ولكن ثمة منهم من يفسره بالموت الحقيقي.

وهنا أجدد بأن ما تقرأه في السطور الماضية لا يماثل ولا يساوي سلطان الله المطلق، الذي لا يحده الزمان ولا المكان ولا الإمكان، لكن اللغة المعبر فيها عن هذا السلطان تشي بذلك لما فيها من مبالغات ومجازفات، وقعت في حق المسيح، وكذلك في حق الشيطان.

ووقعت كذلك في حق بلعام بن باعور الذي وُصِف بأنه « **يرى رؤيا القدير .. ويعرف معرفة العلي الذي يرى رؤيا القدير ساقطاً، وهو مكشوف العينين** » (العدد ٢٤ : ٤، ١٦).

وجنابك يرى أن قوله: «**معرفة العلي**» لا يراد منه طلاقة العلم، بل علم محدود، وهو صحيح، رغم أن النص يشير في ظاهره إلى طلاقة المعرفة : «**معرفة العلي**»، فالنصوص تقيَّد عموماتها بمقيدات عقلية وسياقية، سواء كانت عن المسيح أم كانت عن غيره، سواء بسواء، فهذه لغة الكتاب ، وتلك طريقة مؤلفيه في التعبير.

والزعم بأن ما يخص المسيح هو سلطان مطلق هو من التحكم في دلالات النصوص والانتقائية في الفهم التي لا تصلح في الاحتجاج.

كيف نكرم المسيح؟

واستنتاجكم الذي توصلتم إليه من خلال جمع عدد من النصوص التي رسخت في ذهنكم ألوهية المسيح، لأنها بحسب فهمكم كانت تجعله مساوياً لله ، فـ«**مهما عمل ذاك [الآب] فهذا يعمله الابن كذلك**»، وهو القائل: «**كل ما هو لي فهو لك ، وما هو لك فهو لي**»، ومن ذلك: « **كما أن الآب يقيم الأموات ويحيي ، كذلك الابن أيضاً يحيي من يشاء**»، وهكذا فالنتيجة أنه هو الله المستحق للعبادة: « **لكي يكرم الجميع الابن كما يكرمون الآب**».

وقد نبهني جنابكم إلى دلالة كلمتين مهمتين وردتا في الفقرات السابقة، وهما «**كل**»، و«**مهما**»، فقلتم: (انتبه إلى كلمة « **مهما**»)، وكذلك قلتم: (وأعتقد أن «**كل**» في اللغة تعني: كل)، ومقصودكم أن هذه الألفاظ تفيد العموم والاستغراق، فتجعل كل ما للآب للمسيح، وكذلك كل أعمال الآب مقدورة للمسيح، وهو ما يعني بحسب فهمكم مساواته للآب.

وقبل أن نشرع في فهم معاني تلك النصوص؛ أود أن أسجل مخالفتي لفهمكم لدلالات ألفاظ العموم، فالعموم عند العلماء قد يراد منه عموم، وقد يراد منه خصوص، فمثلاً: لو قال أستاذ مادة الكيمياء: كل الطلاب نجحوا .. فهو لا يقصد طلاب المدرسة، بل يقصد طلابه فحسب، ولا يقصد نجاحهم في كل المواد، بل في مادته فحسب، فهذا ما يسمى «العموم الذي يراد به خصوص».

تصور معي: طالبان في مدرسة، يقول أحدهما للآخر: كل ما هو لي فهو لك .. ماذا يفهم العقلاء منه؟ السياق يدل على أنهما يتحدثان عن مذكرات الدراسة.

وتصور أستاذان في نفس المدرسة، يقول أحدهما للآخر: كل ما هو لي فهو لك.. لاريب أنه لا يقصد إعطاءه زوجته وأولاده وماله.. إنما يريد مساعدته فيما يهمهما من شؤون تعليمية.

هذا ما يسمى «العموم الذي يراد به خصوص»، ومنه ما ورد في مثل الابن الضال، فقد قال الأب لابنه : « **أنت معي في كل حين، وكل ما لي فهو لك** » (لوقا ١٥: ٣١)، ومراده : أملاكه فقط، وليس حسناته وسلطانه وزوجاته وأصدقاءه.

وهذا نهج مستخدم في فهمِ كل عموم، ومن ذلك ما جاء في كتبكم وفي القرآن الكريم، وفي سائر كتب العقلاء.

ومن أمثلة وجوده في كتابكم :

١. «**وأخذ خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك، وأخذ كل شيء**» (١ الملوك ١٤: ٢٦)، فإن العقلاء يعلمون أنه أخذ كل شيء له قيمة استطاع الوصول إليه ، فليس المقصود بـ «**كل شيء**» المعنى الحرفي الذي لا يبقي شيئاً ولا يذر.

٢. «**وتكون مملكة رابعة صلبة كالحديد، لأن الحديد يدق ويسحق كل شيء**» (دانيال: ٢: ٤٠)، ومن المعلوم أن الحديد لا يسحق كل الأشياء، فمن المعادن ما هو أصلب من الحديد كالفولاذ، فعموم قوله: «**كل شيء**» غير مراد.

٣. « **كل شيء مستطاع للمؤمن**» (مرقس ٩: ٢٣)، وهو بالتأكيد ليس على عمومه ، فالمؤمن - كما غير المؤمن - يعجز بعجز البشر ، فلا يستطيعون ما تستطيعه الحيوانات مثلاً، والمؤمنون كغيرهم لا يقدرون على نقل جبل من محله إلى مكان آخر، ويشاركون الآخرين عجزهم عن مفارقة الذنوب والخطايا بالكلية، فالعموم غير مراد.

٤. «**أيها العبيد أطيعوا في كل شيء سادتكم حسب الجسد**» (كولوسي ٣: ٢٢)، أي أطيعوهم فيما تقدرون عليه، وأطيعوهم فيما يحقق صالحكم وصالحهم، وليس يطلب من العبيد طاعة في كل شيء، كما يفهم من كلمة «**كل**».

وهكذا يتبين أن لكم خطأ العبارة : («**كل**» في اللغة تعني: كل).

وفي ضوء ما تقدم يمكننا أن نفهم بعض العبارات الإنجيلية ، مثل قول يوحنا: «**الآب يحب الابن، وقد دفع كل شيء في يده**» (يوحنا ٣: ٣٥)، وكذلك قوله: «**وهو عالم أن الآب قد دفع كل شيء إلى يديه**» (يوحنا ١٣: ٣).

وما قلناه عن كلمة «**كل**» ينطبق تماماً على كلمة «**مهما**» التي تمسك بها جنابكم، فهذا مفهومها في الكتاب.

١. قال هيرودس لابنة هيروديا: «**فقال الملك للصبية : مهما أردت اطلبي مني فأعطيك، وأقسم لها أن مهما طلبت مني لأعطينّك حتى نصف مملكتي**» (مرقس ٦: ٢٢- ٢٣)، فلو طلبت كل المملكة لم يعطها، ولو طلبت منه قتل ابنه أو نفسه لم يفعل.

٢. ومثله قول المسيح: «**ومهما سألتم باسمي، فذلك أفعله ليتمجد الآب بالابن**» (يوحنا ١٤: ١٣)، فهذا لا يراد منه كل طلب، لذا يقول المفسر وليم مكدونالد في شرحه: «وهذا العدد لا يعني أن باستطاعة المؤمن نوال أي شيء يريده من الله، ذلك لأن المفتاح لفهم هذا الوعد يكمن في الكلمات "**باسمي**"، "**ومهما سألتم باسمي**"، فالطلب باسم يسوع لا يقتصر على مجرّد إدراج اسمه في نهاية الصلاة. إنما هو طلب ما يتلاءم مع فكره وإرادته، أي تلك الأمور التي تمجِّد الله، وتشكِّل بركة للبشرية، وتعمل لخيرنا الروحي»، فالعموم غير مقصود في كلمة «**مهما**».

٣. « **الحق أقول لكم: إن من قال لهذا الجبل انتقل وانطرح في البحر ولا يشك في قلبه بل يؤمن، أن ما يقوله يكون، فمهما قال يكون له**» (مرقس ١١: ٢٣)، فلا يمكن أن نأخذ بعموم وحرفية قوله: « **فمهما قال يكون له**»، ولأنه - كما لا يخفاك - فإن كثيراً مما يطلبه المؤمن لا يستجاب له فيه، وأن المؤمن كغيره عاجز عن الوصول إلى كل الأمور التي لا يعطيه الله إياها، والتجربة خير برهان.

وبموجب هذا نستطيع فهم كلام المسيح: «**مهما عمل ذاك فهذا يعمله الابن كذلك**»، فقد اعتبرها جنابكم دالة على (التساوي في القدرة مع الآب)، لتشبعكم بالمعنى الحرفي للفظة «**مهما**».

ولو توقفتم معها قليلاً لرفضتم هذا العموم، فالآب هو والد الابن، والابن ليس والداً لأحد، وكذلك فإن الآب باثق للروح القدس، بينما الابن - بحسب الأرثوذكس - ليس باثقاً للروح القدس، وكذلك فإن الروح القدس ليس أباً ولا ابناً ولا باثقاً.

وهكذا تستطيع فكرة «العموم المراد به خصوص» أن تفهمنا كثيراً من النصوص التي يتسرع البعض إلى حملها على المعنى المطلق.

المساواة في القوة والقدرة بين الآب والمسيح

لنرجع إلى سياق قول المسيح: «**كل ما لك فهو لي**»، ونتساءل: هل النص يتحدث عن صفات الله الذاتية والفعلية وعن سلطانه المطلق؟

هذا النص: «**وما هو لك فهو لي**» كان مثار جدل بين اللاهوتيين، فقد استخدمه الكاثوليك لتمرير فكرة انبثاق الروح القدس من الآب والابن، فما دام كل ما لله هو للمسيح ؛ فالروح القدس منبثق من الابن كما هو منبثق من الآب.

وهذا التعميم في الحكم غير صحيح بإطلاقه، فالآب له ما ليس للابن كـ«الأبوة» ، وله وحده علم الساعة ، وعدم الموت ، وتمام الملك بالنهاية، وخضوع كل أحد له، وليس شيء من ذلك للابن، ولا للروح القدس.

وكذلك رأى الأرثوذكس أن الآب هو الأصل، والابن مولوده، والروح القدس منبثق منه، وليس للابن الانبثاق ولا الأصل، فالأصل والينبوع والباثق والوالد خاص بالآب دونهما، لذا اعتبر الأنبا بيشوي هذا النص «**كل ما لك فهو لي**» حديثاً خاصاً بأنفس التلاميذ، أي: عموم يراد به خصوص، فقال: «السيد المسيح ذكر هذا القول في صلاته للآب حينما كان يتكلم عن أنفس التلاميذ، وقال: «**كانوا لك ، وأعطيتهم لي .. وكل ما هو لي فهو لك، وما هو لك فهو لي**»، فما علاقة ملكية الآب السماوي للبشر، وملكية السيد المسيح لتلاميذه القديسين بأن يكون باثقاً للروح القدس؟ » (لاهوت عقائدي ومقارن وحوارات مسكونية وأقول آباء ، الأنبا بيشوي، ص ٧٦).

وأنا بدوري أقول: النص يتحدث عن التلاميذ، فما علاقة أفعال الله وسلطانه به؟

وكذلك فإن القمص ميخائيل مينا رفض استدلال الكاثوليك بالنص على انبثاق الروح من الابن، وفسر قوله: « **وما هو لك فهو لي** » على الخصوص، فقال: «ويقصد منه العلم» (علم اللاهوت، ميخائيل مينا، ص ٧٣).

وعلاوة على ما سبق فإن قوله: «**وما هو لك فهو لي**»، يفسره ما جاء قبله: «**وكل ما هو لي فهو لك**»، فما الذي يقصده المسيح بقوله: «**وكل ما هو لي فهو لك**»؟ هل يقصد خصائصه الذاتية وطبيعته البشرية؟ أم جاء السياق في الحديث عن التلاميذ، أي هؤلاء التلاميذ لي ، وهم لك .. وكذلك ما هو لك من التلاميذ هو لي.

وفي ختام هذه النقطة أرى أن أنبه جنابكم إلى أن الحرفية في فهم هذه النصوص قد تؤدي إلى مشاكل لاهوتية، وقد توصل إلى معان لم يقصدها قائلها، فقول المسيح للآب: «**وما هو لك فهو لي**»، يشبه قول الأب متى المسكين: «**الروح القدس يعطينا كل ما للمسيح وكل ما للآب**» (يوم الخمسين وميلاد الكنيسة، ص ٩)، فلا يصح أن يفهم مراد الأب المسكين على العموم المطلق، فهذا يجعلنا آلهة مساوين للآب والمسيح، وما هكذا تفهم النصوص.

وحين يزعم جنابكم أن المسيح كان مساوياً لله الآب في قدرته وسلطانه فإني سأنتقل للحديث عن الفوارق الهائلة بين الآب وبين «المسيح الأرضي» الذي عاش على الأرض قبل ألفي سنة، وأنتم ترونه إلهاً ونحن المسلمون نراه بشراً رسولاً.

هل كان هذا «المسيح الأرضي» المرئي بيننا مساوياً للآب في قدرته؟

١. الآب كلي القدرة والعلم، بينما «المسيح الأرضي» الذي نراه بيننا يجهل موعد الساعة، فيقول: « **وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد، ولا الملائكة الذين في السماء، ولا الابن إلا الآب** » (مرقس ١٣: ٣٢)، وهذا النص بحسب المسيحيين لا يتحدث عن أقنوم الابن الإلهي، بل يتحدث عن «المسيح الأرضي»، فهو لا يعلم وقت الساعة، يقول البابا أثناسيوس : «يظهر الجهل الذي يخص البشر، لكي يبين أن له جسداً

إنسانياً حقيقياً .. ولكي يكون له جهل البشر في جسده» (رسالة إلى سرابيون ص ١٠٤، وانظر: ضد الهرطقات، إيريناوس، الكتاب ٢، الفصل ٢٨) ومع ذلك أنتم تنسبونه إلى مساواة الله، وترونه رغم جهله بموعد الساعة مستحقاً للعبادة.

يجدر أن أذكر هنا أن للقمص عبد المسيح بسيط أبو الخير كتيباً بعنوان: « هل كان المسيح يجهل يوم وساعة نهاية العالم؟ »، وانتهى به إلى القول بأن المسيح: « يعرف متى سيكون اليوم وتأتي الساعة»، وأنه قال: (**ولا الابن**): «حتى لا يلح التلاميذ في طلب معرفة ذلك اليوم»، بمعنى أنه كان يكذب عليهم للتخلص من إلحاحهم. (هل كان المسيح يجهل يوم وساعة نهاية العالم؟ عبد المسيح بسيط، ص ١٧).

نحن المسلمون لا نعبد من يجهل موعد الساعة، وإنما نعبد من يعلم كل شيء .. و«**كل شيء**» هنا تعني : «**كل شيء**» بما فيها موعد الساعة.

٢. ولما جاءت المرأة النازفة إلى المسيح لمست ثوبه فشعر بقوة خرجت منه ، فقال: «**من لمس ثيابي؟ وكان ينظر حوله ليرى التي فعلت هذا** » (مرقس ٥: ٣٠)، فهذا «المسيح الأرضي» الملتفت هنا وهناك باحثاً عمن لمسه، والذي يسأل التلاميذ عمن لمسه ليس كلي العلم، ولا هو مساو لله، فهو عند المسلمين لا يستحق العبادة، بينما هو عند جنابكم مستحق للعبادة.

٣. «المسيح الأرضي» مقبوض عليه من اليهود، مصفوع على وجهه، معلق على الصليب، يصرخ طالباً من إلهه العون: «**لماذا تركتني؟**»، ثم يموت، فتفارق روحه جسده، فيدفن في التراب.. هذا الجسد الأرضي الميت لو سألتَه لا يجيبك .. ولو طلبتَ منه أن يقول كلمة ؛ لعجز عن ذلك، ولذلك فأنا لا أعبد هذا الميت، بينما جنابكم يرى أن هذا الذي نراه ميتاً قادر على إحياء كل الموتى، رغم أنه لم يرد الحياة إلى نفسه ، فقد «**أقامه الله فلم يرَ فساداً**» (أعمال ١٣: ٣٧)، وكأني بالنص يومئ إلى أنه لو لم يقمه الله لطرأ عليه الفساد وعاث بجسده هوام الأرض، ولأنتن كما ينتن غيره من الموتى.

هذا الجسد الميت الذي لا حراك فيه لا يقدر عندي على تحريك أصبعه، فضلاً أن يحرك ساكناً في هذا الكون، ولذلك هو غير مستحق للعبادة عندي، بينما هو عند جنابكم كامل الإلهية، حتى وهو ميت (يستطيع أن يحيي من يشاء، وليس بـ(إذن الله) كما تدعون، يحيي من يشاء، كما يحيي الآب الأموات).

٤. سلطان المسيح محدود ، وسينتهي في خاتمة الزمان حيث يخضع كل شيء للابن ، ثم «**ومتى أُخضع له الكل، فحينئذ الابن نفسه أيضًا، سيخضع للذي أَخضع له الكل، كي يكون الله الكل في الكل**» (١ كورنثوس ١٥ : ٢٧ – ٢٨)، وهكذا يعود السلطان لصاحب السلطان، ويخضع كل شيء لله الواحد القهار.

٥. «المسيح الأرضي» حين كان عمره ثلاثة أيام لا يميز بين صورة أمه وخالته، ولا يعرف نطق أسماء من حوله، ولا يعي شيئاً من قوانين الجاذبية ونيوتن التي تعبنا ونحن ندرسها في الفيزياء، فضلاً عن معرفة قانون أرخميدس للطفو، فهذا الطفل الأرضي غير مستحق للعبادة عند المسلمين، وهو عندكم كامل الألوهية مساو لخالق السماوات والأرض.

والآن مطلوب مني أن أؤمن بحرفية أن هذا الطفل الأرضي - الذي لا يعرف نطق اسمه - قادر على أن يحيي كل المخلوقات بإرادته، ويستطيع لو أراد أن يخلق كوناً موازياً للكون المنظور يشتمل على ملايين المجرات.

الطفل الأرضي ذو الثلاثة أيام لا يستطيع تناول لقمة طعام بيده، ولا يستطيع تنظيف نفسه، هل يستطيع بإرادته الذاتية خلق كون آخر مواز لما خلقه الله ؟ صدقني لا أستطيع تصور ذلك، فأي إرادة هذه التي يملكها هذا الطفل؟ وأي معرفة تلك التي يحوزها لتؤهله لخلق كون جديد؟

حسناً .. كبر الصغير، وصار له من العمر ثلاثون سنة، وأصبح له إرادة ومعرفة، لكنها ليست مستقلة، كسائر بني البشر، فصار بحسب إنجيلكم يقول عن نفسه ووفق مفهومكم

لها: «**الابن أيضاً يحيي من يشاء**»، فماذا حدث؟ ما الذي استجد عند ذلكم الإنسان الأرضي حتى قدر على هذا؟

يجيبنا «المسيح الأرضي» بأني «**لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئاً**»، هذا ما يقوله لتلاميذه ، فذلكم الشاب الوسيم الذي كان مرئياً في شوارع أورشليم، يقول: أنا أحيي من أشاء في هذا الكون، ولكني « **لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئًا** »!!

نحن المسلمون نستطيع تقديم ربط منطقي يجمع بين هذين النصين، وهو أن «المسيح الأرضي» كغيره من الناس لا يقدر على فعل شيء من ذاته الضعيفة المتصفة بضعف البشر، لكنه مع ذلك يقدر على إحياء الموتى بقوة تتجاوز ذاته العاجزة الضعيفة، وهي القوة التي أُعطيت له من غيره، وهو الله ، فقد «**دُفع إليَّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض**»، لقد دُفع للمسيح الأرضي الذي لا يقدر على فعل شيء من نفسه سلطان إلهي من الله، فصارت قدرته فائقة بمقدار ما منحه الله من سلطان.

لننتقل إلى التبرير المسيحي الذي سأحاول استلاله من كلام جنابكم:

«المسيح الأرضي» وهو طفل أو ميت قادر على كل شيء، وحين يقول: « **لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئاً** »، هو لا يشهد على نفسه بالعجز، بل (يشير إلى المشيئة الواحدة مع الآب ، بمعنى أنه وضع شرطاً للعمل، وهو أن ينظر الآب يعمل ، لأن ما يعمله الآب تكون حسب مشيئته وهذا يعمله المسيح، لأن مشيئته متفقة مع الآب، فالمسيح لا يستطيع أن يفعل شيئاً خارج مشيئة الآب).

وهذا التفسير لا يوافقكم عليه المبشر جوش مكدويل الذي يربط العجز من المسيح بتواضعه واتخاذه جسداً أرضياً، واتصافه بصفات الأرضيين، ومن بينها العجز، فيقول: «لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئاً اختبار يسوع في دوره كعبد أن يعيش الحياة هنا حسب الشروط والمعطيات البشرية على الأرض، واضعاً ثقته في قدرة أبيه؛ لا قدرته» (حقيقة لاهوت المسيح ، ص ٩٥).

على كل حال، نص : « **لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئاً** »، معناه عند جنابكم: (لا يستطيع أن يفعل شيئاً خارج مشيئة الآب)، وهذا صحيح، فكل البشر والأرضيين محدودي المشيئة .. فأنا من جهتي «**لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئاً**»، لأني محدود المشيئة، والقدرة... وكذلك «المسيح الأرضي» (الطفل أو الميت) محدود المشيئة والقدرة لا يملك مشيئة موازية لله ، ولا يستطيع أن يفعل شيئاً لا يشاؤه الله.

ولكي أستطيع فهم النص شرحَه جنابكم بمثال المخ والجسد، فالمخ في المثال هو الله، والجسد هو المسيح، و(الجسد لا يمكن أن يعمل في انفصال عن المخ ، وبالمناسبة كذلك المخ لا يستطيع أن يعمل شيئاً بدون الجسد .. الاثنان في تناسق مع بعضهما البعض)، أي مفهوم المثال الذي يذكره جنابكم: لا يستطيع المسيح أن يعمل بانفصال عن الله، ولا يستطيع الله أن يعمل بانفصال عن المسيح.

وهنا أتساءل: ألا يمكن لله أن يعمل بانفصال عن المسيح الطفل أو الميت أو النائم أو المتواجد في دورة المياه؟ كيف كان الله يعمل قبل أن يوجد «المسيح الأرضي».. وأذكرك أن حديثنا عن «المسيح الأرضي»، وليس عن أقنوم الابن.

ثم أوضحتَ لي النص بمثال آخر، وهو أن الله لا يكذب لمخالفة الكذب لطبيعته، وأتبعته بقولك: (كذلك المشيئة الواحدة مع الآب ، لا يستطيع الابن أن يعمل في انفصال عن الآب، والعكس صحيح ، لأن المشيئة واحدة، فالنص يوضح قوة المسيح، وليس ضعفه كما تعتقد) .

إذاً مرة أخرى تؤكد لي بقولك : (والعكس صحيح) أن الآب لا يستطيع أن يعمل في انفصال عن المسيح.. ويحضرني هنا سؤال: هل تتحدث عن «المسيح الأرضي» أم أقنوم الابن؟

لا أظن أن مقصودكم هو «المسيح الأرضي» الذي رآه أهل أورشليم، لأنه لم يكن موجوداً حين كان الله الآب يخلق العذراء مريم (التي سيولد منها يسوع) وما قبلها من مخلوقات.

ولما قال جنابكم: « لأن المشيئة واحدة » ، وصلنا إلى سؤال هام: هل كانت إرادة الله ومشيئته متساوية ومتماثلة مع وإرادة ومشيئة «المسيح الأرضي» الذي يعبده النصارى؟

والجواب : لا، فقد أخبرنا الإنجيل بذلك عن أقنوم الابن، فقال: « **نزلتُ من السماء ليس لأعمل مشيئتي، بل مشيئة الذي أرسلني**» ، فلو كانت مشيئتهما واحدة لقال: (نزلت من السماء لأعمل مشيئتي ومشيئة الذي أرسلني).

وكذلك قال عن «المسيح الأرضي»: «**لتكن لا إرادتي، بل إرادتك** » (لوقا ٢٢: ٤٢)، ولو كانت إرادتهما واحدة لقال: (لتكن إرادتي وإرادتك)، فقد كانت إرادته أن ينجو من الصلب: «**إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس**»، بينما كانت إرادة الله - بحسب الإنجيل - أن يموت على الصليب.

ولعل من نافلة القول أن أذكر بأن توافق المشيئة لا يقتضي الوحدة الذاتية، يقول القديس بطرس السدمنتي: «يجوز أن يوافق مشيئةُ كل إنسان مشيئةَ الباري في الخير، ولا يصير واحداً معه في الذات» ، ويفسره بأن «الرسل والأنبياء وسائر القديسين والأولياء لما تجردوا من الدنيا ، وطرحوا خاصة مشيئاتهم اختياراً منهم، وساروا في العالم حسب مرضاة الله؛ دُعوا أبناء الله، وسببه كونهم يفعلون مشيئته ومراده» (التصحيح في آلام السيد المسيح ، بطرس السدمنتي، ص٥٠، ٤٦)، فهؤلاء المؤمنون لهم مشيئة متوافقة مع مشيئة الله، وهم غير متحدين به.

كيف نكرم المسيح؟

والنتيجة التي وصل إليها جنابكم بعد افتراض أن المسيح يملك كل قوة الله وسلطانه، وأنه يملكها بذاته، لا بإكساب الله إياها له .. النتيجة هي استحقاقه للعبادة لأن يوحنا يقول: «**لكي يكرم الجميع الابن كما يكرمون الآب**»، وقد فسرها جنابكم: (كيف تكرم الله ؟ أليس بالعبادة والسجود والعمل بوصاياه ؟! هل يوجد إكرام آخر لله ؟.. المسيح يطلب الإكرام مثل الله).

وهنا أنبه جنابكم إلى أنكم وقعتم فيما حذرتموني منه ولم أقع فيه، فقد جعلت لفظة «كما» بمعنى (مثل)، وقد سبق منكم القول: (كلمة (كما καθώς) في اليونانية ، تفيد المشابهة لا التطابق والمماثلة وتُترجم: just as)، لذا فالصحيح أن النص يطلب إكراماً للمسيح مشابهاً لإكرام الآب من غير مماثلة ولا مطابقة.

والسؤال: ما معنى الإكرام؟

رغم أن عبادة الرب هي إكرام له ؛ فإن لفظة الإكرام في اللغة والكتاب لا تعني العبادة، فقد ورد «**فإن الله أوصى قائلاً: أكرم أباك وأمك**» (متى ١٥: ٤)، وإكرامهما لا يكون بعبادتهما، بل بالخضوع لهما، واحترامهما ، وإنفاذ قولهما، ومحبة من يحبهما .

وسألتقط هذا المعنى للإكرام من قولك: (كيف تكرم الله ؟ أليس بالعبادة والسجود والعمل بوصاياه)، فهل من عمل بوصايا المسيح يكون عابداً له؟ أم يكون مكرماً له؟

أنا من جهتي أعمل بوصايا والديَّ ، وأعتبر ذلك إكراماً لهما، ولا أراه من العبادة في شيء، وأظن أنك تفعل كذلك.

ويحتج جنابكم بسجود اليهود له، ويراه مظهراً لتأليههم للمسيح، وهو ما لا يتوافق مع العرف اليهودي الذي كان يجيز السجود لكل صاحب معروف، ولا يرونه عبادة له أبداً، وله شواهد في التوراة، منها سجود إخوة يوسف له : « **فأتى إخوة يوسف، وسجدوا له بوجوههم إلى الأرض**» (التكوين ٤٢: ٦).

وحدة الآب والابن في الجوهر والطبيعة وتساوي الأقانيم

كما أخبرت جنابكم فإن حوارنا لم يصل بعدُ إلى نقطة تساوي الأقانيم والعلاقة بينها، فنحن ما زلنا نناقش إعلان «المسيح الأرضي» عن ألوهيته، لكني سأتوقف ملياً مع زعم جانبكم أن (الوحدة الجوهرية تعني المساواة في الجوهر)، وقد رآها جنابكم فكرة بدهية لا تحتاج شرحاً، ولا تستوجب إثباتاً، فتفضلتَ بالقول: (عزيزي الشيخ ، المسيح والآب واحد في الجوهر معناها بكل بساطة: أن المسيح مساوٍ للآب في الجوهر . الموضوع بسيط جداً ، لا يحتاج لهذا الاستنكار ، ووحدة الجوهر تعني: المساواة في

الجوهر)، وضربتَ عليها بمثال تساوي البشر في إنسانيتهم، لأنه يجمعهم جوهر الإنسانية.

ولا ريب عندي أن جماهير العلماء المسيحيين يقولون بترادف العبارتين، لكن هذا لا يعني أنهما مترادفتان بالفعل .. فثمة من فرَّق بينهما كأوريجانوس وغيره ممن يقول بمذهب (التبعية)، فإنهم يؤمنون بوحدة الجوهر، بمعنى الاشتراك فيه، ولا يقولون بالتساوي، وذلك مفهوم مألوف في ضوء معنى الألوهية في تلكم العصور، حيث كان الناس يؤمنون بفكرة الآلهة الوسيطة أو أنصاف الآلهة الذين يشتركون في جوهر الألوهية بنسب مختلفة، فمنهم نصف إله ، ومنهم أقل أو أكثر، وامتدادهم اليوم يتمثل في جماعة شهود يهوه الذين وصفهم جنابك بأنهم (يؤمنون بالمسيح على أنه إله، ولكنه ليس يهوه، بل إله وسيط، خلقه يهوه ليخلق العالم).

ودعنا نعرض لبعض من قال بوحدة الجوهر بمعنى: الاشتراك فيه ، لا التساوي في الألوهية:

١. يقول المطران كيرلس سليم بسترس: «إلا أن أوريجانوس مع تأكيده وحدة الجوهر بين الآب والابن والروح يعلن أن الآب أعظم من الابن، وأن الابن أعظم من الروح القدس» (اللاهوت المقارن ٢/ ٧٩)، فهو يؤمن بوحدة الجوهر الإلهي، وكذلك يؤمن بتفاوتهم في هذا الجوهر، فالوحدة عنده تعني أن هذه الذوات تشترك في الجوهر الإلهي من غير تساوٍ.

٢. كذلك نقل المطران بسترس عن باسيليوس الكبير أنه كان يقول بتساوي الآب والابن في الألوهية، لكنه يجعل الروح دونهما رغم اشتراكه معهما في الجوهر الإلهي: «فكما أن الابن يحتل المرتبة الثانية بعد الآب، لأنه من الآب، ويحتل المرتبة الثانية في الكرامة، لأن الآب هو المبدأ والعلة، وليس هو مع ذلك ثانياً في الطبيعة، لأن الألوهية في كليهما واحدة، كذلك وإن كان الروح القدس يلي الابن في الرتبة والكرامة؛ إلا أن ذلك لا يجيز لنا القول: إن الروح القدس هو من جوهر آخر»، فهو يقول بمراتب ثلاثة في كرامة أعضاء الثالوث، واعتبرهم جميعاً من جوهر واحد، لكنه يساوي في الألوهية

بين الآب والابن فقط « لأن الألوهية في كليهما واحدة »، وعذره في ذلك أنه مات سنة (٣٧٩م) قبل انعقاد مجمع القسطنطينية (٣٨١م) الذي قال بألوهية الروح القدس.

لذلك يقول عنه المطران بسترس: «لم يجرؤ باسيليوس أن يقول عن الروح القدس: إنه إله. لأنه لم يجد هذا القول في الكتاب المقدس، بل كان يكتفي بالقول: إنه إلهي » (اللاهوت المقارن ٢/٨٢)، وما يهمني هنا إيمانه باشتراك أعضاء الثالوث في الجوهر، وقوله بعدم التساوي في هذا الجوهر المشترك.

٣. وكذلك فإن ترتليان وصف اللاهوت والناسوت «بأنه شخص واحد له طبيعتان، تحتفظ كل منهما بخصائصها، طبيعة واحدة، جوهر واحد، قوة واحدة، ولكنه يعتقد أن الأقنومين الثاني والثالث في الثالوث المقدس خاضعان للأب» (تاريخ الكنيسة، جون لوريمر ٢/ ٣٢)، فإيمانه بأنهما من «جوهر واحد» معناه: اشتراكهما في هذا الجوهر، ولا يفيد التساوي، فإنه يتبنى مذهب (التبعية) الرافض للتساوي بين الأقانيم.

وأؤكد هنا أني لست معنياً بمناقشة مسألة تفاوت الأقانيم عند بعض الآباء، فإنه لم يحن وقتها بعد، لكني أسجل أني لا أوافق جنابكم حين نقلتَ عن ترتليان ما ادعيتَ أنه ينفي قوله بمذهب (التبعية) فنقلتَ عنه نقلاً، لا داعي لإعادته، فالنقل لا يفيد عدم إيمانه بالتابعية، بدليل ما ذكره الأب الدكتور حنا جرجس الخضري في سابقة ولاحقة هذا النقل نفسه، فقد قال: «وتظهر فكرة التابعية أو أولوية الآب على الابن، أو سمو الآب على الابن في التشبيهات الكثيرة التي أعطاها لشرح العقيدة » ثم ساق ما تفضلتَ بنقله من تشبيهه للثالوث بأمثلة: ١. الشمس ٢. الشجرة ٣. الينبوع، ثم عقب الخضري بالقول: « من هذا يتضح أن ترتليانوس لا يفرق بين جوهر الينبوع وجوهر النهر، أو الجذع والفرع، هكذا فإن الابن هو من نفس جوهر الآب وخارج منه، وبما أنه خارج منه فهو خاضع له، .. فمع أن المعلم الأفريقي قد أعطى المكانة الأولى في الثالوث الآب، والمكانة الثانية للابن، والمكانة الثالثة للروح.. القدس إلا أنه أكد كثيراً وبشدة على حقيقة أن هؤلاء الثلاثة من جوهر واحد» (تاريخ الفكر المسيحي ، حنا جرجس الخضري ١/ ٥٢٩)، فوحدة الجوهر لم تعنِ عند

ترتليان تساوي الأقانيم، بل الاشتراك في الجوهر من غير تساو فيه، فالماء الجاري في الينبوع هو ذات الماء الموجود في مجرى النهر، لكن الينبوع أصل، والمجرى فرع فحسب، وهو دون الأصل وتابع له، وكذلك هو يؤمن أن جوهر الألوهية (الماء في المثال) هو نفس الجوهر في الآب والابن (الينبوع والنهر)، لكن الينبوع أصل، والنهر تابع له، متفرع عنه.

الوحدة الجواهرية (وحدة الذوات) بين الله الآب والمسيح

صديقي الدكتور ميخائيل، لقد عجبتُ مراراً لإنكارك ما نسبتُه إلى المسيحيين من الإيمان بـ«الوحدة الذاتية» ، فقد قلتُ لكم: (الوحدة الحقيقية، وهي ما يؤمن به جنابكم، حين يرى أن الآب اتحد مع المسيح جوهرياً، وهكذا فالمتحِد والمتحَد معه كلاهما إله، فقد صار جوهرهما واحداً)، فكان جوابك: (أنا أسأل حضرتك، هل هذا إيماني يا عزيزي الشيخ؟ من أين أتيت بأن هذا إيماني؟.. هذا ليس إيماني ولا عقيدتنا المسيحية، بل ما قلتَه هو هرطقة وبدعة لا علاقة لها بإيماننا المسيحي السليم)، فهل تقول : المسيحيون لا يؤمنون بوحدة الذوات أو الجواهر بين الإنسان يسوع والله؟

لقد كنت أظن أننا متفقون في أن المسيحية تؤمن - حقاً - بالوحدة الحقيقية أو الذاتية بين يسوع الإنسان والله ، وأنهما صارا جوهراً واحداً (بالمعنى الفلسفي) أي كياناً واحداً، وأقنوماً واحداً، وشخصاً واحداً، وأذكرك أني هنا أتحدث عن اتحاد اللاهوت بالناسوت، وهما جوهران مختلفان ، بمعنى أنهما ذاتان متباينتان، وبحسب المسيحيين فقد اتحدتا في المسيح من غير اختلاط ولا امتزاج ، فصارتا ذاتاً واحدة أو كياناً واحداً أو أقنوماً واحداً يجمع خصائص الذاتين معاً، ولذلك فأنتم تقولون عن المسيح: (إله كامل وإنسان كامل)، يقول البابا كيرلس في حرومه الاثني عشر: «من لا يعترف أن عمانوئيل هو إله حقيقي، وبالتالي تكون العذراء الطاهرة هي «والدة الإله» لأنها ولدت - جسدانيًا – الكلمة المتجسد الذي من الله، لكون الكلمة صار جسداً؛ فليكن محروماً» (علم اللاهوت، ميخائيل مينا، ص ١١٠).

وكان القمص ميخائيل قد تقدم هذا النص بقوله: «وقد توحد الجوهران (اللاهوت + الناسوت) بطبيعتهما، وحدة باطنية، فصارا واحداً بغير اختلاط ولا امتزاج ولا استحالة (تغيير) ولا انحلال، منذ حدوثه وإلى الأبد» (علم اللاهوت، ميخائيل مينا، ص ١٠٩).

ويقول أنطونيوس فكري في سياق تعليقه على نص: «أنا والآب واحد» متحدثاً عن وحدة الذوات والجواهر (لا الجوهر): «فإذا كانا واحداً في الذات فهما واحداً في المشيئات. والمشيئة الإلهية اتحدت أيضاً بالمشيئة الإنسانية حين اتحد اللاهوت بالناسوت»، أي اتحاد ذوات وكينونات وجواهر.

وقال البابا شنودة: « اللاهوت مع الناسوت في الجوهر وفي الأقنوم وفي الطبيعة، بدون انفصال» (طبيعة المسيح ، شنودة، ص ١٢)، فقد صاراً جوهراً واحداً.

وسؤالي لكم دكتور ميخائيل: هل نحن متفقان في إيمان المسيحيين بالوحدة الجواهرية بين يسوع والله ؟ أم مختلفان؟ وما وجه الاختلاف بيننا في شرح رأي المسيحية؟ أنتظر جوابك.

وأنتقل الآن إلى موضوع مختلف ومواز لما سبق، وهو العلاقة بين أقنومي الآب والابن، فأنا وإياك - صديقي الدكتور ميخائيل - نتفق حتى الآن أن المسيحيين لا يقولون بالوحدة الأقنومية بين الآب والابن والروح القدس، فهذه بدعة سابيليوس الذي جعل الآب هو الابن وهو الروح القدس، بينما المسيحيون يؤمنون أن لكل أقنوم من الأقانيم شخصيته أو كينونته (أو وفق مصطلح الفلاسفة: جوهره الخاص)، فالآب ليس الابن، والابن ليس الروح القدس.

وقد قرأتُ لجنابكم عبارة ما زلتُ أحتاج إلى شرحها: (نحن نعترف بوحدة الذات بين الآب والابن، لكنهم ليسوا نفس الأقنوم)، وتساءلتُ كيف تتحد الذوات في ذات واحدة مع بقاء كل أقنوم أو كيان على أقنوميته وكيانه؟ ألا يمكن أن يقول قائل بأن الذات هي الأقنوم، وأنكم تؤمنون بأن الآب والابن ذات واحدة، أي كيان واحد، أي أقنوم واحد؟.

والذي دفعني إلى هذا التساؤل أني وجدتُ الكتاب المقدس يستخدم كلمة «أقنوم، قنوما» السريانية ، بمعنى: «الذات»، وذلك في قول يوحنا : «كما أن الآب له حياة في ذاته كذلك أعطى الابن أن تكون له حياة في ذاته» (يوحنا ٥: ٢٦)، فقد تكررت كلمة «قنوما، الأقنوم» السريانية في النص مرتين حيث تقول الترجمة البيسطرية (سرياني عربي): «للآب توجد الحياة في أقنومه، كذلك وهب أيضاً للابن أن تكون الحياة في أقنومه»، فالأقنوم والذات عندهم مترادفون.

لن أستعجل هنا في تفكيك هذه الأسئلة، ولن أتقدم بين يديكم بجوابها، فسأنتظر جوابكم عليها لأناقشه، حتى لا أنسب لمعتقدكم ما ليس منه.

وحدة الأقانيم في الذات

وريثما يأتيني جوابك، فإني أود أن ألفتَ نظرك إلى فكرة أظن أننا لن نختلف عليها، وقد نختلف في شرحها، لذلك فإني أنتظره منك، وهي أن التعبير عن وحدة الأقانيم بـ«الوحدة الذاتية» هو أيضاً موجود في كتابات المسيحيين الأرثوذكس في القديم والحديث، بل هو محل إجماعهم، كما نقل بطرس السدمنتي بقوله: «وإجماع النصارى مع اختلاف مذاهبهم واقع على أن الابن والآب واحد في الذات» (التصحيح في آلام السيد المسيح ، بطرس السدمنتي، ص ٤٧).

وقد تحدثوا عن وحدة الأقانيم في ذات واحدة لدفع شبهة الشرك بإثبات وحدانية الثالوث، لذا ينقل المفسر تادرس يعقوب عن البابا أثناسيوس قوله عن الآب والابن: «كلاهما واحد في الذات، وواحد في خصوصية الطبيعة، وفي وحدة الألوهية»، فالآب والابن ذات واحدة، وتستطيع تسميته بـ «الوحدة الذاتية».

ويقول الأب متى المسكين: «الآب والابن ذات واحدة في الله، وكل من الآب والابن له شخصه وذاته» (المدخل لشرح إنجيل يوحنا، متى المسكين، ص ١٩٢).

ويقول الأنبا بيشوي: «فالآب هو الآب، والابن هو الابن، ولا يجوز أن تخلط بينهما، بالرغم من أن لهما كينونة واحدة» (لاهوت عقائدي ومقارن وحوارات مسكونية وأقوال آباء ، الأنبا بيشوي، ص ٧٧)، فتأمل قوله: «كينونة واحدة»، ماذا تعني هذه الكلمة؟.

ومن قبل بيشوي والمسكين وشنودة، فإن ترتليان في فجر القرن الثالث يقول: «الآب والابن والروح القدس كائن واحد، ولكنهم ليسوا أقنوماً واحداً» (الله ذاته ونوع وحدانيته، عوض سمعان، ص ٤٩)، أرجو أن تخبرني بالفرق بين «كائن واحد» و«أقنوم واحد»

ومثله قال: أكليمندس السكندري: «الأقانيم ليسوا ثلاث ذوات، بل هم ذات واحدة، هي ذات الله ، لأن جوهرهم واحد، هو اللاهوت» (الله ذاته ونوع وحدانيته، عوض سمعان، ص ٤٩).

وقال أثناسيوس: «لهم إرادة واحدة، وذات واحدة، وطبيعة واحدة» (علم اللاهوت، ميخائيل مينا، ص ٦٤).

وهذا ما انتهى إليه المجمع اللاتراني في عام ١٢٨١م: «إن الله ذات واحدة، وثلاثة أقانيم»، (الله ذاته ونوع وحدانيته، عوض سمعان، ص ٤٩).

ويقول عوض سمعان: « ويعلن أنهم متحدون اتحاداً تاماً في الذاتية، وبالأحرى أنهم واحد فيها.. الأقانيم واحد في الذاتية، أو بتعبير آخر أنهم ذات الله الواحد» (الله ذاته ونوع وحدانيته، عوض سمعان، ص ٣٢).

ويقول عبد الله عبد الفادي في ص (١٩) من كتابه « البرهان الصريح في حقيقة سريّ دين المسيح وهما سر التثليث وسر التجسد الإلهي»: «نعتقد أن الله واحد بالذات، مثلث الصفات الأقنومية الجوهرية .. كيف يدرك العقل البشري التوحيد في التثليث، والتثليث في التوحيد. أي كيف يدرك أن الله واحد، جوهر واحد، ذات واحدة، طبيعة واحدة، في ثلاثة أقانيم من غير تكثير الجوهر الإلهي وتقسيمه»، فلعلك لاحظت قوله: « جوهر واحد، ذات واحدة ».

ويقول في ص (٢٤): «فيكون الله تعالى على موجب هذا القياس ثلاث أقانيم بجوهر وذات واحدة»، ويقول ص (٦٢): «وإن الآب والابن والروح القدس جوهر واحد، وذات واحدة، وقدرة واحدة».

إذاً الأقانيم الثلاثة يجمعها «كيان واحد» « كائن واحد» أو «كينونة واحدة» أو «ذات واحدة» أو «واحد في الذاتية» أو «جوهر واحد» (بمعناه الفلسفي) ، أو وفق تعبيرك : (شيء واحد)، فكل هذه الجمل أرثوذكسية، ولا أظنك تعترض على واحد منها.

وكل ما أحتاجه هنا أن أعرف منك الفرق بينها وبين قول الهرطوقي باسيليوس: «أقنوم واحد» أو «شخص واحد».

وهنا لدينا نقطة مهمة: لماذا يقول المسيحيون بأن الآب والابن هما «واحد في الذات»؟

والجواب: القول بوحدة الجوهر بين الأقانيم دون القول بوحدة الذوات والجواهر هو عين الشرك، وهو عقيدة تعدد الآلهة .. فحين نقول بأنه يوجد عشرة أشخاص لهم جوهر الإله أو هم متساوون في جوهره وجنسه .. فهذا يعني أننا نملك عشرة آلهة مشتركون في الألوهية وخصائصها .. وهو تعدد الآلهة .. لكن حين نحصر هؤلاء العشرة بوحدة الذات، بأن نقول هؤلاء المتعددون هم ذات واحدة أو كيان واحد أو أقنوم واحد، فإننا نزعم أننا نجعل المتعدد واحداً .. وهو ما يقوله المسيحيون عادة، وهم يتحدثون عن الثالوث الموحد؛ إلا أنهم يرفضون تماماً عبارة: (أقنوم واحد)!!.

لذلك يقول البابا شنودة: « نحن لا نؤمن بتعدد الآلهة، إنما بإله واحد.. نحن لا نشرك بالله، لا نجعل له شريكاً في لاهوته، والثالوث القدوس لا يعني تعدد الإلهية. وإنما يعني فهم التفاصيل في الذات الإلهية الواحدة، فالله له ذات إلهية، وعقل، وروح، والله بعقله وروحه كيان واحد، كما أن الإنسان الذي خلق على صورة الله له ذات بشرية وعقل وروح ، والثلاثة واحد .. الروح القدس هو روح الله، وواضح أن الله وروحه كيان واحد، والله وعقله كيان واحد» (قانون الإيمان، شنودة، ص ١٣).

ولست أدري هل يوافق جنابكم على ما قاله البابا شنودة عن الثالوث: « **فالله له ذات إلهية، وعقل، وروح**» أم لا؟ هل تعتبر هذا القول هرطقة أم عبارة أرثوذكسية؟ هذا ما سنعود إليه بالتأكيد حين نتحدث عن تفاصيل العلاقة بين الأقانيم، فما يهمني هنا قوله عن الثالوث: « كيان واحد »، أرجو أن تخبرني بالفرق بين «كيان واحد» و«أقنوم واحد».

المسيحية والمصطلحات اللاهوتية

وحين ذكرت لكم أن المسيحية تقوم على مصطلحات لم يعرفها المسيح ولا تلاميذه (الطبيعة، الأقانيم، الجوهر، الإرسالية الداخلية، التثليث)، أخبرتني أن (كُتاب الأناجيل والرسائل عرفوها جيداً ، وبعضها قالوها بالحرف مثل الجوهر وغيرها)، فهل لك أن تخبرني: أين تحدث تلاميذ المسيح عن هذه المصطلحات التي لم ترد على لسانهم ولا على لسان المسيح بمعناها الفلسفي؟

وغاية ما تجده هو لفظة «جوهر» التي قالها مؤلف مجهول لا يعرف أحد اسمه إلا الله – كما يقول أوريجانوس–، إنه كاتب رسالة العبرانيين حين قال: «**الذي هو بهاء مجده ورسم جوهره** » (عبرانيين ١: ٣)، ولم يكن مراد هذا الكاتب المجهول - بحسب علماء المسيحية في القديم والجديد - منها ما يعنيه المسيحيون اليوم من لفظة «الجوهر»، بمعنى «الحقيقة المشتركة التي تدل على الجنس والطبيعة»، بل مراده: «الذات» أو «الأقنوم» كما ذهب إليه الأنبا بيشوي.

ويحاول جنابكم إقناعي من طريق ثانٍ بطبيعية هذه المصطلحات ، فيقول: المسيحيون اصطلحوا على هذه المصطلحات غير الموجودة في كتابهم كما اصطلح المسلمون على كلمة «التوحيد» التي لم ترد في القرآن، وقد تجاهل جنابكم بأنها وردت في أحاديث النبي ﷺ، وهي المصدر الثاني للإسلام، فاستعمالنا لها ليس اصطلاحاً من علماء المسلمين في القرن الثالث أو الرابع، بل «التوحيد» مصطلح ورد في عدة أحاديث للنبي ﷺ، منها قوله ﷺ: «**لم يعمل خيرا قط إلا التوحيد**» (مسند أحمد ٨٠٢٧)، وقوله لمعاذ: «**إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه توحيد الله** »

(سنن الدارقطني ٢٠٨٢) ، وقوله: « **يا أهل التوحيد، إن الله عز وجل قد عفا عنكم** » (معجم الطبراني الأوسط ١٣٣٦).

فها أنت ترى أن هذا المصطلح نبوي، بينما المسيح لم يقل مرة واحدة في حياته (التثليث، الجوهر، الطبيعة، الأقنوم، مساو في الجوهر، إرسالية خاصة، ناسوت، لاهوت، تجسد، تأنس، واحد في الجوهر، ابن الله بالطبيعة، الطبيعتين، الاتحاد الجوهري، إرسالية داخلية، الله الابن، الله الروح القدس، نطق الله العاقل)، وكذلك تلاميذه وتلاميذ تلاميذه.

ولو وقف أي مبشر مسيحي يعظ من كلام المسيح فحسب لما قدر على إثبات عقيدة التجسد ولا التثليث، وخير مثال عليه قوله: «**أنا والآب واحد**»، فإنكم محتاجون إلى إضافة «في الجوهر»، ليستقيم لكم الاستدلال بالنص، ولو وقفتم في النص حيث وقف المسيح لما أمكنكم الاستدلال به.

وسألني جنابكم عن عبارة «الله الأزلي الأبدي» التي أذكرها عادة في الحوار معك ومع غيرك ، فذلك من مجاراتكم في مصطلحاتكم، وإلا فإني لا أحتاج إليه في شرحي لعقيدتي، ويكفيني عنه قول الله تعالى: ﴿ **هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ** ﴾ (الحديد: ٣).

وهنا يكمن الخلاف بين عقيدتي وعقيدتك، فتأمل.

منهجية الحوار

ويعتب علي جنابكم وصفي لجماعة شهود يهوه وغيرهم بالموحدين أو التوحيديين فهذا ليس من اختراعي، بل هو منثور في كتب العلماء، وقد سماهم ويلتر: «الوحدانيين» في كتابه (الهرطقة في المسيحية، ص ٧٠)، وسبقني إلى تسميتهم بـ «الموحدين» الأستاذ حسني الأطير في كتابه «عقائد الموحدين النصارى»، وغيره، كما أطلق هؤلاء الرافضون للتثليث على أنفسهم اسم (التوحيديين)، ومن ذلك الكنيسة الموحدة التي اعترف بها البرلمان البريطاني كطائفة مستقلة في عام ١٨١٣م، والجمعية التوحيدية البريطانية التي تأسست عام ١٨٢٥م، والجمعية العامة للكنائس الحرة التوحيدية (١٩٢٠م).

بهذا تستطيع فهم رأيي في الموحدين، ويكون قد وصلك جواب سؤالك: (هل كل من أنكر لاهوت المسيح أصبح توحيدي ؟!) ، نعم هو توحيدي أو موحد لأنه يؤمن بإله واحد له وجود واحد ، ولا يؤمن بثلاثة آلهة لكل منهم وجود مستقل عن الآخر، وإن أُدعي أنهم إله واحد.

ففي قصة العماد رأينا ثلاث شخصيات متمايزة :

١. الآب الذي في السماء يقول: «هذا هو ابني الحبيب».

٢. المسيح الذي على الأرض بشعره الوفير وطلعته الجميلة.

٣. الروح القدس المحلق في السماء على شكل حمامة.

فههنا ثلاثة أشخاص، لكل منهم وجود خاص وذاتية خاصة.. لذلك يستطيع المسيحي أن يسجد للآب الذي في السماء سجدة، ثم يسجد أخرى للمسيح الأرضي، ثم يسجد ثالثة للحمامة المحلقة في السماء، وحين يسجد للحمامة فإنه لا يسجد للآب ، بل للروح القدس خصوصاً.

وكذلك حين سجد المسيحُ للآب لم يكن يسجد للابن المتجسد فيه ولا للروح القدس .. فهذا ما نسميه نحن المسلمين شركاً، وأنتم تسمونه الوحدانية الجامعة.. ولست ألزمك بتسميتي، كما لن تلزمني بتسميتك.

هل أعلن المسيح عن نبوته ورسالته؟ (إرسالية الروح والمسيح)

حين نسب جنابكم الخلق إلى «**روح الله**» استدللتم بالمزمور ١٠٤، وهو يقول: «**ترسل روحك فتُخلَق ، وتجدد وجه الأرض** » (المزامير ١٠٤: ٣٠)، فأخبرتكم أن النص يتحدث عن روح مخلوقة، لا عن روح إلهية خالقة، لأن النص يقول: «**فتُخلَق**»، وليس : (فتَخلُق)، وفي نسخة الملك جيمس جعلوا الفعل متعلقاً بالمخلوقات، لا الروح ، لأن النص يتحدث عن مخلوق، وليس عن خالق، فتقرأ: (they are created)، فكل ما أردته هو تصحيح نطقك للكلمة «**فتُخلَق**»، لتقف على معناها الصحيح، بدلا من أن تقول

بأن معنى النص: (الله يرسل روحه ليخلق .. روح الله تحمل نفس الطبيعة والجوهر، وهي تخضع لنفس التعبير الكتابي بأن الله يرسلها، فهي مرسلة).

وإذا شئت دليلاً على قولي؛ فاقرأ ما يقول البابا أثناسيوس عن هذا النص : «وإذا كنا نتجدد بروح الله، فإن الروح الذي يقال عنه الآن: إنه خُلِق لا يشير إلى الروح القدس، بل إلى روحنا» (رسائل أثناسيوس إلى سرابيون ص ٤١)، قال هذا لأن جماعات مسيحية كانت ترفض ألوهية الروح القدس محتجة بهذا النص الذي يقول بأن روح الله مخلوقة، لأن النص يقول : «**ترسل روحك فتُخلَق**».

وكذلك لما ذكرتَ لي أن روح الله واحد ؛ أخبرتك أن كتابك المقدس تحدث عن سبعة أرواح لله «**ومن العرش يخرج بروق ورعود وأصوات وأمام العرش سبعة مصابيح نار متّقدة، هي سبعة أرواح الله**» (الرؤيا ٤ : ٥)، فكان جوابك: (والأرواح السبعة ، تشير إلى روح الله القدوس ، ورقم سبعة يشير إلى كمال ومجد وعمل الروح القدس .. تشير أيضاً إلى عمل الروح القدس (الدينونة والتوبيخ)، وبالتأكيد طالما هي روح الله فإرساليتها داخلية).

وهكذا يصبح معنى النص: «**أرواح الله السبعة**» ليست سبعة أرواح لله، بل هي إشارات إلى روح الله القدوس، وهو واحد.

كيف تريدني أن أفهم النص بهذه الطريقة؟ هل تعرف أمة من الأمم تفهم أن السبعة إشارة إلى واحد؟ هل يمكنني أن أقول: رأيت سبعة أشخاص ومقصودي الإشارة إلى شخص واحد؟!.

بالعموم أدعوك إلى سماع مقطع يوتيوب للبابا شنودة، وهو يتحدث عن أرواح الله السبعة، فيراهم سبع ملائكة أو بالأحرى سبع رؤساء ملائكة، من غير أن يشير إلى ما تفضلتَ به: (تشير إلى روح الله القدوس).

وهنا أسهب جنابكم في موضوع كبير ومستقل، وهو معنى «الروح» في الكتاب المقدس، وإثبات ألوهية أو أقنومية الروح القدس، وهو موضوع يستحق الحوار، فلعلك تسجله على قائمة الموضوعات التي أعدك أن نتحاور فيها بعد أن ننتهي من موضوع : هل أعلن المسيح عن إلهيته؟

لكني أسجل هنا تعقيباً سريعاً على قولك: (في بدايات كتابنا المقدس في سفر التكوين ، نجد أن (روح الله) ترف على وجه المياه ، قبل الخلق ، لذا أطالبك بالتفسير المسيحي)، وكما تفضلتَ، فهذا هو التفسير المسيحي لها.

لكن ثمة من لا يسلم بصحة هذا التفسير، ومن بينهم الفيلسوف اليهودي الأصل باروخ اسبينوزا الذي يرى أن النص يتحدث عن (ريح) هبت فوق وجه الماء، فالكلمة العبرية (רוח) يصح أن تقرأ : (روح)، ويصح أن تقرأ : (ريح)، والسياق هو من يحدد الكلمة المقصودة، واسبينوزا يرى من السياق أنه يتحدث عن (الريح) ورفيفها فوق الماء.

ويجدر أن أنبه هنا أن السياق قد يكون محيراً ، فلا يستطيع طابعو الكتاب المقدس الوصول إلى قراءة موحدة وهم يترجمون الكتاب إلى لغات العالم المختلفة، ومن أمثلته اختلاف التراجم العربية والعالمية في ترجمة (زكريا ٦ : ٥)، فمنهم من يترجمها «أرواح السماء» كنسخ الفانديك والحياة والشريف، ومنهم من يترجمها : «رياح السماء» كنسخ الرهبانية اليسوعية والعربية المشتركة والأخبار السارة، ومثل هذا اللبس تجده كذلك في التراجم الإنجليزية والعالمية سواء بسواء.

صديقي الدكتور ميخائيل، أجدد لك شكري على هذا الحوار الماتع، وأرجو أن يتواصل رغم كثرة مشاغلنا، فما من شيء أقدح لزناد الفكر من التواصل مع الآخرين والاستماع إلى حجتهم، مرحبا بكم صديقي المحترم[١].

---

(١) للأسف انقطع هذا الحوار الماتع في ٨ يوليو ٢٠١٩م بسبب انشغال الدكتور ميخائيل بالاستعداد لاختبارات التخصص، فأرجو له التوفيق.